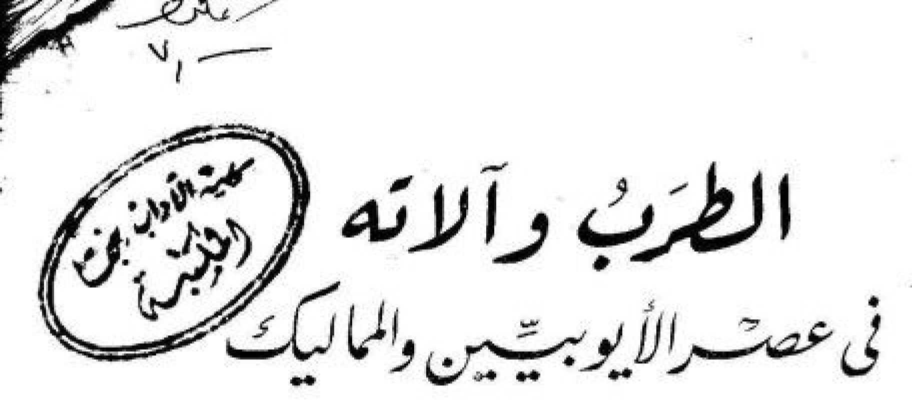


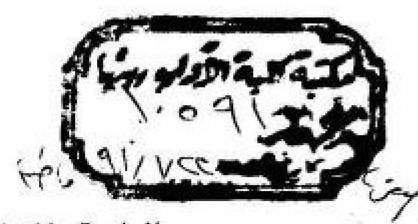
الطرب وآلاته
في عصر الأيوبيين والمماليك

تأليف

الدكتور

نبيل محمد عبد العزيز أحمد

أستاذ تاريخ العصور الوسطى الإسلامية المساعد





الطبعة الاولى

١٩٨٠



ملتزمة الطبع والنشر

اهداء من

احمد رزق

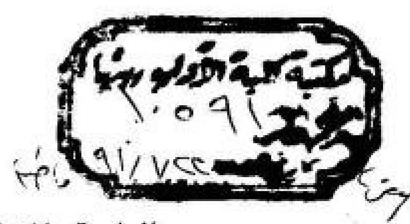
نسألكم الدعاء

صدقة جارية عنه وعن والديه



الطرب وآلاته في عصر الأيوبيين والمماليك

تأليف
الدكتور
نبيل محمد عبد العزيز أحمد
أستاذ تاريخ العصور الوسطى الإسلامية المساعد





الطبعة الاولى
١٩٨٠



ملتزمة الطبع والنشر

رقم الايداع بدار الكتب ٥٢٩١ لسنة ١٩٨٠
الرقم الدولى ٦٦ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧

المطبعة الفنية الحديثة
٢٠ شارع الأصبغ الزيتون ت ٨٦٤٨٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

الطرب وآلاته فى عصر الأيوبيين والمماليك

تصدير

للإنسان أحاسيسه التى تتفق ومستواه الحضارى ، فهو يسر لأشياء ويحزن لأخرى ، ويطرب لسماع أصوات وأنغام معينة ، ويتألم أو يخاف لسماع أصوات أخرى .

ومهما تتباين المستويات الحضارية للمجتمعات ، فإن هناك قدرا مشتركاً من الأصوات والأنغام الموسيقية يطرب أفرادها لسماعه . ويختلف هذا القدر بين دقات الطبول ونفخ الزمور بطريقة بدائية فى المجتمعات الأولى التى تعيش على الفطرة ، وبين الألحان التى تشترك فى سماعها أكثر من آلة موسيقية والتى تلتزم بتوزيع موسيقى محكم فى المجتمعات الأكثر رقياً .

وقد عرف العرب قبل الإسلام من الغناء والطرب ما اتفق وحياتهم البسيطة فى البادية . فلما جاء الإسلام (وكانوا من البداوة والغضاضة على الحال التى عرفت لهم ، مع غضارة الدين وشدته فى ترك أحوال الفراغ وماليس بنافع فى دين ولا معاش ، فهجروا ذلك شيئاً ما . ولم يكن الملذوذ عندهم إلا ترجيع القراءة والترنم بالشعر الذى هو ديدنهم ومذهبهم . فلما جاءهم الترف وغلب عليهم الرفه بما حصل لهم من غنائم الأمم ، صاروا إلى نضارة العيش ورقة الحاشية

رقم الايداع بدار الكتب ٥٢٩١ لسنة ١٩٨٠
الرقم الدولى ٦٦ ــ ٢٦٦ ــ ٩٧٧

المطبعة الفنية الحديثة
٢٠ شارع الاصبغ الزيتون ت ٨٦٤٨٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

الطرب وآلاته فى عصر الأيوبيين والمماليك

تصدير

للإنسان أحاسيسه التى تتفق ومستواه الحضارى ، فهو يسر لأشياء ويحزن لأخرى ، ويطرب لسماع أصوات وأنغام معينة ، ويألم أو يخاف لسماع أصوات أخرى .

ومهما تتباين المستويات الحضارية للمجتمعات ، فإن هناك قدرا مشتركاً من الأصوات والأنغام الموسيقية يطرب أفرادها لسماعه . ويختلف هذا القدر بين دقات الطبول ونفخ الزمور بطريقة بدائية فى المجتمعات الأولى التى تعيش على الفطرة ، وبين الألحان التى تشترك فى سدمها أكثر من آلة موسيقية والتى تلتزم بتوزيع موسيقى محكم فى المجتمعات الأكثر رقياً .

وقد عرف العرب قبل الإسلام من الغناء والطرب ما اتفق وحياتهم البسيطة فى البادية . فلما جاء الإسلام (وكانوا من البداوة والغضاضة على الحال التى عرفت لهم ، مع غضارة الدين وشدته فى ترك أحوال الفراغ وماليس بنافع فى دين ولا معاش ، فهجروا ذلك شيئاً ما . ولم يكن الملذوذ عندهم إلا ترجيع القراءة والترنم بالشعر الذى هو ديدنهم ومذهبهم . فلما جاءهم الترف وغلب عليهم الرفه بما حصل لهم من غنائم الأمم ، صاروا إلى نضارة العيش ورقة الحاشية

واستحلاء الفراغ • وافترق المغنون من الفرس والروم فوقعوا إلى الحجاز وصاروا موالى العرب ، وغنوا جميعاً بالعيدان والطنابير والمعازف والمزامير ، وسمع العرب تلحينهم الأصوات ، فلحنوا عليها أشعارهم) على حد قول ابن خلدون فى مقدمته .

يعنى أن موالى العرب من الفرس والروم حلوا معهم ألواناً جديدة من الغناء وأنواعاً عديدة ومتنوعة من آلات الطرب ، الأمر الذى ترتب عليه ظهور مدرسة للغناء والطرب فى مكة ، وأخرى فى المدينة المنورة • وكان ذلك فى وقت مبكر — قبل أن ينقضى القرن الأول للهجرة النبوية المباركة •

وما زالت صناعة الغناء تتدرج بعد ذلك عند العرب حتى كانت فى أيام بنى العباس ، بحيث أصبح هذا الجانب الحسى الجميل لايقوم فحسب على أساس الإقتباس من الشعوب التى اتصل بها العرب أو نقلوا عن مؤلفات من تقدمهم بل تعداه إلى التأليف واختراع الألحان وبعض الآلات الموسيقية •

غير أن مكانة بغداد السياسية والحضارية مالبث أن خبا نورها بعد سقوطها فى يد المغول (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) • الأمر الذى يجعلنا نوجه اهتمامنا إلى مراكز عربية هامة ، وهى بلاد الأندلس ومصر •

والحق ، إن موضوع الطرب والموسيقا عند المسلمين فى العصور الوسطى أكبر من أن نحاول جمع أطرافه فى بحث أو كتاب صغير ، لأن الكلام فيه يطول .

ولذا — إلى جانب الجدة والإضافة — رأيت فى هذا الكتاب ، أن أعالج موضوع الطرب وآلاته فى عصر الأيوبيين والمماليك ، أى فى المرحلة الأخيرة من مراحل العصور الوسطى ، عندما ذبلت الحضارة الإسلامية فى المشرق •

وخبا نورها أو كاد فى الأندلس والمغرب ، وأخذت مصر والشام تحتلان مكانة خاصة على المستويات السياسية والحضارية •

وأرجو من الله سبحانه وتعالى ، أن أكون قد وفقت فى إلقاء بعض الأضواء الجديدة على هذا الموضوع الهام ؟ .

د / نبيل عبد العزيز



الفصل الأول

عناية حكام الأيوبيين والمماليك بشئون الطرب

الطرب هو ما استفز الأنسان من الفرح والحزن[1] والغضب والرضاء ، (وليس يختص بالغناء[2] وحده ولا بالاهى ، بل يستفز الشعر وذكر الجود

---

(١) من ماثور القول أن من (حزن فليسمع الأصوات الطيبة ، فان النفس اذا حزنت خمد نورها ، واذا سمعت ما يطربها ويسرها اشتعل منها ما خمد) الغزولى : مطالع البدور ، جـ١ ، ص ٢٢٩ ، كذا انظر : النواجى : حلبة الكميت ، ص ١٥٣ ، الابشيهى : المستطرف ، جـ٢ ، ص ١٨٤ ، ابن نباتة : سرح العيون ، ص ٢٣٥ ·

(٢) يذكر ابن سيده : « المخصص ، جـ٤ ، ص ١٠ » أن الغناء ما سمى غناء الا لكون صاحبه يستغنى به (عن كثير من الاحاديث ويفر منها ويؤثره عليها) · علما بأن الغناء على ما ذكره كل من : «الادفوى : الامتاع ، ق ٢١:٢٢» ، ابن تيمية: «مجموعة الرسائل الكبرى ، جـ ٢ ، ص ٢٩٣ ـ كتاب السماع والرقص » ـ قد اطلق على اشياء منها غناء الحجيج فى الطرقات بالطبل والشاهين (التحنين) ، وأن المغنون ـ على ما ذكره ابن الجوزى : « تلبيس ابليس ، ص ٢٢٢ » ـ كانوا يختارون مارق من الشعر ويلحنونه (بالتلحينات الانيقة التى تهيج النفس وتطربها) ، وأن اصل صناعة الغناء ـ على ما قاله المشهدى : « كشف الهموم ، ق ١٠٤ أ » ـ (طيب النغمة وقوة الضرب بالآلة ومعرفة الألحان وحفظ الاشعار ، لأنها وضعت على اربع اصول : التاليف ، والتصنيف ؛ والتحسين ، والتلحين · فالتاليف هو أن يؤلف النغمة على الشعر المصنف من قديم الزمان لغيره من الشعراء الماضين · والتصنيف هو أن ياخذ الكلام نثرا فيجعله نظما متواليا بعضه تابع لبعض · والتحسين والتلحين هو التنتنة فى المغنى ، وهو حبل الطرب وقوته) · هذا ، ويذكر ابن خلدون : « المقدمة ، ص ٣٥٧ ـ ٣٥٨ » أن صناعة الغناء ، هى (آخر ما يحصل فى العمران من الصنائع ، لأنها كمالية فى غير وظيفة من الوظائف الا وظيفة الفراغ والفرح ، وهى ايضا اول ما ينقطع من العمران عند اختلاله) وهو ما سنرد عليه فى هذا الكتاب ·

والمواضع الحسنة ولكل منظر رائق وحديقة مؤنقة[٣] . ومنه مايعرض عند الخوف، وذكر الموت، والفجيعة، والنعى، والفراق، والهلة السنية، ولقاء المحبوب . فأما الطرب للغناء[٤] ، فطرب كل إنسان على ما يوافقه ويأتى على ما فى نفسه)[٥] .

ذلك أن الناس (يختلفون فى الطرب بقدر مايرد فى الشعر الذى هو صفة حال السامع ، من هجر أو وصل أو فراق أو اجتماع أو بعد أو قرب أو صحة أو سقم أو غرام أو سلو أو سرور أو حزن)[٦] .

بمعنى أن سماع الصوت الحسن والنغمة الطيبة يختلف باختلاف أحوال المستمع ، فقد يكون سماع الشخص (بمجرد الطبع ، أى لاحظ له فى السماع إلا استلذاذ الألحان والنغمات)[٧] وهو أخس رتب السماع ، إذ البهائم شريكة له فيه[٨] .

---

(٣) المعروف أن لكل حاسة من حواس الانسان ادراكا ، وأن فى مدركات كل حاسة ما يستلذ ويكره ، فلذة حاسة البصر — مثلا — (فى المبصرات الجميلة كالخضرة والماء الجارى والوجه الحسن وسائر الألوان الجميلة ، وهى فى مقابلة ما يكره من الالوان الكدرة والقبيحة) النويرى : نهاية الارب ، ج ٤ ، ص ١٦٣ — ١٦٤ .

(٤) يذكر الراغب الاصبهانى : « محاضرات ، جـ٢ ، ص ٧١٨ » أن أجود الغناء (ما أطربك والهاك وأحزنك وأشجاك) ، وأنه على حد قول : الحسن بن احمد : « كمال أدب ، ص ١٩ » الذى (يطرب ذوى المعرفة به) .

(٥) ابن الطحان : سلوة المحزون ، ق ٢٠ .

(٦) ابن الطحان : سلوة المحزون ، ق ١٢٢ ، كذا انظر : المشهدى : كشف الهموم ، ق ١٣٥ ب : ١٣٦ ب .

(٧) الغزالى : احياء ، جـ٦ ، ص ١٦٩ ، كذا انظر : النويرى : نهاية الأرب ، جـ٤ ، ص ١٧٥ . المقدسى : حل الرموز ، ق ٤٨ ب : ٤٩ أ . هذا ، والمعروف أن النغمة صوت لابث زمانا محسوسا على حد من الحدود ، من الحدة والثقل ، وأن لكل نغمة ضدا من الحدة والثقل ، وأن أسباب الثقل (طول الوتر وارخاؤه وغلظه وسعة الثقب فى الالات ذوات النفخ وبعدها من فم النافخ . وأسباب الحدة : قصر الوتر ونقله وتزبيره وضيق الثقب وقربه من فم النافخ) ، وأن الصوت يتقدم على النغمة ، وأن لا نغمة الا بصوت ولا صوت الا بقرع ، ولا أصوات مؤتلفة الا بنغم ، وأن النغم الذى يحدث من الاوتار — عندما تهتز — انما يحدث نتيجة تموج الهواء حول الأوتار ثم نفاذه الى تجويفات ومنافذ الآلة ، فاذا انحصر فيها أحدث دويا . عبد المؤمن : أدوار الايقاع ، ق ٤ : ٦ ، الرسالة الشرفية ، ق ٢ ، زين الالحان ، ق ٤ ، الحسن بن أحمد : كمال أدب ، ص ٤١ ، ابن سينا :رسالة فى الموسيقى ، ص ٤٠٦ ، العاملى : الكشكول ، جـ٢ ، ص ٤٤ ، ابن خلدون: المقدمة ، ص ٣٥٣ .

(٨) يقول محمد بن بشير : وما أفهم ما يعنى   مغنيه اذا غنى
ولكنى من حبى   له استحسن المعنى . النويرى : نهاية الأرب ، جـ٥ ، ص ١١٩ .

وقد يكون سماعه (بفهم ، ولكن ينزله على صورة مخلوق إما معينا وإما غير معين ، وهو سماع الشباب وأرباب الشهوات ، ويكون تنزيلهم للمسموع على حسب شهواتهم ومقتضى أحوالهم)[٩] .

الحالة الثالثة : (أن ينزل ما يسمعه على أحوال نفسه فى معاملة الله تعالى ، وتقلب أحواله فى التمكن مرة والتعذر أخرى)[١٠] ، وهو سماع المبتدئين من المريدين .

الحالة الرابعة : (سماع من جاوز الأحوال والمقامات ، فعزب عن فهم ما سوى الله تعالى ، حتى عزب عن نفسه وأحوالها ومعاملاتها)[١١] ، وهو ماعبرت عنه الصوفية بالوجد .

فالطرب إذن يورث لذة ، قد تكون بعقل فتفيد أو بلاعقل (فلا تقوم منفعة تلك اللذة بما يحصل من غيبة العقل)[١٢] .

(٩ : ١١) الغزالى : احياء ، جـ٦ ، ص ١٦٩ ، كذا انظر : النويرى : نهاية الارب ، جـ٤ ، ص ١٧٥ — ١٧٦ . السلمى : طبقات الصوفية ، ص ٣٧٠ .

(١٢) ابن تيمية : مجموعة الرسائل الكبرى ، جـ٢ ، ص ٢٩٥ (كتاب السماع والرقص) . هذا ، ويذكر نفس المؤلف ، « فى نفس الكتاب ، والجزء ، ص ٢٩٧ » أن الطرب لا يورث الا لذة بغير عقل .

وإذا غاب العقل فعل الإنسان (ما يستقبحه في حال صحته من غيره ، من تحريك رأسه وتصفيق يديه ودق الكعب برجليه)[١٣] ، وفرح ورقص[١٤] .

والرقص – مثلا وكما هو معروف – (سبب في تحريك السرور والنشاط)[١٥] وإظهار (السرور بالنغمات والشعر والرقص والحركات محمود)[١٦] .

فبمناسبة عيد الأضحى المبارك ، أوكب السلطان الغورى على العادة ، ثم توجه إلى قبة الأمير يشبك الدوادار التي بالمطرية ، حيث انشرح صدره هناك ، (وحضر عنده جماعة من المغاني وأرباب الآلات ، ورسم لبعض الأمراء العشرات بأن يرقص ، فقام ورقص بين يدى السلطان ، فرسم له بمائة دينار)[١٧] .

وحينما نزل نفس السلطان المقياس في يوم عاشوراء من سنة (٩١٨ هـ / ١٥١٢ م) وأحضر بين يديه المغاني وأرباب الآلات ، قام شخص مضحك فرقص (ثم سحب الوالي كرتباى فرقصة ، ثم سحب أمير آخور ثاني أقباى الطويل فرقصه ، ثم سحب بركات بن موسى المحتسب فرقصه ، ثم سحب عبد العظيم الصيرفي فرقصه ... وابتهج في ذلك اليوم)[١٨] .

هذا ، ومن الصوت والنغمة ما يبكي ، ويكمد ، ويلهي ، ويشجى .

من ذلك أن الشيخ البلطي (ت ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م) (أحضر يوماً بعض المطربين المحسنين ، فغناه صوتاً أطربه ، فبكى البلطي ، فبكى المطرب ، فقال له

---

(١٣) ابن الجوزى : تلبيس ابليس ، ص ٢٣٦ .

(١٤) السلمى : طبقات الصوفية ، ص ٥٠٠ .

(١٥) الغزالى : احياء ، جـ٦ ، ص ١٩٤ ، كذا انظر : النويرى : نهاية الأرب ، جـ٤ ، ص ١٨٥ ، ابن الحاج : المدخل ، جـ١ ، ص ١٥٤ – ١٥٥ .

(١٦) النويرى : نهاية الأرب ، جـ٤ ، ص ١٦٩ .

(١٧) ابن اياس : بدائع ، جـ٤ ، ص ١٧٠ – ١٧١ ، سنة ٩١٥ هـ .

(١٨) ابن اياس : بدائع ، جـ٤ ، ص ٢٥٤ – ٢٥٥ ، سنة ٩١٨ هـ .

البلطي : « أما أنا فأبكي من استفزاز الطرب ، وأنت ما أبكاك » ؟ فقال : « تذكرت والدى ، فإنه كان إذا سمع هذا الصوت بكى »)[١٩] .

وصوت الدف يطرب ويحزن كما (يستجلب به الدمع عند انكتامه)[٢٠] .

فابن الملقن يذكر ، أن الزاهد زهير بن هرماس الأدفوى (ت ٦٠٠هـ/١٢٠٣م) وأتباعه (كانوا في مكان في مقابل جزيرة بادفو به مغنية تغني في عرس ... وفي يد هادف)[٢١] .

وحينما خرج الأمير ملكتمر الحجازى من سجن الإسكندرية ، استقبلته زوجته خوند الحجازية بنت الملك الناصر محمد بن قلاون (بجواريها وخدامها ومغانيها تضرب بالدفوف والشبابات فرحاً به)[٢٢] .

وحينما نقل تابوت الملك الصالح نجم الدين أيوب من قلعة الروضة إلى تربته في بين القصرين أقيم (المأتم بالدفوف)[٢٣] .

وبعد أن توفي الملك السعيد محمد بن الظاهر بيبرس ، وأقيمت له العزاء في جميع البلاد ، خرجت (الخوندات حاسرات بجواريهن يلطمن بالملاهي والدفوف أياماً عديدة)[٢٤] .

---

(١٩) ذكر ياقوت : « معجم الادباء ، جـ١٢ ، ص ١٤٢ » أن الشيخ البلطي كان قد انتقل من الموصل الى مصر ، حيث حظى فيها – وحتى يوم وفاته – برعاية صلاح الدين الأيوبي ، اذ رتب له جاريا يقرأ به النحو والقرآن الكريم على جامعها . كذا انظر : ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ٧ ، ص ٣ : ٤ .

(٢٠) الأدفوى : الامتاع ، ق ١١٢ .

(٢١) ابن الملقن : طبقات ، ص ٤٣٤ .

(٢٢) المقريزى : السلوك ، جـ٢ ، ق٢ ، ص ٥٩٥ ، سنة ٧٤٢ هـ . كذا انظر : ابن تغرى ، بردى : النجوم ، جـ١٠ ، ص ٥٢ ، سنة ٧٤٢ هـ .

(٢٣) المقريزى : السلوك ، جـ١ ، ق ١ ، ص ٣٧١ ، سنة ٦٤٨ هـ .

(٢٤) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ٧ ، ص ٢٧١ ، سنة ٦٧٦ هـ .

وإثر الإعلان عن وفاة الملك الصالح إسماعيل ، دارت (الجوارى بالملاهى يضربن بالدفوف)(٢٥) .

كذلك قيل ، إن الفقيه الشافعى عبد القوى بن جعفر الأسنائى (ت ٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م) الذى درس بالمدرسة الأفرمية بمدينة قوص — (أوصى أن تخرج جنازته بالدفوف والشبابة)(٢٦) .

أما السر فى الاستراوح بالدف ، فلأن (النفس تمل العبادات ، فتستريح بسماع الغناء والدفوف … وقد رأيت من حصل عنده ضيق يستدعى الغناء والدف ، فيسيل دمعه ، فيحصل له استرواح)(٢٧) .

وصوت الشاهين أيضاً (مرقق محزن ، يحلل عقدة الشجاعة ، ويضعف صرامة النفس ، ويشوق إلى الأهل والوطن ، ويورث الفتور فى القتال . وكذا سائر الأصوات والألحان المرققة للقلب)(٢٨) بخلاف المضخمة — لذلك حرم الضرب بها فى معسكر الغزاة(٢٩) .

والأرغون قد يسمعك صوتاً يبكيك أو ينيمك (ويسمعك صوتاً يشجى ويلهى ، ويسمعك صوتاً يطرب ويرقص ، ويسمعك صوتاً يسحر ويذهب بالعقل)(٣٠) .

---

(٢٥) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١٠ ، ص ٩٨ ، سنة ٧٤٣ هـ ٠

(٢٦) الادفوى : الطالع ، ص ٣٣٣ ٠ اما سر الاستعانة بالشبابة ، فلكونها تجرى الدمع وترق القلب ٠ الادفوى : الامتاع ، ق ١١٧ ب ٠

(٢٧) نفسه : الامتاع ، ق ١١٢ أ : ١١٢ ب ٠

(٢٨ ، ٢٩) الغزالى : احياء ، جـ٦ ، ص ١٤٩ — ١٥٠ ٠ كذا انظر : النويرى : نهاية الارب ، جـ ٤ ، ص ١٦٨ ٠ هذا ، والمعروف أن الالحان هى الاصوات ذوات النغم والايقاع ٠ الحسن بن أحمد : كمال أدب ، ص ٢٥ ٠ كذا انظر : ابن نباتة : سرح العيون ، ص ٢٢٥ ٠

(٣٠) مجهول : صناعة الأرغون ، ص ٢٩٤ ٠ كذا انظر : المسعودى : مروج الذهب ، جـ٨ ، ص ٨٩ ، الخوارزمى : مفاتيح العلوم ، ص ٢٣٦ ٠

أما صوت العود ، ففيه (غذاء للأرواح ، ويجلب الأفراح ، ويذهب الأتراح وينعش القلوب ، ويجلى الكروب)(٣١) .

وكذا جميع آلات الطرب (تجمع الفرح والحزن)(٣٢) .

وعلى ذلك ، لم يكن عجباً أن نسمع ، أن محمد بن عيسى بن كر الحنبلى — إمام عصره فى الموسيقا (ت ٧٦٣ / ١٣٦١ م) (غنى فأضحك ، وغنى فأبكى ، وغنى فأنام . فرأيت بعينى(٣٣) منه ماسمعته أذنى عن الفارابى ، فصدق الخبر الخبر ، وحقق العين الأثر)(٣٤) .

ومن الألحان أيضاً : مايزيل العقل حتى ينشى أو يموت سامعها ، وذلك من شدة ما لحق به من وجد(٣٥) .

ومنها مايحسن الشجاعة ، ويحمل الطياش على التأنى ، ويكسب النشاط والحركة والسكون .



---

(٣١) ناصر الكلبى : بلوغ الأوطار ، ق ٤ ٠

(٣٢) المشهدى : كشف الهموم ، ق ١٣٥ أ ٠

(٣٣) يقصد العمرى ، فهو الراوى ٠

(٣٤) ابن تغرى بردى : المنهل — ترجمـــة محمد بن عيسى بن كر — ٠ هذا ، والمعروف أن اللحن الرهاوى هو الذى يسبب شدة البكاء ، وعشاق شدة الضحك ، وزنكولة شدة النوم ٠ مخطوطة : زين الألحان ، ق ٨٢ ٠

(٣٥) عن امثلة ، راجع — مثلا — المشهدى : كشف الهموم ، ق ١٣٥ ب : ١١٣٦ ، المقدسى : حل الرموز ، ق ١٤٥ ، الراغب الاصبهانى : محاضرات ، جـ٢ ، ص ٧٢١ ، ابن الجوزى : تلبيس ، ص ٢٥٧ ، الذهبى : تاريخ الاسلام ، م ١٨ ، ص ١٩٨ ، سنة ٦٢٠هـ ابن كثير : البداية ، جـ١٣ ، ص ٣٨ ، ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٣ ، ابن الملقن : طبقات ، ص ١٦٢ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ١٢ ، ص ١٩٨ ، سنة ٦٢٠ هـ ، البورينى والنابلسى : شرح ديوان ابن الفارض ، جـ١ ، ص ٤ ، ٨ ، ٩ : ١١ ٠

ألا ترى — مثلا — (أن أهل الصناعات كلها إذا خافوا الملالة والفتور على أبدانهم ترنموا بالألحان ، فاستراحت أنفسهم)[٣٦]. أما السر فى ذلك ، فلأن النفس (عند سماع النغم والأصوات يدركها الفرح والطرب — بلاشك — فيصيب مزاج الروح نشوة يستسهل بها الصعب ، ويستميت فى ذلك الوجه الذى هو فيه ... ويزيد ذلك تأثيراً إذا كانت الأصوات متناسبة كما فى الغناء)[٣٧] ، وذلك لأن اللحن زائد فى معنى الشعر وبهائه (والأحسن فيه أن يكون مطابقاً لما ركب عليه ، مقوياً له ، فإن كثيراً من الألحان قد تصح كثيراً من الأشعار وتنقص من بهائها ، وقد تحسن كثيراً منها وتزيد فى بهائه وتغطى عيوبه)[٣٨].

وليس أدل على فعل اللحن فى إكساب النشاط والحركة ، فإنجاز العمل فى أيسر مدة، من أنه حدث عندما ذهب السلطان المنصور قلاون إلى جهة البحيرة ، لحفر البحر المعروف بالطيرية ، وباشر العمل بنفسه وأولاده ومماليكه ، وحضر إليه جمع غفير من الناس بالطبلخانات (وحضرت مغانى العرب وغيرهم من كل جهة فنجز العمل فى أيسر مدة)[٣٩].

ولعين السبب، نودى بخروج الناس للعمل فى حفير البحر تجاه منشاة المهرانى، فخرجت طوائف الناس (ومع كل طائفة الطبول والزمور)[٤٠].

ومن الألحان كذلك، ماتحيل الساخط إلى الرضى ، والقاسى إلى الرقة ، وتسبب

(٣٦) ابن عبد ربه : العقـــد الفريد ، جـ٧ ، ص ٣ ، كذا انظـــر : الابشيهى : المستطرف ، جـ٢ ، ص ١٨٣ .

(٣٧) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢١٥ .

(٣٨) الحسن بن احمد : كمال ادب ، ص ٢٧ . كذا راجعه ، ص ٧٧، ابن الطحان: سلوة المحزون ، ق ١١٠ أ ، ابن سيده : المخصص ، جـ٤ ، ص ١٧ .

(٣٩) ابن عبد الظاهر : تشريف الايام ، ص ٢٦ .

(٤٠) المقريزى : السلوك ، جـ٤ ، ق ١ ، ص ٣١٢ ، سنة ٨١٨ هـ .

الانقباض والانبساط[٤١] وتحرك النفس إلى جهة الكرم ، ومقابلة سؤال السائل بالعطـــاء .

من ذلك هذا الصوت :

(عارى العظام بعيد الهم منصلت للقوم ليـــله لا ماء ولا قمر

قد يفزع البزل منه حين يبصره حتى تقطع فى أعناقها الجرر

فالسامع لهذا الصوت يكاد عند الخروج من النشيد إلى البسيط[٤٢] يفزع ويرتجف عند قوله : قد يفزع ...)[٤٣].

ومن الألحان أيضاً، ما استعملته الحكماء فى الحروب، لتكون (أشد تحريكا لأفئدة الرجال، وأشد هزاً لطبائعهم، وتحريضاً لهم وأربط لجأشهم، وأ كسر لقلوب أعدائهم ، وأفت فى أعضادهم، وأدخل للذعر والوجل عليهم)[٤٤]، إذا أن بعضها (بمنزلة السموم ، مثل الأصوات الهائلة المهلكة وآلاتها)[٤٥].

واستعملته أيضاً فى المداواة، إذ زعم (أهل الطب أن الصوت الحسن يسرى فى

(٤١) راجع : ابن الطحان : سلوة المحزون ، ق ٨ ب ، ١٠ ب .

(٤٢) النشيد : (ما ابتدىء فى أول أبيات شعره او فى اقسام كلامه ـ اذا لم يكن شعرا ـ بكلمات غير منغمة) أما البسيط ، فهى قطعة يصـــاغ فيها ايقاع ثقيل . الحسن بن احمد : كمال أدب ، ص ٨٢ ـ ٨٣ ، فارمر : تاريخ الموسيقى العـــربية ، ص ٢٨٧ .

(٤٣) الحسن بن احمد : كمال أدب ، ص ٢٨ . كذا انظر : الغزولى : مطالع البدور ، ص ٢٢٩ .

(٤٤) ابن منكلى : الحيل فى الحروب ، ق ٢١٢ ، كذا انظر : التدبيرات السلطانية، ق ١٧ أ : ١٧ب ، الكرودى : كشف الغمة ، ق ٤١ ، السقا : مختصر السعى ، ق ٢١ ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢١٥ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٤ ، ص ٨ ـ ٩ ، ص ١٣ ، جـ٥ ، ص ١٣٥ .

الجسم ويجرى فى العروق ، فيصفوا له الدم ، ويرتاح له القلب ، وتنمو له النفس ، وتهتز الجوارح ، وتخف الحركات ، ومن ذلك كرهوا للطفل أن ينوم على إثر البكاء حتى يرقص ويطرب)[٤٦] .

كذلك زعموا، أن الألحان التى ريحها لين ينحط فيها الطرب ، ومن ثم يصير (سماعها لين رطب ، يسمعه الضعيف يبرىء من مرضه ، وهو الذى يوافق صاحب البلغم ، ولأجل هذا جعل فى البيمارستان عند من يعتريه خلط أو جنون، من يضرب له بالآلة حتى يروق ذهنه ويهدى عنه مايجده من ذلك المرض ، لأن الطرب ينعش الجسد السقيم، ويطيش عقل الصحيح)[٤٧] .

لذلك ، ولأن فى سماع العود (نفع للجسد ، وإعتدال فى المزاج ، ويرطب الدماغ ، ويرزن العقل)[٤٨] ، أشرط السلطان قلاون فى وقفه لبيمارستانه « المنصورى » (أن فى كل ليلة يحضر من أرباب الآلات أربعة ،يضربون بالعود، حتى يسامروا الضعفاء ، وأجرى عليهم الجوامك فى كل شهر)[٤٩] .

---

(٤٦) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ٧ ، ص ٣ ، كذا أنظر : الأبشـــــيهى ، المستطرف ، جـ٢ ، ص ١٨٢ .

(٤٧) المشهدى : كشف الهموم ، ق ٢٦ب . هذا ، ويذكر اخوان الصفا « جـ١ ، ص ٨٧ ، ٩٨ » أنه اذا ألفت النغمات (فى الألحان المشاكلة لها ، واستعملت تلك الالحان فى أوقات الليل والنهار المضادة طبيعتها طبيعة الأمراض الغالبة والعلل العارضة ، سكنتها وكسرت سورتها وخففت على المرضى الامهم ، لأن الأشياء المتشابكة فى الطباع اذا كثرت واجتمعت قويت افعالها وظهرت تأثيراتها وغلبت اضدادها ، كما يعـــرف الناس فعل ذلك فى الحروب والخصومات) .

(٤٨) ناصر الكلبى : بلوغ الأوطار ، ق ٤ .

(٤٩) ابن اياس : بدائع ، جـ١ ، ص ١ ، ص ٣٥٣ ، سنة ٦٨٢ هـ ، « هذا ، ويقال ان اخوان الصفا : « رسائل ، جـ١ ، ١٠٠ – ١٠١ ، ص ١٥٧ ، قد اســتخرجوا لحنـا استعملوه فى المارستانات وقت الأسحار ، يخفف من ألم الأسقام ويشفى كثير من الأمراض ، وزعموا والحكماء أن أوتار العود جعلت أربعة بازاء الطبائع الاربعة فى الانسان ، فوتر الزير بازاء المرة السوداء ونغمته تقوى خلط الصفراء وتزيد فى قوتها

هذا ، وقد يتوصل بالألحان إلى خيرى الدنيا والآخرة ، (فن ذلك أنهـا تبعث على مكارم الأخلاق ، والتجاوز عن الذنوب ، وقد يبكى الرجل على خطيئته ويتذكر نعيم الملـكوت ويتمثله فى ضميره)[٥٠] ولبعض الصوفية وأهل الرهبنة

وتزيد فى قوته وتأثيره وتضاد خلط السوداء ، ووتر المثلث بازاء البلغم ونغمته تقوى خلط البلغم وتزيد فى قوته وتأثيره وتضاد خلط الصفراء وتكسر حدتها . ووتر البم بازاء المرة الصفراء ونغمته تقوى خلط السوداء وتزيد فى قوتها وتأثيرها وتضـــاد خلط الدم وتمكن فورانه » . فاذا اعتدلت اوتار العود (المرتبة على ما يجب ، جانست الطبائع ، فانتجت الطرب ، وهو رجوع النفس الى الحالة الطبيعية دفعـــة واحدة) . ابن نباتة : سرح العيون ، ص ٢٣٦ . هذا ، مع ملاحظة أن هذا التـأثير فى العلاج يتعدى العود الى الارياح الموسيقية الأربعة ، فما كان ريحه منها حار رطب وسمعه انسان (يكون الغالب عليه الدم ، فانها تصفى لونه وتروق مزاجه وتنعش الحرارة فى جسده وتقوى قلبه وتعطيه من الطرب ما لا يسمعه من غيره فى عمره ، وهى طيبة الريح تنعش القلب وتحيى النفس ، وسماعها لذيذ حلو رقيق بخلاف غيرها. الجنس الثانى ، ريحه طيبة وهى حارة يابسة ... وسماعها لذيذ طيب اذا سمعه صاحب الصفراء ازداد عقله وقوى فهمه وانشرح قلبه وحن الى ذلك السماع الطيب ... الجنس الثالث ، ريحه رديئة خبيثة طبعها البرودة واليبوسة ... اذا سـمعه صـاحب السوداء ارتاحت نفسه اليه وتحركت أعضاؤه بالطرب . الجنس الرابع ، ريحه لينـة وهى طبع البرودة ... سماعها لين رطب يسمعه الضعيف يبرىء من مرضه) . المشهدى : كشف الهموم ، ق ٢٥ أ : ٢٦ب ، كذا أنظره ، ق ٦١ ، حسن بن أحمد : روضة المستهام ، ق ٤٨ ، فما بعدها . هذا ، ومع أن أثر الموسيقا العلاجى مأخوذ عن الآراء اليونانية ، فان البعض يذكر أن حكماء الهند كانوا (يسمعون الغناء للمريض ويزعمون انه يخفف العلة ويقوى الطبيعة) وان العرب قد تعلموا ذلك منهم . الراغب الأصفهانى : محاضرات ، جـ٢ ، ص ٧١٥ ، الغزولى : مطالع ، جـ١ ، ص ٢٣٠ .

(٥٠) الأبشيهى : المســـــتطرف ، جـ٢ ، ص ١٨٣ ، وعن أمثـــــلة لاقامة بعض المتصوفة السماع بالدف والشبابة والطبول والتصفيق وبالغناء ، راجع : الادفوى : الطالع ، ص ٣٨٥ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ابن الملقن : طبقات ، ص ٤٥٤ ، ابن العمـــاد : شذرات ، جـ٥ ، ص ١٥٢ ، سنة ٦٣٢ هـ ، جـ٨ ، ص ٢٧٥ ، سنة ٩٤٨ هـ ، ابن حجر : لسان الميزان ، جـ٤ ، ص ٣١٨ – ٣١٩ ، البوريني والنابلسى : شرح ديوان ابن الفارض، جـ١ ، ص ٤ ، ٨ ، ٩ : ١١ ، السخاوى : التبر ، ص ٢٢٠ – ٢٢١ ، سنة ٨٥٣ هـ ، ٢٦٩ ، سنة ٨٥٣هـ ، ابن الحاج : المدخل ، جـ١ ، ص ١٥٤ – ١٥٥ ، ابن كثير :

— كما هو معروف — (نغمات وألحان شجية يمجدون الله تعالى بهـا ، ويبكون على خطاياهم ، ويتذكرون نعيم الآخرة)[٥١] .

وبعد ، فإذا كان قد اتضح لنا أن السماع فطرى فى الإنسان ، خاصة وأن من خصائصه أنه (يصفى الفهم ، ويرقق الذهن ، ويلين العريكة ، ويثنى الأعطاف ، ويشجع الجبان ، ويسخى البخيل)[٥٢] لم يكن غريباً أن نقرر أنه على الرغم من أن الدولة الأيوبية وإن قامت وليدة جهاد الصليبيين — على خلاف السابقة عليها وهى الدولة الفاطمية ، واللاحقة لها،وهى الدولة المماليـكية — فإن شئون الطرب لم تهمل فيها كلية .

بدليل أن صلاح الدين الأيوبى وإن كان قد أقسم — بعد دخوله القاهرة — ألا (تضرب له نوبة حتى يكسر الفرنج)[٥٣] ، وتقمص لباس الجد[٥٤] ، بل وهادن الفرنج فى سنة (٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م) من أجل منفية أحبها نور الدين ابن قرا أرسلان بن داود ، صاحب حصن كيفا وغيره من ديار بكر[٥٥] ، إلا أنه ورجاله لم يعدلوا عن السماع ، — ولو لمعاودة نشاطهم المهموم — .

فالأصفهانى يخبرنا بأن صلاح الدين الأيوبى ما لبث فى سنة (٥٨٤هـ/١١٨٨م) أن طلع ليلا إلى قلعة حماة (وسر بما رأى لها من الحصانة والرفعة . . وحضرنا وأمير المدينة معناو السلطان قد أجلسنا بحضرته ورفعنا ، والنادى قد جمعنا ، والشادى قد أسمعنا ، والأغاريد تطرب ، والأناشيد تعرب)[٥٦] .

---

(٥١) الأبشيهى : المستطرف ، جـ٢ ، ص ١٨٢ .

(٥٢) الراغب الأصفهانى : محاضرات ، جـ٢ ، ص ٧١٥ ، كذا أنظر : الحسن بن أحمد : كمال أدب ، ص ٢٢ : ٢٤ ، ٨٢ : ٨٣ ، الفـــارابى : الموسيقى الكبير ، ص ٦٢ : ٧٧ .

(٥٣) المقريزى : السلوك ، جـ١ ، ق ١ ، ص ٦٤ ، سنة ٥٧٣ هـ . هذا ، والمقصود بالنوبة هنا الآلات النوبتية « الطبول والأبواق والكوسات » أنظر اللوحات رقم (٤ : ٦) .

(٥٤ ، ٥٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ١١ ، ص ٤٦٤ ، ص ٤٦٦ ، سنة ٥٧٦ هـ .

كذلك يروى لنا ابن العماد ، أن الشاعر نور الدين الأسعردى (ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) مالبث أن حضر (يوماً عند صلاح الدين يوسف ، فأعجبته عبارته ، فجعله نديماً[٥٧] ، وخلع عليه القباء والعمامة المذهبة . . وكان الغالب عليه المجون وأفرد هزلياته فى كتاب سماه سلافة الزرجون فى الخلاعة والمجون)[٥٨] .

يضاف إلى ذلك ، ما أولاه صلاح الدين والملك العزيز (٥٩١ هـ : ٥٩٥ هـ / ١١٩٤ : ١١٩٨ م) من حظوة للموسيقيين أبو ذكريا البياسى وأبو نصر ابن المطران[٥٩] .

---

(٥٧) يذكر النواجى : « حلبة الكميت ص ١٩ ، ٣٧ » أنه (ينبغى أن يختار من الندماء : البلغاء والفصحاء وأرباب المروءات وذوى العقول والهيئات ، فذلك مما يورث حسن الشيم ويبعث على سلوك الأدب) ، وأنه ينبغى للنديم أن يكون (حسن البزة ، نبيل الهمة ، نظيف الكف ، نقى الظفر ، متعاهد تقليمه ، وتخليل أصابعه ، وغسل يديه ومعصميه ، وتسريح لحيته ، عطر البشرة ، نظيف الوجه والشارب والأنف ، نقى الجبين ، مستعملا للسواك ، نظيف الثياب خصوصا عمامته ، لأن العين كثيرا ما تقع عليها ، مسبول الذيول وأطراف الأكمام ، نظيف المخفى من الملبس كالقلنسوة والسراويل والتكة والخف والمنديل والكم ، متطيبا بالبخور والغالية ، والروائح على الشعر والثياب) كذا أنظر : ابن سنار : الوصلة الى الحبيب ، ق ١٢٠ ، أما الغــزولى : « مطـالع ، جـ١ ، ص ١٧٥ » فيضـيف الى هـذه الشروط ، أنه ينبغى للنـديم أن يكون (طيب المخبـر ، جميـل الشـاهد ، كثيـر المحـامد ، يملأ العيون قرة والنفوس مسرة ، يضحك الحزين اللف ، ويلهى الغضبان الأسف ، يجتلب السرور ، ويشرح الصدور ، يطرد الهموم والأحزان ، فيه مدعاة الى الطرب ... تلقى القلوب محبتها عليه ، وتميل النفوس بكليتها اليه ، ليس بينه وبين حباب القلوب حجاب ، ولا يغلق بينه وبين سويداواتها باب) كذلك يذكر النويرى : « نهاية الأرب ، جـ٤ ، ص ١٢٦ » أنه (ينبغى للنديم أن يكون كاتما خلق من قلب الملك ، يتصرف بشهواته ويتقلب بارادته ، لا يمل المعاشرة ولا يسأم المسامرة ، اذا انتشى يحفظ ، واذا صحا يتيقظ ، ويكون كاتما لسره ناشرا لبره) كذا راجع : ابن كشاجم : أدب النـديم ، ص ٧ ، ١٢ ، الطوسى : سـياست نامة ، ص ١٢٢ ، وانظر صـورته فى اللوحة رقم (١٠) .

(٥٨) ابن العماد : شذرات ، جـ٥ ، ص ٤٦٤ ، سنة ٦٥٦ هـ .

(٥٩) راجع : ابن ابى اصيبعة : عيون الأنباء ، جـ٢ ، ص ١٦٣ ، فارمر : تاريخ الموسيقى العربية ، ص ٢٨٠ ، ٢١٨ .

كذلك حدث فى سنة (٥٨٧ هـ / ١١٩١ م) أن كان الملك العادل وملك انجلترا (يجتمعان ويتجاريان حديث الصلح ، وطلب [ريتشارد] من العادل أن يسمعه غنـــاء المسلمين . فأحضر له مغنية تضرب بالجنك[٦٠] ، فغنت له فاستحسن)[٦١] .

والذى لاشك فى هذا الأمر ، هو أن طول المحاربة بين الفريقين ، هى التى جعلت البعض يأتنس بالآخر (بحيث أن كانت الطائفتان تتحدثان وتتركان القتال ، وربمـا غنى البعض ورقص البعض ، لطول المعاشرة ، ثم يرجعون إلى القتال بعد ساعة)[٦٢] .

هذا ، ومن سيرة الملك الأفضل على بن الملك الناصر صلاح الدين — وقد ساءت بعد وفاة أبيه — نعرف أنه أقبل — فى افراط وتفريط — بدمشق (على القصف، والشرب، وسماع الأغانى والأوتار، ليله ونهاره . وأشاع عنه ندماؤه أن عمه الملك العادل لما كان عنده حسن له ذلك ورخص له فيه ، وأنه حضر عنده ليلة وهو فى شربه ولهوه[٦٣] ، فجلس وسمع الغناء واستحسن المجلس واستطاب ما هو فيه وندماؤه ، وقال للملك الأفضل : « أى حاجة بك إلى التكتم ، أعلن بمـا أنت فيه وأفعله ظاهراً ، فلاخير فى اللذات[٦٤] من دونها ستر » ، فقبل وصية

(٦٠) عن هذه الالة ، راجع مادتها فى الفصل الخامس ، وانظر اللوحة رقم (١٤) .

(٦١) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٢ ، ص ٧٣ ، سنة ٥٨٧ هـ .

(٦٢) ابن شداد : النوادر ، ص ١٠٨ ، وانظر شكل رقم ٢٣ .

(٦٣) اللهو : ما أشغل الانسان من هوى وطرب ونحوهما . ابن سيده : المخصص، جـ٤ ، ص ١٥ .

(٦٤) يذكر الراغب الاصفهانى : « الذريعـــة ، ص ١١٥ » ان (اللذة : ادراك المشتهى ، والشهوة : انبعاث النفس لنيل ما تتشوقه ... وجميع اللذات تنقسم عشرة اقسام : مأكل ومشرب ومنكح وملبس ومشم ومسمع ومبصر ومركب وخادم ومرفق من الالات وما اشبهها . وقد جعل ذلك سبعة وأدخل المركب والمرفق والخادم من جملة المبصرات) .

عمه ، وتظاهر بلذاته وصرف إليها سائر أوقاته)[٦٥] .

غير أن الملك الأفضل مالبث أن (ترك اللعب من غير سبب وتاب ، وأزال المنكرات ، وأراق الخمور ، وأقبل على العبادة، ولبس الخشن من الثياب، وشرع فى نسخ مصحف بخطه ، واتخذ لنفسه مسجداً يخلو فيه بعبادة ربه . وواظب على الصيام ، وجالس الفقراء ، وبالغ فى التقشف حتى صار يصوم النهـار ويقوم الليل)[٦٦] .

(٦٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٣ ، ص ٤٠ ، كذا انظر : أبو الفـــدا : المختصر ، جـ٣ ، ص ٩٠ ـ ٩١ ، سنة ٥٩٠ هـ ، المقريزى : السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص ١١٨ ، سنة ٥٩٠ هـ . هذا ، ويذكر ابن كثير : « البداية ، جـ١٣ ، ص ٩ ، سنة ٥٩٠ هـ » أن وزيره ضياء الدين ابن الأثير الجزرى هو الذى كان يحدوه الى ذلك (فتلف وأتلفه وأضله ، وزالت النعمة عنهما) .

(٦٦) المقريزى : السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص ١١٨ ـ ١١٩ ، سنة ٥٩٠ هـ ، كذا انظر : ابن واصل : مفرج ، جـ٣ ، ص ٤٠ ، سنة ٥٩٠ هـ ، أبو الفدا : المختصر ، جـ٣ ، ص ٩١ ، ابن أصيبعة : عيون الانباء ، جـ٢ ، ص ١١٧ ، هذا ويقال ان الملك الأفضل قد أصبح كثير الأسقام ، عصبى المزاج ، منقبض النفس نتيجة افراطه فى اللهو واقباله على الشهوات . لذلك طلب من الطبيب والفيلسوف موسى بن ميمون (١١٣٥ : ١٢٠٥ م) معالجته . فما كان من ابن ميمون الا أن كتب له مقالا بقصـــد (شـــفاء مولانا من أمراض ـ جعل الله الأسقام مجانبه لمقره العالى ، والصحة والســـلامة مصاحبتين له دائما ـ نظرا لأن مولانا يشكو من يبس الطبيعـــة وتحجرها فى أكثر الأوقات من تفكير واستيحاش وتوقع الموت وأنه كثير التخمة) بين له فيه ـ من ضمن ما بين ـ أن (الأقوام الذين راضوا أنفسهم على الأخلاق العظيمة أو الآداب والمواعظ الشرعية ، فانهم يكتسبون الشجاعة ، حتى لا تتأثر معها نفوسهم ولا تنفعل الا يسيرا بقدر ما ينبغى ، وكلما كان الشخص أكثر رياضة لنفسه كان أقل انفعالا فى جميع الأحيان ـ أعنى فى حالتى النعمة والنقمة ...) لذلك ولهداية من عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ وكرد فعل لسوء المسلك وتيقظ النفس ، عذف الملك الأفضل عما كان فيه ، وأقبل على التزهد . راجع : اسرائيل ولفنسون : موسى بن ميمون ، ص ١٤٦ : ١٥٠ ، ابن ميمون : تدبير الصحة ، ص ٦٦ : ٧٠ ،

Khoner H.Der mediziner : Maimonids im Kample mit dem theologen "Janus : Archives internationales Pour L'Histoire de la Medicine et la Geographie medicale, Tome, XXVIII".

كذلك حدث فى سنة (٥٨٧ هـ / ١١٩١ م) أن كان الملك العادل وملك انجلترا (يجتمعان ويتجاريان حديث الصلح ، وطلب [ريتشارد] من العادل أن يسمعه غنـــاء المسلمين . فأحضر له مغنية تضرب بالجنك[٦٠] ، فغنت له فاستحسن)[٦١] .

والذى لاشك فى هذا الأمر،هو أن طول المحاربة بين الفريقين ، هى التى جعلت البعض يأتنس بالآخر (بحيث أن كانت الطائفتان تتحدثان وتتركان القتال ، وربمـا غنى البعض ورقص البعض ، لطول المعاشرة ، ثم يرجعون إلى القتال بعد ساعة)[٦٢] .

هذا ، ومن سيرة الملك الأفضل على بن الملك الناصر صلاح الدين — وقد ساءت بعد وفاة أبيه — نعرف أنه أقبل — فى أفراط وتفريط — بدمشق (على القصف، والشرب، وسماع الأغانى والأوتار، ليله ونهاره . وأشاع عنه ندماؤه أن عمه الملك العادل لما كان عنده حسن له ذلك ورخص له فيه ، وأنه حضر عنده ليلة وهو فى شربه ولهوه[٦٣] ، فجلس وسمع الغناء واستحسن المجلس واستطاب ما هو فيه وندماؤه ، وقال للملك الأفضل : « أى حاجة بك إلى التكتم ، أعلن بمـا أنت فيه وأفعله ظاهراً ، فلاخير فى اللذات[٦٤] من دونها ستر» ، فتقبل وصية

(٦٠) عن هذه الالة ، راجع مادتها فى الفصل الخامس ، وانظر اللوحة رقم (١٤) .

(٦١) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٢ ، ص ٧٣ ، سنة ٥٨٧ هـ .

(٦٢) ابن شداد : النوادر ، ص ١٠٨ ، وانظر شكل رقم ٢٣ .

(٦٣) اللهو : ما أشغل الانسان من هوى وطرب ونحوهما . ابن سيده : المخصص، جـ٤ ، ص ١٥ .

(٦٤) يذكر الراغب الاصفهانى : « الذريعـــة ، ص ١١٥ » أن (اللذة : ادراك المشتهى ، والشهوة : انبعاث النفس لنيل ما تتشوقه ... وجميع اللذات تنقسم عشرة أقسام : مأكل ومشرب ومنكح وملبس ومشم ومسمع ومبصر ومركب وخادم ومرفق من الالات وما أشبهها . وقد جعل ذلك سبعة وأدخل المركب والمرفق والخادم من جملة المبصرات) .

عمه ، وتظاهر بلذاته وصرف إليها سائر أوقاته)[٦٥] .

غير أن الملك الأفضل مالبث أن (ترك اللعب من غير سبب وتاب ، وأزال المنكرات ، وأراق الخمور ، وأقبل على العبادة، ولبس الخشن من الثياب، وشرع فى نسخ مصحف بخطه ، واتخذ لنفسه مسجداً يخلو فيه بعبادة ربه . وواظب على الصيام ، وجالس الفقراء ، وبالغ فى التقشف حتى صار يصوم النهـار ويقوم الليل)[٦٦] .

(٦٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٣ ، ص ٤٠ ، كذا انظر : ابو الفـــدا : المختصر ، جـ٣ ، ص ٩٠ ـ ٩١ ، سنة ٥٩٠ هـ ، المقريزى : السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص ١١٨ ، سنة ٥٩٠ هـ . هذا ، ويذكر ابن كثير : « البداية ، جـ١٣ ، ص ٩ ، سنة ٥٩٠ هـ » أن وزيره ضياء الدين ابن الأثير الجزرى هو الذى كان يحدوه الى ذلك (فتلف وأتلفه وأضله ، وزالت النعمة عنهما) .

(٦٦) المقريزى : السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص ١١٨ ـ ١١٩ ، سنة ٥٩٠ هـ ، كذا انظر : ابن واصل : مفرج ، جـ٣ ، ص ٤٠ ، سنة ٥٩٠ هـ ، أبو الفدا : المختصر ، جـ٣ ، ص ٩١ ، ابن أصيبعة : عيون الأنباء ، جـ٢ ، ص ١١٧ ، هذا ويقال ان الملك الأفضل قد أصبح كثير الأسقام ، عصبى المزاج ، منقبض النفس نتيجة افراطه فى اللهو واقباله على الشهوات . لذلك طلب من الطبيب والفيلسوف موسى بن ميمون (١١٣٥ : ١٢٠٥ م) معالجته . فما كان من ابن ميمون الا أن كتب له مقالا بقصـــد (شـــفاء مولانا من أمراض ـ جعل الله الأسقام مجانبه لمقره العالى ، والصحة والســـلامة مصاحبتين له دائما ـ نظرا لأن مولانا يشكو من يبس الطبيعـــة وتحجرها فى اكثر الأوقات من تفكير واستيحاش وتوقع الموت وأنه كثير التخمة) بين له فيه ـ من ضمن ما بين ـ أن (الاقوام الذين راضوا أنفسهم على الأخلاق العظيمة او الآداب والمواعظ الشرعية ، فانهم يكتسبون الشجاعة ، حتى لا تتأثر معها نفوسهم ولا تنفعل الا يسيرا بقدر ما ينبغى ، وكلما كان الشخص اكثر رياضة لنفسه كان اقل انفعالا فى جميع الاحيان ـ أعنى فى حالتى النعمة والنقمة ...) لذلك ولهداية من عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ وكرد فعل لسوء المسلك وتيقظ النفس ، عذف الملك الأفضل عما كان فيه ، واقبل على التزهد . راجع : اسرائيل ولفنسون : موسى بن ميمون ، ص ١٤٦ : ١٥٠ ، ابن ميمون : تدبير الصحة ، ص ٦٦ : ٧٠ ،
Khoner H.Der mediziner : Maimonids im Kample mit dem theologen "Janus : Archives internationales Pour L'Histoire de la Medicine et la Geographie medicale, Tome, XXVIII".

كذلك اتفق بعد جلاء الفرنج عن دمياط فى سنة (٦١٨ هـ / ١٢٢١ م) أن اجتمع فى ليلة عند الملك الكامل محمد فى قصره — الذى ابتناه بالمنصورة — أخواه الملك المعظم عيسى — صاحب دمشق — والأشرف موسى — صاحب بلاد الشرق — وغيرهما من أقاربه وخواص مملكته على مجلس أنس ولذة وطرب، فأمر الملك الأشرف موسى جاريته ست الفخر بنت التاجر بالغناء ، فنهضت من فورها ، وقبلت الأرض ، وتناولت العود وأصلحته(٦٧) ، وغنت هذا الصوت :

ولما طغى فرعون عكا بيغيه(٦٨) وجاء إلى مصر ليفسد فى الأرض

أتى نحوهم موسى وفى يده العصا فأغرقهم(٦٩) فى اليم بعضا على بعض

فأعجب سيدها ذلك ، وطلب منها الإعادة(٧٠) ، فلما شق ذلك على الملك الكامل، أمر جاريته بالغناء ، (فنهضت ، وقبلت الأرض وتناولت العود وساوته — وكانت حاذقة — وغنت تقول :

أيا أهل دين الكفر قوموا وانظروا(٧١) لما قد جرى فى عصرنا(٧٢) وتجددا

(٦٧) الاصلاح او التسوية هو (امتحان الاوتار ، لتكون على ما ينبغى من الشد والارخاء وضرب المبادىء) الحسن بن احمد : كمال ادب ، ص ٧٦ .

(٦٨) كذا عند المقريزى : « السلوك » ، جا ، ق ١ ، ص ٢٠٩ ، سنة ٦١٨ هـ ، « الخطط » ، جا ، ص ٢٣٠ ، اما عند ابن واصل : « مفرج » ، ج٤ ، ص ١٠٥ ، وابن ايبك : « الدر المطلوب » ، ص ٢١٥ ، (وقومه) .

(٦٩) كذا فى « السلوك والخطط » ، اما فى « مفرج » « والدر » (فغرقهم) .

(٧٠) يذكر الراغب الأصبهانى : « محاضرات » ، ج٢ ، ص ١١٧ ، أن من حق الصوت الحسن (أن يعاد اربع مرات : الأولى بديهة ، والثانى تفهم ، والثالث للشرب، والرابع للشبع) اما عند ابن خلكان : « وفيات » ، جا ، ص ٣٨٩ ، (فالاولى بديهة ، والثانية للتفهيم ، والثالثة للفرح ، والرابعة للشبع) .

(٧١ ، ٧٢) كذا عند ابن ايبك : « الدر » ، ص ٢١٦ ، اما عند المقريزى : « السلوك » ، جا ، ق١ ، ص ٢١٠ ، (لتنظروا) ، (وقتنا) .

أعباد عيسى إن عيسى أتاكم(٧٣) وموسى جميعاً ينصران(٧٤) محمدا

فأعجب الملكان هذا الصوت ، وشربا وطابا ، ثم كان أن أمر الملك الكامل لجاريته وجارية أخيه الملك الأشرف بخمسمائة دينار .

كذلك قيل، إن خليفة بغداد كان قد أهدى الملك الكامل جارية تلعب بالكنكجاه تدعى نزهة القلوب ، وأن الملك الكامل رسم لمحمود الكندى العجمى تعليمها صناعة الموسيقا ، وأنه قال لهذا الأستاذ : (سمعت أنك تضرب بجميع الآلة كلها، وأنا أريد منك أن تضرب فى حضرتى بالكنكجا ، حتى أتفرج فيك وأبصر حسن أياديك ، وأعرف قدرك ، وأعلم بعلمك وفهمك ، فقال : « حباً وكرامة » ثم أخرج الكنكجا ووضعها على ركبته ، وهز أصابعه ، وحرك أياديه ، وشرع يغنى بصوته حتى عجبوا القوم منه ، وخيل للناظرين والحاضرين أن المجلس الذى هم فيه يرقص من قوة الطرب ، فضرب ثانياً ، والملك والحاضرون يقولون « هذا هو الطرب »(٧٥)) .

كذلك سمعناه أن الأديب الناظم صلاح الدين الأربلى (ت ٦٣١ هـ/١٢٣٣م) عندما خرج من أربل — بعد عزله عن حجابتها — سار إلى الشام فمصر ، حيث علت منزلته فيها وحظى عند الملك الكامل — فالأشرف موسى من بعده — .

غير أن الملك الكامل ما لبث أن تغير عليه فى سنة (٦١٨ هـ / ١٢٢١ م) — وقت أن كان قبالة الفرنج — واعتقله . فما كان من الأربلى إلا أن قام بعمل دوبيت (وأملاه لبعض القيان(٧٦) فغنت به ، فقال [الكامل] : « هذا لمن ؟ »

(٧٣ ، ٧٤) كذا عند ابن ايبك : « الدر » ، ص ٣١٦ ، وابن واصل : « مفرج » ، ج٤، ص ١٠٥ ، أما عند المقريزى : « السلوك » : « جا ، ق١ ، ص ٢١٠ ، (وقومه) ، (ينصرون) .

(٧٥) المشهدى : كشف الهموم ، ق ١٤٧ .

(٧٦) يذكر البغدادى : « خزانة الأدب » ، ج٤ ، ص ٢٢٩ ، انه (انما قيل لهـا قينة لانها تعمل بيديها مع غنائها) .

فقيل الصلاح الأربلى ، فأطلقه ، وعادت منزلته أحسن ما كانت)[٧٧] .

والدوبيت هو :

ما أمر تجنيك على الصب حق   أفنيت زمانى بالأسى والأسف
ماذاك غضب بقدر ذنبي ولقـــد   بالغت وما أردت إلا تلفى[٧٨]

وفى رواية ثانية إنه :

أصبح ماشئت أنت المحبوب   مالى ذنب – بلى – كما قلت ذنوب
هـل تسمح بالوصال فى ليلتنا   تجلو صدأ القلب وتعفو وأتوب[٧٩]

يضاف إلى هذا ، أنه كان بمصر مغنية تدعى عجيبة (قد أولع بها الملك الـكامل ، فـكانت تحضر إليه ليلا وتغنيه بالجنك على الدف فى مجلس يحضره ابن شيخ الشيوخ وغيره)[٨٠] ثم كان أن أتفقت قضية أراد الملك الـكامل أن يدلى فيها بشهادته ، ولـكنه فهم أن القاضى ابن عين الدولة لا يقبل بشهادته . ومع ذلك ، قال الملك الـكامل للقاضى : « أنا أشهد ، تقبلنى أم لا ؟ » فقال القاضى : « لا ما أقبلك ، وكيف أقبلك وعجيبة تطلع إليك بجنـكها كل ليلة ، وتنزل ثانى يوم بكرة وهى تتمايل سكرى على أيدى الجوارى »)[٨١] ، فشتمه السلطان . الأمر الذى جعل القاضى يشهد الحاضرين بأنه قد عزل نفسه (فقام ابن الشيخ إلى الملك الكامل وقال : « المصلحة إعادته ، لئلا يقال ، لأى شىء عزل القاضى نفسه ؟ وتطير الأخبار إلى بغداد ، ويشيع أمر عجيبة » ونهض إلى القاضى وترضاه ، وعاد إلى القضاء)[٨٢] .

---

(٧٧) ابن العماد : شذرات ، جـ٥ ، ص ١٤١ ، سنة ٦٣١ هـ · هذا ، ويقـــال ان الاربلى قد ظل بسجن الملك الكامل حتى سنة (٦٢٣ هـ/ ١٢٢٦ م) وانظر : ابن خلكان : وفيات ، جـ١ ، ص ١٨٥ ·

(٧٨ ، ٧٩) راجع : ابن خلكان : وفيات ، جـ١ ، ص ١٨٥ ، سبط ابن الجوزى : مرآة ، جـ٨ ، ص ٦٩٣ ، ابن العماد : شذرات ، جـ٥ ، ص ١٤٣ ، سنة ٦٣١ ، كامل [illegible] ص ٢١٥ – ٢١٦ ·

وبعد ، فإذا أخذنا بمقولة الشاعر :

إذا كان رب البيت بالدف ضارباً   فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

لم يكن مستغرباً أن يقبل الملك العادل ابن الملك الـكامل – وبعد أن استقل بملك مصر – على اللهو والملذات[٨٣] :

أما فى بلاد الشام ، فنسمع أن من مأثور قول الملك الأشرف بن الملك العادل : (ليس ثمرة الملك إلا الإستمتاع بالملاذ والراحات)[٨٤] .

كذلك ذكر أن الملك الأشرف موسى وأخيه الملك المعظم عيسى كانا بدمشق (فى الظاهر متصافيان متحابان متعاشران على اللهو والملذات)[٨٥] .

ومن ثم لم يكن مستغرباً أن نطالع مقولة الأشرف موسى لصاحب ملهى ، بعد أن شرب وطرب فى مجلس أنس عنده : (تمن على ، فقال : « تمنيت مدينة خلاط » ، فأعطاها له ... وكان له فى ذلك غرائب)[٨٦] .

هذا ، والظاهر أن إقبال الملك الأشرف موسى على الإستمتاع بالـملاذ

---

(٨٣) راجع : المقريزى : السلوك ، جـ١ ، ق٢ ، ص ٢٦٨ ، سنة ٦٣٥هـ ، ص ٢٧٥ ، سنة ٦٣٦ هـ ، ابن واصل : مفرج ، جـ٥ ، ص ١٧٤ ، سنة ٦٣٥ هـ ، ص ٢٦٢ ، سنة ٦٣٧ هـ ·

(٨٤) ابن واصل : مفرج ، جـ٥ ، ص ١٤٣ ، سنة ٦٣٥ هـ · كذا انظر : ابو الفدا : المختصر ، جـ٣ ، ص ١٤٧ ، سنة ٦٢٨ هـ · هذا ، ويقال ان الملك الاشرف بن العادل ما لبث بعد مرضه أن اقلع عن ملاذه ولهوه ، واقبل على التزهد حتى لحظة وفاته بدمشق فى سنة (٦٣٥هـ/ ١٢٣٧ م) راجع : ابو الفدا : المختصر ، جـ٣ ، ص ١٥٩ ، سنة ٦٣٥ هـ ·

(٨٥) ابن واصل : مفرج ، جـ٤ ، ص ١٨٠ ، سنة ٦٢٣ هـ ·

(٨٦) ابن خلكان : وفيات ، جـ٥ ، ص ٣٣٤ · هذا ويذكر نفس المؤلف ، فى نفس الجزء ، والصفحة ، أن النائب بها ، الامين حسام الدين ما لبث أن ترضى صاحبه

والراحات ، هو الذى جعل الملك الكامل يأمن جانب منافسته له فى الملك .

بدليل تخوف الكامل من الأشرف موسى حينما تحرك فى بلاد الشام ، وقفول الكامل راجعاً إلى مصر . وإذ جرى ذلك بعث الأشرف برسالة إلى الكامل ، قال له فيها : (أخذت الشرق منى وأعطيته لولدك ، وقد افتقرت ، وإيش هى دمشق إلا بستان ، ومالى فيها رزق ، فبعث إليه الملك الكامل بعشرة آلاف دينار ، فردها الأشرف عليه ، وقال : « أنا أعطى هذه لأمير عندى » ، فغضب الكامل وقال : « إيش يعمل الأشرف بالملك » ؟ ! تكفيه عشرته للمغانى وتعليمه صناعتهم)(٨٧) .

وعلى هذا النحو ، ظل الملك الأشرف مكثراً فى حياته من (التنعم بالمغانى والحبائب)(٨٨) .

كذلك شهدت بلاد الشام فى سنة (٦٣٥هـ / ١٢٣٧ م) صراعاً آخر بين الملك الجواد والملك الناصر داود — صاحب الكرك — إذ خرج الملك الجواد من دمشق يريد محاربة الملك الناصر داود ، والتقى وإياه بالقرب من نابلس ، فكسر الجواد الناصر وهزمه إلى الكرك .

وتقرباً من الملك الجواد إلى الله — سبحانه وتعالى — وأملاً منه فى خطب ود الدمشقيين ، نراه يفرق فيهم (ستمائة ألف دينار ، وخمسة آلاف خلعة ، وأبطل المكوس والخمور ونفى المغانى)(٨٩) .

وإذا أعقب ذلك عودة كل من كان من عسكر مصر فى دمشق بسناجقهم ، خاف الملك العادل (من تمكن الملك الجواد)(٩٠) .

---

(٨٧) ابن أيبك : الدر المطلوب ، ص ٣١٨ ، سنة ٦٣٤ هـ .

(٨٨) ابن كثير : البداية ، ج١٣ ، ص ٢٤٣ ، سنة ٦٢٢ هـ .

وإذ تيقن الملك الناصر داود من صعوبة تنفيذ أحلامه فى بلاد الشام ، تطلع إلى ملك مصر . شجعه على ذلك استيحاش (الأمراء والأكابر من العادل لتقريبه الشباب والترابى وإعطائهم الأموال والإقطاعات والاقتداء بآرائهم ، ولكثرة تحجبه واشتغاله باللهو عن مصالح الدولة)(٩١) .

وإذ عرف الملك الناصر داود من أين تؤكل كتف الملك العادل ، سار إليه من الكرك فى سنة (٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م) (ومعه تقادم فاخرة : مابين جوارى جنكيات ، وعوديات ، ورقاصات ، وأوانى للشرب بديعة ، فخرج العادل إلى لقائه ... وأكرمه ، وقدم له الناصر ما انتخبه له من الجوارى والأوانى وغيرها ، فصادف منه الغرض ، وعوضه عنه بأمثاله . ولازم الناصر القيام بخدمة العادل والإقامة فى بابه ، فتارة يعمل حاجب الباب ، وتارة إستاداراً ، وتارة دواداراً ، ليدخل فى كل وقت عليه ، ويتوصل متى شاء إليه ، وهو يظن أنه يستميل الأمراء عن العادل إلى جهته)(٩٢) .

ومن ناحية أخرى ، فلعل اتخاذ الحيل فى بيوتات الناس — وهى حيل تمثل صور الراقصين والراقصات وسائر الآلاتية وتتحرك عند سماع صوت نغمة منبعثة من فم صنم كبير أو نحوه(٩٣) ، وفى القول بأن غناء ذلك العصر كان (مما يحرك الطباع ويخرجها عن حيز الاعتدال ويثير كامنها من حب اللهو)(٩٤) — ما يؤكد حب الأيوبيين لسماع القرون بالمشاهدة .

(٩١ ، ٩٢) المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٢ ، ص ٢٧٥ ، سنة ٦٣٥هـ . هذا ، ونسمع انه كان للملك الناصر مجالس انس يحضرها الشعراء والماجنون ، من بينهم محمد بن محمد الاسعردى (ت ٦٥٠ هـ/ ١٢٥٢ م) الذى (كان من كبار شعراء الملك الناصر ، وله به اختصاص ... وكان ماجنا خليعا ... حضر ليلة عند الملك الناصر فى مجلس انس ، فخلع عليه قباء وعمامة وطوق ذهب) ابن شاكر : فوات ، ج٢ ، ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠ .

(٩٣) راجع ـ مثلا ـ الرزاز : الجامع بين العلم والعمل ، ق ١٩ب : ٢٣ب ، ١٢٩ : ٣١ب ، ٥٦ب ، ١٨٤ : ١٩١ .

(٩٤) ابن الجوزى : تلبيس ابليس ، ص ٢٢٦ .

من ذلك الغناء قول الشاعر :

ذهبي اللـون تحسب من　　　وجنتيهـه النـار تقتدح

خوفوني من فضيحتـــه　　　ليتـه وافي وافتضـح

(وقد أخرجوا لهذه الأبيات ألحاناً مختلفة كلها تخرج سامعها عن حيز الإعتدال وتثير حب الهوى ، ولهم شيء يسمونه البسيط يزعج القلوب عن مهل ، ثم يأتون بالنشيد فيجمجم القلوب ، وقد أضافوا إلى ذلك ضرب القضيب والإيقاع به على وفق الأنشاد والدف بالجلاجل والشبابة النائبة عن الزمر)[٩٥] .

يضاف إلى ذلك، ظهور تراجم عديدة لأماثل من الفضلاء والعلماء والأدباء المبرزين وغيرهم ممن ألموا أو نبغوا — إلى جانب ما اشتهروا به من علم — في صناعة الموسيقا ، علماً وعملا أو تناولوا موادها وحلوا أثرها بالنظم والنثر .

أمثال : أحمد بن علي الغساني الأسواني (الرشيد) (ت ٥٦٣ هـ/١١٦٧ م) الذي ألم — إلى جانب علمه — بعلم الموسيقا[٩٦] .

أما الأديب ابن دانيال الموصلي (ت ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م) فقد قال في الشيخ ابن ثعلبة ، الذي ترك اللهو والغناء وتصوف :

لطمت بعـدك الخـدود الدفوف　　　وتحامت تلك الصروف الـكفوف

وتساوي عنـد الرقاق وقدما　　　ت لدينا ثقيلهـا والخفيف

وعلت ضجة المواصـل حزنـا　　　والندامى على السرور عكوف

وجرت أدمـع الرواويق حتى　　　عاد منها النزيف وهو نزيف

(٩٥) ابن الجوزي : تلبيس ابليس ، ص ٢٢٦ .

(٩٦) الادفوي : الطالع ، ص ٩٨ ، كذا انظر : ابن العماد : شذرات ، حوادث

وبدا الشمع وهو من سيلان الد　　　ـمع إنسان عينـه مطروف

يا إمام الملامـح دعـوة قاض　　　في قضايا المجون ليس يحيف

كيف ذقت الخشوع هل هو حلو　　　يا حريـق بالله أو حريف

تبت لله توبة الشيخ إن الزهـد　　　لا يحتـوى عليه الضعيف

لاتـكن راسب القر فما ير　　　سب في المستقر إلا الـكثيف

وإذا قمت للصـلاة فقم تملـ　　　ـية ناشفـاً فأنت نظيف

وإذا ماخلوت في خـلوة المـ　　　ـجد قل للمريد عندي ضيوف

وإذا ماأخرجت كيسك بالملو　　　م قل للحضور هذا سفوف

حبذا زهـدك التليد فما أنـ　　　ـت به في الشيوخ إلا ظريف

قسمـاً يـا قليبـة البين إني　　　قرم الشوق للقـا ملهوف

أترجي منـك الرجوع قريبـا　　　طمعا فيك والمحب عطوف[٩٧]

وفخر الدين الساعاتي — الخراساني الأصل فالدمشقي — (ت ٦١٨ هـ/١٢٢١م) كان إلى جانب درايته بعلوم شتى ، (خبيراً بعلم الموسيقا ، ويحسن الضرب بالعود)[٩٨] .

والشاعر الشهور ياقوت الرومي (ت ٦٢٢هـ / ١٢٢٥ م) حضر مجالس فخر الدين الساعاتي[٩٩] وكان من ضمن أشعاره التي يتغنى بهـا في بلاد الشرق والعراق والشام :

إن غاض دمعك والأحباب قد بانوا　　　فـكل ماتدعي زور وبهتان

(٩٧) ابن شاكر : فوات ، ج٢ ، ص ٣٨٦ . هذا ، والجدير بالذكر أن ابن دانيال هذا هو صاحب كتاب « طيف الخيال » .

[illegible] ج١١ ، ص ١٤١ – ١٤٢ .

وكيف تأنس أو تنسى خيالهم   وقد خلا منهم ربع أوطان
لا أوحش الله من قوم نأوا فنأى   عن النواظر أقمار وأغصان(١٠٠)

ومن الصوفية : الصوفى الشهير عمر ابن الفارض (ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م) ، صاحب النظم (الرائق والشعر الفائق الغرامى) (١٠١) ، كانت له جوار بالبهنسا يذهب إليهن فيغنين له فى حضرته بالدف والشبابة وهو يتواجد بينهم(١٠٢) ، ومن حضرات حضرها أيضا ناصر الكلبى (مراراً بالعود والغناء)(١٠٣) .

والفقيه الحنفى الرياضى تعاسيف (ت ٦٤٩ هـ/١٢٥١ م) يحكى لواقعة تتلمذه على الشيخ كمال الدين الشافعى (ت ٦٣٩ هـ / ١٢٤١ م) فى علم الموسيقا ، فيقول: (لما أتقنت علوم الرياضة بالديار المصرية ودمشق ، تاقت نفسى إلى الإجتماع بالشيخ كمال الدين ، لما كنت أسمعه من تفرده بهذه العلوم ، فسافرت إلى الموصل قصد الاجتماع به ... فسلمت عليه وعرفته قصدى له للقراءة عليه ، فقال لى : «فى أى العلوم تريد تشرع ؟» فقلت : «فى الموسيقا» فقال : «مصلحة هو، فلى زمان ما قرأه أحد على ، فأنا أوثر مذاكرته وتجديد العهد به» فشرعت فيه ، ثم فى غيره حتى شققت عليه أكثر من أربعين كتاباً فى مقدار ستة أشهر ، وكنت عارفاً بهذا الفن ، لكن كان غرضى الإنتساب فى القراءة إليه)(١٠٤) .

---

(١٠٠) ابن خلكان : وفيات ، جـ٦ ، ص ١٢٢ .
(١٠١) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ٦ ، ص ٢٢٨ ، سنة ٦٣٢ هـ .
(١٠٢) ابن العماد : شذرات ، جـ٥ ، ص ١٤٩ ، سنة ٦٣٢ هـ ، كذا انظر : ابن حجر : لسان الميزان ، جـ٤ ، ص ٣١٨ — ٣١٩ ، سعودى : زهرة الحديقة ، ق ٢٨ ، محمد مصطفى حلمى : ابن الفارض .
(١٠٣) ناصر الكلبى : بلوغ الأوطار ، ق ٤ .
(١٠٤) ابن خلكان : وفيات ، جـ٥ ، ص ٣١٦ — ٣١٧ ،كذا انظر : ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ٦ ، ص ٣٤٢ ، سنة ٦٣٩ هـ ، أبو الفدا : المختصر ، جـ٣ ، ص ١٨٦ ، سنة ٦٤٩هـ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ١ ، ص ٥٤٢ .

والشيخ ابن مالك الشافعى (ت ٦٣٩ هـ / ١٢٤١ م) كان إلى جانب اشتهاره فى مذهب الشافعى والعلوم المنطقية والرياضية ، يعرف علم الموسيقا(١٠٥) .

أما الأمير سيف الدين المشد (ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) فقد قال فى المحظوظ :

باكر كؤوس المدام واشرب   واستجل وجه الحبيب واطرب
ولا تخف للهموم داء   فهى دواء له مجرب
من بدر ساق له رضاب   كالمسك ، لا ، بل جناه أطيب
يحجبنى خال وجنتيه   والمسك فى الجلنار أعجب(١٠٦)

وقال أيضاً :

فصل كأن البدر فيه مطرب   يبدو وهالته لديه طاره
والشمس فى أفق السماء حريرة   والجو ساق والأصيل عقاره
وكأن قوس النيم جنك مذهب   وكأنما صوت الحيا أوتاره(١٠٧)

وبعد ، فإذا كانت تلك هى سيرة الناس فى عصر الأيوبيين ، عصر جذوة الجهاد ، فما بالنا بمظاهر حياتهم فى عصر سلاطين المماليك .

فالملك السعيد محمد بن الملك الظاهر بيبرس (٦٧٧:٦٧٨ هـ/١٢٧٨:١٢٧٩م) — مثلا — مالبث — بعد أن أرسل جيشاً إلى سيس — أن أخلد إلى الراحات (وأخذ فى اللهو واللعب)(١٠٨) .

---

(١٠٥) أبو الفدا : المختصر ، جـ٣ ، ص ١٧٠ ، سنة ٦٣٩ هـ . هذا ، مع ملاحظة ارتباط الرياضة وعلم الفلك بالموسيقا ، وهو ما يؤكد الأخذ عن الآراء الاغريقية .
(١٠٦ ، ١٠٧) ابن شاكر : فوات ، جـ٢ ، ص ١٢٩ ، ص ١٣٢ .
(١٠٨) ابن كثير : البداية ، جـ١٣ ، ص ٢٨٧ ، سنة ٦٧٨ هـ .

والسلطان المنصور لاجين الحسامى (٦٩٧ : ٦٩٨ هـ / ١٢٩٧ : ١٢٩٨ م) كان فى صباه منهمكا على الشرب (حتى صار وهو بدمشق يعاقر أعيان أهلها وينعم فى مجالس اللهو عليهم) ، (١٠٩) وكان يصحب معه فى متصيداته أرباب الملاهى (١١٠) .

أما السلطان الناصر محمد بن قلاون ، فكان شغوفاً بحب الجوارى المولدات والسود ، بحيث بلغت عدتهن عنده مايزيد على ألف ومائتى وصيفة(١١١) ، كما اشتهر بحب سماع الصوت الحسن والنغمة الطيبة،فهو حينما سمع عن المغنى ابن كتيلة ابن قرانشان — الذى انتهى إليه (حسن الطرب بالجنك العجمى)(١١٢) ونقل أصواتاً مشهورة ، وحفظ كثيراً من نوب صفى الدين عبد المؤمن — استدعاه وراح عليه(١١٣) .

وحينما سمع أيضا عن المغنى على بن عبد الله الماردينى — الذى كان من مماليك صاحب ماردين واشتهر بضرب العود — استهداه من صاحبه ، فأرسله إليه فى سنة (٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م) (لحظى عنده إلى الغاية ، فلما مات الناصر تاب من ضرب العود وكسر آلاته ، مع أنه كان لا نظير له فيه) (١١٤) .

لذلك كله ، لم يكن مستغرباً أن يعدله والى قلعة دمشق خواناً ، وأن تقرع له مغانى دمشق بالدفوف إبان زيارته لها (وكان فى الجملة مغنية تسمى ضيفة الحوية، فغنت بهذا القصيد فى ذلك الوقت السعيد ، واستفتحت به النشيد :

(١٠٩ ، ١١٠) المقريزى : السلوك ، جـ١ ، ق٣ ، ص ٨٦١ ، سنة ٦٩٨ هـ .

(١١١) نفسه ، جـ٢ ، ق٢ ، ص ٥٤٦ ، سنة ٧٤١ هـ .

(١١٢ ، ١١٣) ابن حجر : الدرر ، جـ٣ ، ص ٣٥٠ ـ ٣٥١ . هذا ، والمعروف أن عبد المؤمن (ت ٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م) كان ممن كتبوا فى علم الموسيقا ، وانه كان (ينفق ماله على الملاذ ويبالغ فى عمل الحضرات البليقية) ابن شاكر : فوات ، جـ٢ ، ص ٣٩، وانظر جدول المصادر .

(١١٤) ابن حجر : الدرر ، جـ٣ ، ص ١٤٩ . هذا ، والمعروف أن هذا الرجل قد تولى نيابة حمص فى سنة (٧٦٩هـ/ ١٣٦٧ م) .

ولقد نذرت بأن رأيتك سالماً ونظرت وجهك أن أسوم شهورا

حذراً عليك من الزمان وغدره حتى تعود مؤيداً منصورا)(١١٥)

فأمر لها السلطان بجملة إنعام .

هذا ، ومن مغنى عصر هذا الملك ، عبد العزيز ، المعروف بابن الفصيح (ت : ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م) الذى (كان أعجوبة زمانه فى صناعة الغناء)(١١٦) .

وفى ليالى طرب هذا المغنى يقول علاء الدين الوداعى :

وليلة مالها نظير فى الطيب لوساعفت بطول

كم نوبة للفصيح فيها أطرب من نوبة الخليل(١١٧)

أما السلطان أبو بكر بن الناصر محمد (٧٤٢ هـ/ ١٣٤١م) نخلع عن الملك ، بسبب إرتياح نفسه (إلى الفتيات وسماع المغانى)(١١٨) ، ولعكوفه على اللهو ومعاقرة الخمر ، بشكل أبخس حرمة الملك ، بحيث صار (يطلب الغلمان فى الليل ويبعثهم لإحضار المغانى)(١١٩) ، فيطلعون إليه رجالا ونساء ، ويتعاقرون واياه الخمر ويتهتكون(١٢٠) ، ثم ينزلون إلى بيت ولى الدولة عشية المهرانى — صهر النشو — فيجدوا (المغانى مجهزين والمقام معمول ، يقعدوا يشربوا ، وينزلوا فى الشخاتير يتفرجوا ، ويطلعوا سحراً إلى القلعة)(١٢١) ، فيتفقون على من يمسكونه من جماعة الأمراء .

---

(١١٥) ابن ايبك : الدر الفاخر ، ص ١٧٤ ، سنة ٧٠٩ هـ .

(١١٦ ، ١١٧) ابن حجر : الدرر ، جـ٢ ، ص ٤٩٤ ، كذا انظر : الغزولى : مطالع جـ١ ، ص ٢٣٤ .

(١١٨) الشجاعى : تاريخ الملك الناصر ، ص ١٣٥ .

(١١٩ ، ١٢٠) المقريزى : السلوك ، جـ٢ ، ق٣ ، ص ٥٦٧ ، سنة ٧٤٢ هـ ، كذا انظر : ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١٠ ، ص ١٢ ، سنة ٧٤٢ هـ ، الشجاعى : تاريخ الملك الناصر ، ص ١٣٥ ، سنة ٧٤٢ هـ .

(١٢١) الشجاعى : تاريخ الملك الناصر ، ص ١٣٥ .

لذلك كله هتف الأمير الكبير قوصون كل من الأميرين : طاجار الدوادار والشهابي شاد العمائر — اللذين كانا من خاصكية والد هذا السلطان واحتويا على عقله — (وقال : « سلطان الإسلام يليق به أن يعمل مقامات ، ويحضر إليها البغايا والمغانى)[122] ؟ ! ، فخلع بالناصر أحمد بن الناصر محمد[123]

ولما كان هذا الأخ (مشتغلا بلذاته ، قد انعكف على اللهو) بالكرك ، استقر رأى كبار الأمراء على خلعه وتولية الصالح إسماعيل .

غير أن هذا الرجل وإن كان قد سار من قبل على صراط مستقيم[124] ، إلا أن أبهة الملك ما لبثت أن فتنته ، كما أضله هواه ، فشغف بحب الجوارى السود (وأفرط فى محبة إنفاق المواد وفى العطاء لها ، وقرب أرباب الملاهى ، وأعرض عن تدبير الملك بإقباله على النساء والمطربين)[125] .

أما عهد الملك الكامل شعبان بن الناصر محمد (٧٤٦هـ/١٣٤٥ م) — وعلى الرغم من قصره — فقد خربت فيه بلاد كثيرة ، وذلك (لشغفه باللهو ، وعكوفه على معاقرة الخمور ، وسمع الأغانى . . . وأعيدت فى أيامه ضمان أرباب الملاعيب وعدة مكوس)[126] ، ولافتضاح أمر محبته الفائقة لإنفاق المواد أيضاً[127] .

---

(١٢٢) المقريزى : السلوك ، جـ٢ ، ق٣ ، ص ٥٦٧ ، سنة ٧٤٢ هـ .

(١٢٣) الشجاعى : تاريخ الملك الناصر ، ص ٢٢٤ ، سنة ٧٤٣هـ ، كذا انظره ، ص ٢٢٩ — ٢٣٠ .

(١٢٤) المقريزى : السلوك ، جـ٢ ، ق٣ ، ص ٦٧٨ ، سنة ٧٤٥ هـ .

(١٢٥) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١٠ ، ص ٩٦ ، سنة ٧٤٣ هـ ، كذا انظر : المقريزى : السلوك ، جـ٢ ، ق٣ ، ص ٦٧٨ ، سنة ٧٤٥ هـ .

(١٢٦ ، ١٢٧) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١٠ ، ص ١٤٠ — ١٤١ ، سنة ٧٤٦ هـ ، كذا انظره ، ص ١١٩ ، المقريزى : السلوك ، جـ٢ ، ق٣ ، ص ٦٨٣ ، ص ٧١٣ ، ابن العماد : شذرات ، جـ٦ ، ص ١٥١ ، سنة ٧٤٧ هـ ، ابن حجر : الدرر ، جـ٢ ، ص ٢٨٩ .

أما السلطان المظفر حاجى بن الناصر محمد (٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) — وهو ثالث سلطان من أولاد الناصر محمد — فكان ممن شغفوا أيضاً بمحبة إنفاق ، وطلب معلمها عبد على العواد إلى القلعة ليغنيه ، وأنعم عليه[128] .

وذلك ، فضلا عن سماعه وإنعامه على المغنى اسكندر بن كتيلة الجنكى ، ولدبيقة مغنية عرب الجيزة (وكانت تخايل بالقلعة)[129] ، ولحظياته : سلمى والكركية وكيدا التى (كان لايكاد يفارقها)[130] .

وفى عهد هذا السلطان توفى الفنى جمال أبو سعيد الكردى ، الذى صنف فى الموسيقا كتاب « الكنز المطلوب فى الدوائر والضروب »[131] .

وأما السلطان الناصر حسن ، فقد كان (يميل الى سماع الآلات ، ويقرب المغانى ويحب أرباب الفن قاطبة)[132] ، ويصطحبهم معه فى أسفاره (لكونه ما كان له ميل للشباب كعادة الملوك من قبله)[133] ! !

ومن المغنين الذين أحب سماعهم هذا السلطان ، دنيابنت الأقباعى الدمشقية[134] ، وعطعط ، والدخان الشبب .

---

(١٢٨) انظر ماسيلى ، ص ٦٩ .

(١٢٩) المقريزى : السلوك ، جـ٢ ، ق٢ ، ص ٧٤٦ ، سنة ٧٤٨ هـ .

(١٣٠) نفسه ، جـ٢ ، ق٣ ، ص ٢٤٠ ، كذا أنظر : ابن حجر : الدرر ، جـ ٢ ، ص ٨٣ .

(١٣١) ابن حجر : الدرر ، جـ٢ ، ص ٢٤٠ ، وعن هذا الكتاب أنظر : فارمر : مصادر الموسيقى ص ١٠٢ .

(١٣٣) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١٠ ، ص ٣١٥ ، سنة ٧٥٥ هـ ، وانظر : المقريزى : السلوك ، جـ٣ ، ق ١ ، ص ٦٢ ، سنة ٧٦٢ هـ .

(١٣٤) انظر ، ص ٣٥ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٧ .

وفى محبته وصحبته للنساء ، وواقعته مع الأمير بلبغا يقول بعض أدباء عصره :

لما أتى للعاديات وزلزلت　　حفظ النسا وماقرا للواقعة

فلأجل ذاك[١٣٥] الملك أضحى لم يكن　　وأتى القتال وفصلت بالقارعة

لو عامل الرحمن فاز بكهفه　　وبنصره فى عصره للسابعة[١٣٦]

من كانت القينات من أحزابه　　عطعط به الدخان نار لامعة

تبت يدا من لايخاف من الدعا　　فى الليل إذ يغشى بقمع النازعة[١٣٧]

(وقد أشار الناظم بقوله : عطعط ، وهو اسم مغنى كان من ندمائه ، وكذلك الدخان ، وكان اسم مشبب من ندمائه ، يحضر مجلسه)[١٣٨] .

وفى أيام هذا السلطان توفى شمس الدين محمد بن عيسى بن حسن بن كر الحنبلى (أمام أهل الموسيقى ، وله تآليف حسنة)[١٣٩] .

كذلك ذكر ، أنه لما أنهمك الملك المنصور محمد بن المظفر حاجى (٧٦٣هـ/١٣٦١م) (على شرب الخمور ، وسماع الآلات والزمور ، واشتغل بذلك عن أمور المملكة)[١٤٠] عزل وحبس بدور الحريم بالقلعة . وكان هذا الملك فى مدة

(١٣٥) كذا عند ابن تغرى بردى : « المنهل » ـ ترجمة الناصر حسن ـ والنجوم ـ جـ١٠ ، ص ٢١٦ ، سنة ٧٥٩ هـ . أما عند ابن اياس : « بدائع ، جـ١ ، ق ١ ، ص ٥٧٩، سنة ٧٦٢ هـ » فقد وردت (هذا) .

(١٣٦) كذا عند ابن اياس : « بدائع ، جـ١ ، ق١ ، ص ٥٧٩» ، أما فى المنهل والنجوم (فى السابعة) .

(١٣٧) هذا البيت وارد فى النجوم والمنهل ، وغير وارد فى بدائع الزهور .

(١٣٨) ابن اياس : بدائع : جـ١ ، ق ١ ، ص ٥٧٩ ، سنة ٧٦٢ هـ .

(١٣٩) ابن تغرى بردى : المنهل ـ ترجمة محمد بن عيسى ـ كذا انظر : النجوم، جـ١٠ ، ص ٣٣٠ ـ ٣٣١ ، سنة ٧٥٩ هـ . ابن حجر : الدرر ، جـ٤ ، ص ٢٤٥ ، المقريزى: السلوك ، جـ ٢ ، ق١ ، ص ٤٥ ، سنة ٧٥٩ هـ ، وما سبق ، ص ١١ .

(١٤٠) ابن اياس : بدائع ، ، جـ١ ، ق ١ ، ص ٥٩٢ ، سنة ٧٦٤ هـ .

حبسه — وحتى لحظة وفاته فى سنة (٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م) — (يسلى نفسه عن الملك بشرب الراح وسماع المغانى ومشاهدة الملاح)[١٤١] .

حتى أنه قد قنع بما هو فيه من عيشة ، فكان كما قيل فى المعنى :

إنما العيش سماع　　من قيان ومدام

فإذا فاتك هذا　　فعلى الدنيا السلام[١٤٢]

أما أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد ، فكانت بهجة ، وأحوال الناس فيها هادئة (ومشى سوق أرباب الكمالات ... من كل علم وفن ، ونفقت فى أيامه البضائع الكاسدة من الفنون والملح ، وقصدته أربابها من الأقطار ، وهو لايكل من الإحسان إليهم فى شئ يريده وشئ لايريده حتى كلمه بعض خواصه فى ذلك ، فقال — رحمه الله — : « أفعل هذا لئلا تموت الفنون فى دولتى وأيامى »)[١٤٣] .

لذلك ، كان أمراً طبيعياً أن يسقط هذا السلطان ضمان المغانى من جميع أعمال الديار المصرية[١٤٤] ، وأن تحظى عنده المغنية دنيابنت الأقباعى[١٤٥] ، وأن يستخفى — إبان صراعه مع كبار الأمراء — فى بيت المغنية آمنة بنت عبد الله

(١٤١) ابن اياس : بدائع ، جـ١ ، ق١ ، ص ٥٩٣ ، سنة ٧٦٤ هـ ، كذا انظر : ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١١ ، ص٨ ، سنة ٧٦٢ هـ .

(١٤٢) ابن اياس : بدائع ، جـ١ ، ق٢ ، ص ٥١١ ، سنة ٨٠١ هـ .

(١٤٣) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١١ ، ص ٨٢ ، سنة ٧٦٤ هـ ، كذا راجع : المنهل ـ ترجمة شعبان بن حسين ـ

(١٤٤) انظر ماسيلى ، ص ٨٣ : ٨٦ .

(١٤٥) ابن حجر : انباء ، جـ١ ، ص ١٦٣ ـ ١٦٤ ، سنة ٧٧٩ هـ .

بمرأة ابن المتولى ، بحارة الجودرية[١٤٦] (وكان يعرفها قبل ذلك فأخذته)[١٤٧] .

أما فى عهد الملك الصالح أمير حاج (٧٨٣ هـ / ١٣٨١ م) ، فقد توفى بالقاهرة العواد المغنى شمس الدين محمد ، المعروف بابن السورى العمادى الموصلى ، صاحب التصانيف الهائلة فى الموسيقا ، والذى انتهت إليه الرئاسة فى ضرب العود والموسيقا ، ونالته السعادة من أجلها (حتى إنه كان إذا مرض عاده جميع أعيان الدولة)[١٤٨] ، وكان له (أقطاع يعمل فى السنة ألف دينار)[١٤٩] .

أما السلطان الظاهر برقوق ، فعلى الرغم من كونه (لم يكن مشتغلا باللهو والطرب ... بل بعض الأوقات يوم الأحد والأربعاء يشرب القمز مع بعض خواصه من الأمراء ، لأجل إنشراح صدره وأذهاب غمه)[١٥٠] ، إلا أنه لم يصدف كلية عن سماع الغناء وآلات الطرب [١٥١] .

وفى عهد هذا السلطان توفى خمسة من المغنين المشهورين (لم يخلفوا بعدهم فى مقامهم وهم : علم الدين التراق المادح ، وإبراهيم بن الجمال المغنى ، وأخيه خليل الشبب[١٥٢] ، وعلى بن الشاطر رئيس المؤذنين بالجامع الأزهر ، والمام إسماعيل

(١٤٦) عن هذه الحارة ، راجع : المقريزى : خطط ، جـ٢ ، ص ٤ .

(١٤٧) ابن حجر : انباء ، جـ١ ، ص ١٢٩ ـ ١٣٠ ، سنة ٧٧٨ هـ .

(١٤٨) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١١ ، ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ ، سنة ٧٨٣ هـ .

(١٤٩) ابن حجر : انباء ، جـ١ ، ص ٢٥٢ ، سنة ٧٨٣ هـ ، كذا انظر : المقريزى : السلوك ، جـ٣ ، ق٢ ، ص ٤٦٣ ، سنة ٧٨٣ هـ .

(١٥٠) الصيرفى : نزهة ، جـ١ ، ص ٥٠٠ ، سنة ٨٠١ هـ .

(١٥١) راجع : نفسه ، جـ١ ، ص ٤٠٣ ، سنة ٧٩٧ هـ ، ابن اياس : بدائع ، جـ١ ، ق ٢ ، ص ٥٠٢ ، سنة ٨٠٠ هـ .

(١٥٢) اعتاد الناس احياء ليلة المولد النبوى الشريف باقامة السماعات بالمغانى والات الطرب ، من ذلك أن بعض اهل القاهرة اقام مولدا بابراهيم الجمال المغنى واخيه

الجيجانى)[١٥٣] .

أما من تولى الأتابك بيبرس أمور السلطنة فى عهد المنصور عبد العزيز ابن برقوق (٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م)، فانعكف السلطان على (اللهو والطرب عمره كله ، لايميل لغير ذلك ، ومنذ مات خاله الملك الظاهر برقوق لم يدخل نفسه فى أمر غير هذا المعنى المذكور ، ولسان حاله ينشد :

خل الملوك تسعاوا بالملك والسلاح   إنى قنعت منهم بالراح والملاح[١٥٤]

أما السلطان المؤيد شيخ المحمودى ، فا (كان مثله فى ملوك مصر ، وكان يحب التنزه والمفترجات ، لايقيم فى القلعة إلا قليلا[١٥٥] ... وكان يميل إلى

واخرون (وكان الى ولدى ابن الجمال المنتهى فى صناعتهما) هذا ، ومن غريب الاتفاق أن يقال أن ابن الجمال كان يغنى قوله :

تغنيت فى حبكم   ولا فادنى منه فن
وقالوا به جنة   ومثلى بكم من يجن
فؤادى بكم هائم   وعقلى بكم مفتتن
اغنى ولى فيكم   فؤادى كثير الشجن
سيطرب من فى الحمى   ويرقص حتى السكن

فلما وصل فى غنائه حتى قوله : « ويرقص حتى السكن » سقط البيت . وتتمة هذه الأبيات هو :

لقد جئت مستعذرا   لكم يا أهل المحن
فجودوا على عبدكم   وان تجودوا فمن

ابن حجر : انباء ، جـ١ ، ص ٣٥١ ، سنة ٧٩٠ هـ ، المقريزى : السلوك ، جـ٣ ، ق٢، ق ٢ ، ص ٥٧٦ ، سنة ٧٩٠ هـ .

(١٥٣) المقريزى : السلوك ، جـ٣ ، ق ٢ ، ص ٥٧٦ ، سنة ٧٩٠ هـ .

(١٥٤) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١٣ ، ص ٤٥ ، سنة ٨٠٨ هـ .

(١٥٥) يذكر ابن تغرى بردى : المنهل ـ ترجمة شيخ بن عبد الله المحمودى ـ أن هذا السلطان كان فى شبيبته متهتكا يميل الى اللهو والطرب ، فنهاه الملك الظاهر برقوق عن ذلك وضربه فلم يرجع ، فغضب عليه ، ولكنه لم يعزله عن سقايته ، وبعد

شرب الراح ٠٠٠ وكان يغنى فن الموسيقا ، وينظم الشعر ويركز الفن ٠ ومن نظمه فى الشعر وركزوه ، وهو قوله من أبيات هذه :

فتنتنــا سوالف وخـــدود … وعيون نواعس وقـــدود

أسرتنا الظبــا وهن ضعاف … تخضعنا لهن ونحن أسود

. . . . وله أشياء كثيرة من نظمه دائرة بين المغانى إلى الآن ، وكان يقرب المغانى وأرباب الفن ، وكان كل أحد من الأستاذين يتناهون فى أيامه فى فنونهم ، لجودة فهمه وحسن معرفته ، وكانت عنده رقة حاشية ويحب الخلاعة والمجون .. وكانت الناس فى أيامه فى لهو وفرح وخلاعة)[١٥٦] .

وكان من مغنى هذا السلطان — ومن قبله الناصر فرج — من الذين نالتهم (السعادة بسبب آلته وغنائه)[١٥٧] إبراهيم ابن باباى العواد ، الذى (لم يكن جيد الصوت ، بل رأسا فى العود وفى فن الموسيقا ، انتهت إليه الرياسة فى ذلك ، ولم يخلف بعده مثله)[١٥٨] ، ومع ذلك ، فإنه لم يصنف شيئاً فى الموسيقا ، كما كانت عادة من سبقوه من الأستاذين[١٥٩] .

أن تسلطن وعلى الرغم من مرضه ـ فى أواخر أيامه ـ بأوجاع المفاصل ، الى حد أنه كان يحمل على الأعناق أو فى مقعد بين أربعة أنفس ، فانه كان فى (غالب أيامه فى النزه واللهو والطرب) ٠ كذا أنظر : السخاوى : الضوء ، جـ ٣ ، ص ٣٠٨ ٠

(١٥٦) ابن اياس : بدائع ، جـ٢ ، ص ٦١ : ٦٣ ، سنة ٨٢٤ هـ ٠ كذا انظر : ابن تغرى بردى : المنهل ـ ترجمة شيخ بن عبد الله المحمودى ـ ٠

(١٥٧) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١٤ ، ص ١٥٢ ، سنة ٨٢١ هـ ٠

(١٥٨) نفسه : المنهل ، جـ١ ، ص ٤٢ ، كذا انظر : النجوم ، جـ١٤ ، ص ١٥١ ـ ١٥٢ ، سنة ٨٢١ هـ ، المقريزى : السلوك ، جـ٤ ، ق١ ، ص ٤٧٦ ، سنة ٨٢١ هـ ، ابن اياس : بدائع ، جـ٢ ، ص ٣٧ ، سنة ٨٢١ هـ ، ابن حجر : انباء ، جـ٣ ، ص١٧٧ ، سنة ٨٢٢ هـ ٠

(١٥٩) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١٤ ، ص ١٥٢ ، سنة ٨٢١ هـ ٠

ومنهم أيضاً ، ابن القرداح « أحمد بن محمد بن على ، الشهاب القاهرى الواعظ » ، (ت ٨٤١ هـ / ١٤٣٧ م) الذى (لازم العز بن جماعة فى فنون كالموسيقا وغيرها . . وانتهى إليه حسن الأنشاد فى زمانه مع قبول الوجه ، والكلام ، والفصاحة ، ورخامة الصوت ، وحسن الشكل . وله اليد الطولى فى الضرب بالعود والبراعة فى ضرب السنطير ... ولم يكن بمصر والشام فى هذا الوقت أحد يساويه فيما اجتمع فيه من طيب النغمة ، ومعرفة الفن ، واجتناب اللحن ، واختراع التلاحين الذى لم يسبق إليه . . ونظم الشعر ٠٠ وكان يعمل الألحان وينقل كثيراً منها إلى ماينظمه ، فإذا اشتهر وكثر العمل به تحول إلى غيره)[١٦٠] .

كذلك كان السلطان الظاهر ططر (٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م) (يحب إنشاد الشعر بين يديه ، لا سيما باللغة التركية ٠٠ ويميل إلى الصوت الحسن ، ولسماع الوتر ، مع عفته عن سائر المسكرات)[١٦١] .

أما السلطان الظاهر جقمق (٨٤٢ هـ : ٨٥٧ هـ / ١٤٣٩ : ١٤٥٣ م) فقد كان على خلاف من سبقوه من السلاطين يكره وينفر بطبعه من اللهو والمجون والطرب .

وإذ جبل هذا السلطان على حب المعروف ، تصولح أكثر أرباب دولته ، (وصار كل واحد منهم يتقرب إلى خاطره بنوع من أنواع المعروف ، فمنهم من صار يكثر الحج ، ومنهم من تاب وأقلع عما كان فيه ، ومنهم من بنى المساجد والجوامع ، ولم يبق فى دولته ممن استمر على ما كان عليه إلا جماعة يسيرة)[١٦٢] ، ومن ثم كسدت فى أيامه أحوال أرباب الملاهى والمغانى[١٦٣] .

---

(١٦٠) السخاوى : الضوء ، جـ٢ ، ص ١٤٢ ـ ١٤٣ ٠ كذا أنظر : ابن العماد : شذرات ، جـ٧ ، ص ٢٢٨ ، سنة ٨٤١ هـ ، ابن اياس : بدائع ، جـ٢ ، ص ١٨٧ ، سنة ٨٤١ هـ ، والفصل الثانى من هذا الكتاب ٠

(١٦١) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١٤ ، ص ٢٠٩ ، سنة ٨٢٤ هـ ٠

(١٦٢ ، ١٦٣) نفسه ، جـ١٥ ، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ ، سنة ٨٤٤ هـ ، كذا راجعه ،

أما فى عهد السلطان الأشرف أينال ، فقد توفى ناصر الدين محمد المازونى ، أستاذفن النشيد ومحل السماع (وكان بارعاً فى فن الغناء ، وكان يضرب به المثل فى حسن النغم ومعرفة الفن ، ولم يجئ بعده من هو فى طبقته)[١٦٤] إذ كان صوته كاملا ، (مع شجاوة ، ونداوة ، وحلاوة ، كان رأساً فى إنشادالقصيد على الضروب والحدود . سافر غير مرة إلى الحجاز حادياً فى خدمة الأكابر ، وكان يشارك فى الموسيقا جيداً)[١٦٥]

لذا رثاه الشهاب المنصورى بقوله :

يا نزهة السمع سكنت الثرى فالملاهى أيما لهف
كم لطمة من قدم أو يد فى خدى الدكة والدف

كما قال فيه أيضاً :

كانت به لذاتنا موصولة فانقطعت بموته اللذات
وكانت الأصوات تزهو بهجة فارتفعت لموته الأصوات[١٦٦]

وفى عهد هذا السلطان توفيت خديجة ابنة نحيلة ، رئيسة الغانى (كانت مع اتصافها بحرفتها فيها خير وبر وتصون)[١٦٧] .

كذلك، كان السلطان الظاهرخشقدم(عنده رقة حاشيةويسمع المغنى)[١٦٨] .
وكان يدر المغنى براهيم الجندى على المغنى على بن رحاب فى الغناء . بدليل أنه

(١٦٤) ابن اياس : بدائع ، جـ٢ ، ص ٣٤٦ ، سنة ٨٦٢ هـ .
(١٦٥) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١٦ ، ص ١٩٣ ، سنة ٨٦٢ هـ .
(١٦٦) ابن اياس : بدائع ، جـ٢ ، ص ٣٤٦ ، سنة ٨٦٢ هـ .
(١٦٧) السخاوى : الضوء ، جـ١٢ ، ص ٣٢ ـ ٣٣ ، سنة ٨٦٤ هـ .
(١٦٨) ابن اياس : بدائع ، جـ٢ ، ص ٤٥٦ ، سنة ٨٧٢ هـ .

عندما أقام على بن رحاب سماعاً فى باب الوزير — الذى فى التبانة — ووقعت هرجة هنالك ـ أسفرت عن قتل شخص، رسم السلطان بنفى ابن رحاب إلى البلاد الشامية ، فقد كان السلطان (يميز إبراهيم بن الجندى المغنى على على بن رحاب فى الغناء)[١٦٩] . فلما وصل ابن رحاب — وهو فى الحديد — إلى غزة ، شفع فيه القاضى أبو الفضل بن جلود ، كاتب المماليك ، فعاد[١٧٠] .

كذلك ، كان من مغنى هذه الفترة : العاى قنبر « أبو بكر بن ناصر الدين محمد الطرابلسى ، ثم القاهرى »(ت ٨٧٠ هـ ظناً/١٤٦٥م) ، الذى(أخذالموسيقى عن الاردانيين وعبد الرحمن نديم المؤيد وغيرهم ، وتقدم فيها بحيث أخذها عن بعض الأعيان)[١٧١] وهو قائل هذا الصوت :

بالسعد جرت فيها العلا أفلاكـ ـا نفذت بين الملا أحلامك
يامن رفعت إلى السهى دولته دامت أبداً مشرقة أيامك[١٧٢]

ومنهم الموسيقى محمد الدويك ، رفيق قنبر ومحمد البديوى السيلكونى المعروف بحمام[١٧٣] .

وأما السلطان الأشرف قايتباى ، فقد قتل شر قتلة ، لكونه بعد ثبوت رشده وعودته إلى دست الحكم قد (شرع فى اللهو واللعب)[١٧٤] .

وفى عهد هذا السلطان توفى الواعظ المادح المنشد المعتبر عبد القادر بن محمد الوفائى (ت ٨٧٤ هـ/ ١٤٦٩ م)[١٧٥] .

وتوفيت المغنية خديجة الرحابية (ت٨٨٦هـ/١٤٨١م) (وكانت من أعيان

(١٦٩ ، ١٧٠) ابن اياس: بدائع ، جـ٢ ، ص ٤٤١، سنة ٨٧١ هـ ، كذا انظره ، جـ٣، ص ٤٣٤ : ٤٣٥ ، سنة ٩٠٥ هـ .
(١٧١ : ١٧٣) السخاوى : الضوء ، جـ ١١ ، ص ٩٤ ـ ٩٥ ، ص ١٧١ ، جـ ١٠ ، ص ١١٩ .
(١٧٤) ابن العماد : شذرات ، جـ٨ ، ص ٢٢ ، سنة ٩٠٤ هـ .
(١٧٥) ابن اياس : بدائع ، جـ ٣ ، ص ٣٧ ، سنة ٨٧٤ هـ .

مغانى مصر ، ولها إنشاد لطرب ، وكان أصلها من مغانى العرب ، ثم عظم أمرها جداً وحظيت عند أرباب الدولة ورؤساء مصر ، وكانت جميلة الشكل حسنة الغناء ، فافتتن بها الكثير من الناس ، حتى قال فيها بعض الشعراء :

رحابية تخفى الشموس جمالها   لها حسن إنشاد تزين مقالها
وقد خايلت بالبدر ليلة تمه   فازال من عيني وقلبي خيالها(١٧٥).

كما توفيت أصيلة المولدة أم عمر (شيخة المغانى بمكة)(١٧٦) (ت ٨٩٢ هـ ١٤٨٦ م).

وأما السلطان قانصوه الغورى ، فكان (يفهم الشعر ويحب سماع الآلات والغناء، وله نظم على اللغة التركية)(١٧٧)، كما كان مولعاً بالليالى الملوكية الحافلة .

فبعد أن استقبل بركات، شريف مكة ، أرسل خلفه (وبات عنده تلك الليلة ومد أسمطة حافلة وطوارى فاخرة وفاكهة وغير ذلك ، ثم أحضر إليه مغانى البلد وأرباب الآلات الدواخل ، فكانت ليلة حافلة من الليالى الملوكية .

كما قال فيها شاعر :

ومجلس راق من واش يكدره   ومن رقيب لهف اللوم(١٧٨) إيلام

---

(١٧٥) ابن اياس : بدائع ، ج٣ ، ص ١٨٥ ، سنة ٨٨٦ هـ . هذا ، ويذكر السخاوى : « الضوء ، ج١٢ ، ص ٣٣ » انه قد بلغه (أن اسم أبيها شتات ، وانها نسبت رحابية لمعارضتها لابن رحاب ... وقد كانت تسكن فى زقاق ابن الجنيد المجاور لحانوت الشهود من باب القوس) .

(١٧٦) السخاوى : الضوء ، ج١٢ ، ص ٧ ، سنة ٨٩٢ هـ .

(١٧٧) ابن اياس : بدائع ، ج٥ ، ص ٨٨ ، سنة ٩٢٢ هـ . وانظر : عزام : مجالس السلطان الغورى ، ص ١٥ : ١٧ ، ص ٢٤ ، ٣٦ ، ٤٢ . وعن بعض موشحات الغورى : أنظره ، ص ٤٣ : ٤٥ .

(١٧٨) كذا عند ابن اياس : « بدائع ، ج٤ ، ص ٤٤٩ ، سنة ٩٢١ هـ » ، أما عند النواجى : « حلبة الكميت ، ص ١٨٥ » ، فقد وردت (باللوم) . هذا ، وقد (قيل لبعض الاعراب ما أمتع لذات الدنيا : فقال : ممازحة الحبيب وغيبة الرقيب) العاملى:

مافيه ساع سوى الساقى وليس به   على الندامى سوى الريحان نمام(١٧٩)

هذا ، ومن مغنى هذا السلطان: أحمد بن أبى سنة، والموجب(١٨٠)، والملاوى السيلكونى القيراطى المعروف بحمام ، الذى ربما كان (يتفقده الملك فى كل قليل ، بل رتب له كسوة وتوسعة فى رمضان ، وطلبه للقبة الدوادارية غير مرة)(١٨١) .

هذا ، والمعروف أن السيلكونى كان (ممن أخذ فن النغمة والضرب عن الأستاذ إبن خجا عبد القادر الرومى العواد الآخذ عن أبيه عبد القادر ، وتميز فى ذلك وما يشبهه ، وراج عند غير واحد من المباشرين، كابن كاتب الغاخات وأبناء الناس كابن عمر باى ..وقد تخرج به جماعة كإبراهيم ابن قطلوبك وأحمد جربيات وهما من الأحياء ، ومحمد الدويك ، وإنفرد كل منهم بشىء ، فالأول أرأسهم ، والثانى أحفظهم ، والثالث أقدرهم على التصنيف)(١٨٢) .

كذلك كان من مغنى هذا السلطان، محمد بن عويئة العواد، وجلال السنطيرى والبوالقه وابن الهيمونى وغيرهم(١٨٣) .

وفى عهد هذا السلطان، توفى الرئيس نور الدين على بن رحاب، المغنى الناشد المادح ، الذى كان من (نوادر الزمان ، ينظم الشعر ويركز الطفائف بالألحان الغريبة ، وكان آخر مغانى الدكة فى الدخول فى الطرب ، ولم يجىء بعده أحد

---

(١٧٩) ابن اياس : بدائع ، ج٤ ، ص ٤٤٩ ، سنة ٩٢١ هـ . كذا أنظر : النواجى: حلبة الكميت ، ص ١٨٥ .

(١٨٠) نفسه ، ج٥ ، ص ٣٥ ، سنة ٩٢٢ هـ .

(١٨١ ، ١٨٢) السخاوى : الضوء ، ج١٠ ، ص ١١٩ ، كذا أنظره ، ج١١ ، ص ١٧١ ، عزام : مجالس ، ص ٥٩ .

(١٨٣) ابن اياس : بدائع ، ج٤ ، ص ٢٩٠ ، سنة ٩١٨ هـ .

مثله فى الدخول)[١٨٤] .

وقد رثاه ابن إياس بقوله :

توفى نزهة الأسماع طرا	وصارت العيش منا فى ذهاب
وناحت بعده الآلات حزنا	وأظهرت الصراخ مع انتحاب
وأبدى الدف والمـا وسول زعقا	كن جاء المـآتم فى المصاب
وأضحى الناس فى قلق ولم لا	وقد ضاق الوجود بلا رحاب[١٨٥]

وتوفيت أيضاً، عزيزة بنت السطحى ، التى كانت من أعيان مغانى مصر ، فقد كانت فريدة عصرها فى فن النشيد ، مع حلاوة الصوت (وفصاحة بإعراب الشعر ، فلم يخلفها من بعدها أحد من النساء المغانى ، ورأت من الأعيان وأرباب الدولة غاية العز والعظمة مالا رآه غيرها من أرباب هذا الفن .. وكان لها بمصر شهرة زائدة .

ومما قاله فيها الشهاب المنصورى :

وفتاة نزهت طرف فيها	شدت مسمعى بجوهر فيها
مذ زارت محبها وتغنت	كاد يرى بنفسه من أبيها .)[١٨٦]

وتوفى الأستاذ على بن غانم (وكان علامة فى ضرب الطنبورة ومعرفة الأنغام ، وهو الذى أظهر الخدائف التجدية بمصر ولحنها فى التلاحين الغريبة حتى أبطل بها فن الموسيقا)[١٨٧] .

(١٨٤ ، ١٨٥) ابن اياس : بدائع ، ج٣ ، ص ٤٣٤ ــ ٤٣٥ ، سنة ٩٠٥ هـ .

(١٨٦) نفسه ، ج٤ ، ص ٨ ، سنة ٩٠٦ هـ .

(١٨٧) ابن اياس : بدائع ، ج٤ ، ص ١٣٠ ، سنة ٩١٤ هـ .

وتوفيت الرئيسة بدرية بنت جريعة (وكانت من أعيان المغانى أيضاً ، ولها شهرة بين المغانى بذلك)[١٨٨] .

وتوفيت الرئيسة خديجة أم خوخة (وكانت من أعيان مغانى الدكة ، ولها فى هذا الفن اليد الطويلة)[١٨٩] .

كما توفى نديم السلطان ، الناصرى محمد بن قجق (وكان علامة فى ضرب الطنبورة ، عارفاً بصنعة الأنغام .. فكانت جنازته حافلة ، ومشى فيها أعيان الناس حتى أعيان مغانى البلد والآلاتية قاطبة ، فإنه شيخهم ، وكان من المقربين عند السلطان)[١٩٠] .

ومن ناحية أخرى ، يبدو أن المثل القائل : « من شابه أباه فما ظلم » لا يخلو من حقيقة ، فآنوك بن الناصر محمد (ت ٧٤٠ هـ/ ١٣٣٩ م) لما كان قد شغف بمحبة المغنية زهرة ، عمر لها داراً ببركة الحبش للتلهى بها ، فلما بلغ أباه عنه ذلك ، أمر بعمها عنه ؛ ورسم بطلب النساء المغانى ؛ وصادر كل واحدة منهن ما بين ثلاثة آلاف وألفى درهم ، كما سجنهن بالحجرة أياماً ، حتى تاب بعضهن عن الغناء وتزوجت بقيتهن ، كما أمر للأمير آقبغا عبد الواحد (أن يلزم شاد المغانى والضامنة بالإنكار حضورهن مجالس الخمر[١٩١] ، وإقامة الفتن ، وألزامهن بمال يقمن به ،

(١٨٨ ، ١٨٩) نفسه ، ج٤ ، ص ٢٥٨ ، سنة ٩١٨ هـ .

(١٩٠) نفسه ، ج ٤ ، ص ٤٠١ ، سنة ٩٢٠ هـ .

(١٩١) لعل القارىء النابه يكون قد لاحظ ان هناك فى بعض الاحايين مناسبة جرت بين الخمر والغناء ، فبالاضافة الى مساهمتهما فى تطريب المستمعين وتحريك السرور والنفوس والشهوات ، فانهما يشتركان (فيما يجمعانه من محمود الخصال ، لان فيه ما يصير الجبان اذا سمعه شجاعا ، ومنه ما يكون للهم دفاعا ، ولهذه العلة

عقوبة لهن على ذلك ، وأكد عليه فى أن يكون ذلك من غير أن ينسب إلى السلطان أنه أمر به رعاية لآنوك)[١٩٢] .

فلما انقطعت زهرة عن آنوك أياماً ، مرض ، (ومازال حتى أنه سرآولهى بها عن زوجته ابنة الأمير بكتمر الساق ، حتى علمت أمه بذلك ، فاشفقتها عليه ترخصت له وأمكنته من هواه)[١٩٣] .

ولخوف آنوك إذا علم أبيه ، دبر ورقة خيله فيها من الأمير بشتاك والأمير آقبغا ، فلما نم بعض المماليك إلى السلطان بسر هذه الورقة ، دخل الدور وهم بقتله بالسيف ، فخالت أمه وجواريه من جريان ذلك .

ومنذ تلك اللحظة ، أصابت آنوك وجفة ، كانت سبباً فى ضعفه فمانه[١٩٤] .

وأحمد بن حسن بن محمد بن قلاون (ت ٧٨٨ هـ/١٣٨٦ م) ـ وكان أسن أولاد الناصر حسن ـ ظل مقيما بقلعة الجبل كالمحبوس ـ على عادة أولاد السلاطين وذريتهم ـ فلما رسم السلطان الأشرف برسباى بنزولهم فى سنة (٨٢٥ هـ /

اليه ، ويستمرىء الكثير منه مع سماعه) ، ولهذا قيل : (غناء بلا شراب كنخلة بلا عطية وهدية بلا نية ورعد بلا مطر وشجر بلا ثمر وحداء بلا بعير وروضـــة بلا غدير . قال الرشيد : النكس : الذى يشرب على غير سماع) . هذا ، مع ملاحظة أن الصوت يمتاز على الخمر ـ المحرم شرعا ـ بما فيه من الخصائص العجيبـــة المحركة ، الا ترى (ان الواحد يغنى له فى طريقة فيلين خلقه ويغنى له فى غيرها فتظهر شراسته ونزقه ، واذا سمع ضربا منه استفزه ، واذا غنى بصـــوت آخر لم يكن للعواصف أن تهزه ، وفيه ما يبكى صاحبه) . ومع ذلك ، فان حالات المناسبة بين الخمر والغناء لم تكن سائدة ، ومن ثم لم تغير من الطابع الدينى ، الذى اشتهرت به مصر والشام على مر العصور . الغزولى : مطالع ، جا ، ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ ، الراغب النواجى : حلبة الكميت ، ص ١٠ ، ابن كشاجم : أدب النديم ، ص ٤ ، ص ٢٨ ـ ٢٩ .
حلبة الكميت ، ص ١٠ ، ابن كشاجم : أدب النديم ، ص ٤ ، ص ٢٨ ـ ٢٩ .

(١٩٢ ، ١٩٣) المقريزى : السلوك ، جـ٢ ، ق٢ ، ص ٤٩٢ ، سنة ٧٤٠ هـ .

(١٩٤) ابن حجر : الدرر ، جا ، ص ٤٤٦ .

١٤٢٢ م) نزلوا (بأجمعهم وصاروا يتعجبون من القاهرة وما بها من العمائر والأسواق ، وتهتك بعضهم فى التنزهات ، وافتقر كثير منهم وفسد حالهم ، وباع بعضهم أرزاقه ، وصار يدور فى الأسواق راجلا ، وأخذ بعضهم يتعانى الغناء والطرب[١٩٥] ، وبعضهم اشترى جوارى يحسن أنواع الطرب من آلات الملاهى وصار يتردد إلى الناس بهن)[١٩٦] .

ومن أولئك الأسياد أيضاً ، محمد بن على بن شعبان بن الناصر حسن (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م) ، الذى نزل من قلعة الجبل وسكن (هو وأخوه أبو بكر مع والدهما بمدرسة جدهم الحسنية وضاق حالهم لمزيد كلفتهم بالنسبة لسكنى القلعة ، فاحتاج صاحب الترجمة لتعاطى الغناء والطرب ، لكونه كان يدرى طرفاً من الموسيقى مع طراوة صوته ، فمشى حاله بذلك قليلا)[١٩٧] .

ومحمد بن بيبرس الظاهرى برقوق (ت ٨٦٤ هـ تقريبا / ١٤٥٩ م) — وجدته أم أبيه شقيقة الملك الظاهر برقوق ـ كان إلى جانب براعته فى عدة صنائع وحرف (متقدماً فى عمل العود والضرب به)[١٩٨] .

والمقام الشهابى أحمد ، ولد السلطان أينال (ت ٨٧٣ هـ / ١٤٦٨ م)، عزل الأمير لؤلؤ بن عبد الله الطواشى الرومى ، مقدم المماليك السلطانية أينال ، لكونه قد امتنع وشمخ عن إعطائه جارية حسناء كانت له تضرب بالجنك[١٩٩] .

---

(١٩٥) لعل هذا هو السر الذى جعل بعض العارفين يقول فى وصيته : (علموا أبناءكم الغناء ، ان استغنوا غنوا لأنفسهم ، وان افتقروا كانوا فى صدور المجالس) . ناصر الكلبى : بلوغ الأوطار ، ق٣ .

(١٩٦) ابن تغرى بردى : المنهل ، جا ، ص ٢٦٥ .

(١٩٧) السخاوى : الضوء ، جـ٨ ، ص ١٨٤ ـ ١٨٥ .

(١٩٨) نفسه ، جـ٧ ، ص ٢٠٧ .

(١٩٩) الصيرفى : إنباء ، ص ٩١ ، سنة ٨٧٣ هـ .

أما المقام الناصري محمد بن الملك الظاهر جقمق ، فلكون والده قد سار في سلطنته (على قدم هائل من العبادة والعفة عن المنكرات والفروج)(٢٠٠) ، الشأ (متواضعاً ، بشوشاً ، هيناً ليناً ، مع حسن الشكالة ، وخفة الروح ، والميل إلى نطرب ، على قاعدة الصوفية والعقلاء من الرؤساء)(٢٠١) .

وبعد ، فإذا كانت تلك هي سيرة السلاطين وأولادهم ، فما بالنا بالأمراء وأبنائهم ، والناس في مصر والشام ، خاصة وأن بمصر — مثلا — كانت لا تنكر (آلات الطرب ذوات الأوتار(٢٠٢)) وأن المصريين أناس (ذوو طرب وسرور ولهو)(٢٠٣) .

فالأمير بدر الدين بيسري ـ مثلا ـ ما لبث أن ترك شئون الحكم بدمشق ، واشتغل باللهو والشرب(٢٠٤) .

والأمير أغلبك بن رمتاش الرومي (ت ٧١٥ / ١٣١٥ م) ـ أحد أمراء صفد ثم دمشق ـ كان (يجيد ضرب العود)(٢٠٥) .

والأمير ركن الدين عمر بن طقصو (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) صنف ـ من ضمن ما صنف ـ في الموسيقا(٢٠٦) .

والأمير ملكتمر الناصري الحجازي، كان (يحب اللهو ويعرف الموسيقى ، فأقبل على اللعب والشرب والصيد والتهتك والتنزه ، واتصل بالمنصور أبي بكر

---

(٢٠٠) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١٥ ، ص ٣٤٨ ، سنة ٨٤٤ هـ .

(٢٠١) نفسه ، جـ١٥ ، ص ٥٠٣ ، سنة ٨٤٧ هـ .

(٢٠٢) المقريزي : خطط ، جـ٢ ، ص ١٤٣ .

(٢٠٤) ابن الفرات : تاريخه ، جـ٧ ، ص ١٥٠ ، سنة ٦٧٨ هـ .

(٢٠٤) ابن الفرات : تاريخه ، جـ٧ ، ص ١٥٠ ، سنة ٦٧٨ هـ .

(٢٠٥) ابن حجر : الدرر ، جـ١ ، ص ٤١٨ .

واختص به هو ورفقته وعكفوا معه على اللهو حتى قبض عليهم قوصون وسجنهم(٢٠٧)) في سنة (٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م) .

كذلك حدث أن وُجِدَ كل من كريم الدين عبد الكريم بن مكانس وشمس الدين محمد أبو البركات ناظر الدولة في خيمة بيضاء مضروبة في خرطوم الروضة على شاطىء النيل (وعندهم جماعة من المغاني وأرباب الآلات وهم يشربون الخمر)(٢٠٨) .

والأمير طشتمر بن عبد الله العلائي الدوادار (٧٨٦ هـ / ١٣٨٤ م) كان (يسمع الألحان ويضرب)(٢٠٩) .

والأمير اشقتمر بن عبد الله الماردينى (ت ٧٩١ هـ / ١٣٨٨ م) ـ النائب بحلب والشام ـ كان يضرب بالعود (فلما مات الناصر تاب من ضرب العود وكسر آلاته مع انه كان لا نظير له فيه)(٢١٠) .

والأمير شيخ بن عبد الله الصفوي الخاصكي ـ أمير مجلس الظاهري برقوق (ت ٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م) — كان مع محبته للعلماء (عنده نوع كبر وميل إلى اللهو [والرقص](٢١١) والطرب وسماع المغاني وجمع المساخر ، فلذلك سقطت منزلته عند السلطان)(٢١٢) .

والأمير كشبغا الحموي اليلبغاوي ـ أتابك العساكر ـ (ت ٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م) كان مشتغلا بجمع الجواري وسماع الملاهي(٢١٣) .

---

(٢٠٧) ابن حجر : الدرر ، جـ٥ ، ص ١٢٧ — ١٢٨ .

(٢٠٨) ابن اياس : بدائع ، جـ١ ، ق٢ ، ص ٢٧٩ — ٢٨٠ ، سنة ٧٨٨ هـ .

(٢٠٩) ابن تغرى بردى : المنهل — ترجمته —

(٢١٠) ابن حجر : الدرر ، جـ٣ ، ص ١٤٩ . كذا انظر : ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١١ ، ص ٢٨٧ — ٢٨٨ ، سنة ٧٩١ .

(٢١١) الاضافة من المنهل — ترجمة شيخ بن عبد الله —

(٢١٢ ، ٢١٣) الصيرفي : نزهة ، جـ٢ ، ص ٢٦ ، ٢٧ ، سنة ٨٠١ هـ .

والأمير فارس القطلو قجاوى الروى الظاهرى (ت ٨٠٢ هـ / ١٣٩٩ م) — حاجب الحجاب بالديار المصرية — كان إلى جانب شجاعته ومعرفته بأصول الرى، يميل إلى سماع المغانى والملاهى[٢١٤] .

كذلك كان الأمير طيفور ، حاجب الحجاب بدمشق (مائلا إلى اللهو والطرب)[٢١٥] .

والأمير محمد بن يونس الدوادار ، كان (شاباً متولعا بالملاهى واللعب)[٢١٦] .

والأتابك ابن تغرى بردى (المؤرخ) كان أيضاً ، أستاذاً فى علم الموسيقا (وله اليد الطولى فى علم النغم والضروب والأيقاع ، حتى لعله لم يكن فيه مثله فى زمانه ، انتهت إليه الرياسة فى ذلك ، وكتب كثيراً وحصل وصنف وألف)[٢١٧] .

والأمير قرقماش المدعو سيدى كبير (ت ٨١٦ هـ / ١٤١٣ م) كان (يحب سماع الملاهى والمطربات)[٢١٨] .

والأمير طوغان الحسنى الظاهرى برقوق الدوادار (ت ٨١٨ هـ / ١٤١٥ م) كان محتشماً ويراعى العلماء ، ولكنه (كان مشتغلا بالشرب والمغانى أيام السلطان الناصر فرج ، ثم قصر عن ذلك)[٢١٩] .

---

(٢١٤) الصيرفى : نزهة ، جـ ٢ ، ص ٦٤ ، سنة ٨٠٢ .

(٢١٥) نفسه ، جـ٢ ، ص ٦٥ ، سنة ٨٠٢ هـ .

(٢١٦) نفسه ، جـ٢ ، ص ٦٧ ، سنة ٨٠٢ . كذا انظر : السخاوى : الضوء ، جـ٦ ، ص ١٦٤ .

(٢١٧) ابن تغرى بردى : المنهل — ترجمته — كذا انظر : الصيرفى : نزهة ، جـ٢ ، ص ٣٢٠ ، سنة ٨١٥ هـ .

(٢١٨) السخاوى : الضوء ، جـ٦ ، ص ٢١٩ .

(٢٢٠) ابن شاكر : فوات ، [illegible]

والأمير قنز طوغان العلائى (ت ٨٦٤ هـ / ١٤٥٩ م) كان على (معرفة بالموسيقا عملا لا علماً)[٢٢٠] .

أما الأمير جانى بك ، فقد أقام فى قبته سماعاً (وحضر قراء البلاد جميعاً وحضر الرئيس إبراهيم بن الجندى المغنى وعلى بن رحاب المغنى ، فتعصب الأمير جانى بك فى تلك الليلة لابن رحاب على إبراهيم بن الجندى ، وكان هذا أول شهرة ابن رحاب بالغناء من يومئذ)[٢٢٢] .

والأمير يوسف بن تغرى بردى من يشبغا الظاهرى برقوق (أخذ علم النغمات والموسيقا وأدوار صفى الدين عبد المؤمن عن الشيخ الإمام فتح الدين العجمى وعن غيره)[٢٢٢] .

والأمير تنابك بن عبد الله ، كان (كثير الأنهماك على اللهو والطرب)[٢٢٣] .

كذلك حدث أن شارك بعض القضاة وأولادهم والموظفون والأجناد ، وبعض رجالات الصوفية والأدباء والعلماء وغيرهم ، سلاطينهم وأمراءهم فى محبة سماع الغناء والنغمة الطيبة ، أو ألفوا فيه والموسيقا وتعاونوها .

فحينما رفض الخليفة المتوكل على الله محمد أن يحمل فى السلطنة الأمير أحمد ابن الأمير يابغا العمرى ، سبه الأتابك أيتبك ، وقال له : (ما أنت قاره إلا فى اللعب بالحمام والأشتغال بالجوارى المغنيات والضرب بالعود[٢٢٤]) .

---

(٢٢٠) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور ، ص ٥٦٣ . كذا انظر : النجوم ، ١٦ ، ص ٢٠٩ ، سنة ٨٦٤ (حاشية ٢) ، السخاوى : الضوء ، جـ٤ ، ص ١٠ .

(٢٢١) ابن اياس : بدائع ، جـ٢ ، ص ٤٠٦ ، سنة ٨٦٧ هـ .

(٢٢٢) الصيرفى : انباء ، ص ١٧٥ ، سنة ٨٧٤ هـ .

(٢٢٣) نفسه ، ص ٣٠٣ ، سنة ٨٧٥ هـ .

وبالإضافة إلى تبسط جمال الدين ابن القاضي جلال الدين القزويني وعشرته للملاهي وغيرهم ، ركن إلى سماع الغناء [٢٢٥] .

والحسن بن أحمد بن صدقة الشافعي _ الذي ناب في القضاء عن الجمال الحسفاوي _ كان محبا للهو ، عارفاً ببعض آلات الطرب [٢٢٦] .

وأبو عبد الله محمد الأنصاري الحمصي ، كاتب سر دمشق ، كانت له (يد في علم الموسيقى وتأديته ، وعنده ميل إلى اللهو والطرب ، مع حشمة ودين وكرم) [٢٢٧]

وجمال الدين عبد الله بن الحسن الأذرعي ، أحد موقعي الدست (قرأ القرآن ، وبرع في الموسيقا) [٢٢٨] .

ومحمد بن أحمد بن محبوب ، أحد المنشدين ، كان يتعاطى _ من ضمن ما يتعاطى _ الموسيقا [٢٢٩] .

ومجير الدين بن تميم الأسعردي (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٢ م) _ أحد الأجناد _ كان بديع النظم ، فهو القائل في عوادة :

جاءت بعود كلما لعبت به ... لعبت بي الأشجان والتبريح

غنت فجاوبها ولم يك قبلها ... شجر الأراك مع الحمام ينوح [٢٣٠]

---

(٢٢٥) الشجاعي : تاريخ الملك الناصر ، ص ٢٠ ، سنة ٧٢٨ هـ ، كذا انظره ، ص ٢١ .

(٢٢٦) السخاوي : الضوء ، ج٣ ، ص ٩٣ .

(٢٢٧) ابن تغرى بردى : النجوم ، ج١٢ ، ص ١٦٣ ، سنة ٨٠٠ هـ .

(٢٢٨) السخاوي : التبر ، ص ٥٣ ، سنة ٨٤٦ هـ .

(٢٢٩) ابن حجر : انباء ، ج١ ، ص ٤٠٧ ، كذا انظر : ابن العماد : شذرات ، ج٦ ، ص ٣٢٤ ، سنة ٧٩٢ هـ .

(٢٣٠) ابن شاكر ...

والناصر محمد بن علي بن شعبان _ الجندي _ كان يجيد الغناء والموسيقا [٢٣١] .

والطبيب ، أحمد بن علي الغساني الأسواني ، كان أديباً وموسيقياً [٢٣٢] .

والطبيب ، أبو زكريا يحيي البياسي الأندلسي _ أحد رجالات الطب في بلاط صلاح الدين الأيوبي _ كان موسيقياً (يجيد اللعب بالعود ، وعمل الأرغن أيضاً وحاول اللعب به [٢٣٣]) .

والطبيب ابن الساعاتي (ت ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م) كان خبيراً بعلم الموسيقا ويحسن الضرب بالعود [٢٣٤] .

والطبيب ، محمد بن عبد الله بن سفير _ الذي خدم في بيت السلطان الناصر _ كان ، (يحب المجون ويضرب بالعود سراً) [٢٣٥] .

والطبيب ، محمد بن أحمد بن أبي بكر الرقوطي ، كان يعرف الموسيقا [٢٣٦] .

والشهاب المقرئ أحمد بن أبي بكر بن أحمد البغدادي الدمشقي _ نقيب الأشراف المتعممين _ كان ؛ عالماً ناثراً يعرف الموسيقا [٢٣٧] .

ومحمد بن الشيخ أحمد الخلاطي _ إمام الكلاسة ثم خطيب جامع دمشق _ كان (حسن الصوت طيب النغمة ، عارفاً بصناعة الموسيقا ، مع ديانة وعبادة) [٢٣٨] .

---

(٢٣١) ابن تغرى بردى : النجوم ، ج١٥ ، ص ٥٢٧ _ ٥٢٨ ، سنة ٨٥٢ هـ .

(٢٣٢) ابن العماد : شذرات ، ج٣ ، حوادث ، سنة ٥٦٢ هـ .

(٢٣٣) ابن ابي اصيبعة : عيون ، ج٢ ، ص ١٦٣ .

(٢٣٤) ياقوت : معجم الادباء ، ج١١ ، ص ١٤١ _ ١٤٢ .

(٢٣٥) ابن حجر : الدرر ، ج٤ ، ص ٣٠٩ .

(٢٣٦) ابن حجر : الدرر ، ج٣ ، ص ٤٦٤ .

(٢٣٧) ابن كثير : البداية ، ج١٤ ، ص ٩١ _ ٩٢ ، سنة ٧١٨ هـ . كذا انظر : ابن العماد : شذرات ، ج٦ ، ص ٤٣ ، حوادث ، سنة ٧١٧ هـ .

(٢٣٨) ابن كثير : البداية ، ج١٤ ، ٤٦ ، سنة ٧٠٦ هـ .

والخطيب ، يوسف بن أحمد بن إبراهيم القناوى (ت ٧٢٧ هـ/ ١٣٢٧ م) ، كان له نظم حسن ، سيما فى الألغاز ، فهو القائل فى مغن :

ما اسم إذا عكسته نظرت ما صحفته

ينعم بالوصل متى صحفت ما عكسته[٢٣٩]

والخطيب الجمال السبتى — خطيب جامع التوبة بالعقيبة بدمشق — كان يلعب فى صباه بآلة الجغانة[٢٤٠] .

والواعظ السكندرى سيد على وفا ، المالكى الشاذلى ، كان له نظم فائق ، وألحان محزنة طيبة[٢٤١] .

والواعظ ، عبد القادر بن أبى ذاكر محمد القاياتى القاهرى الوفائى (ت ٨٧٣ هـ/ ١٤٦٨ م) كان (فى شبيبته من عجائب الله فى حسن الصوت وطيب النغمة ، بحيث يضرب بحسن صوته المثل ... وكان إذا طاب فى العمل وطرب فى نفسه يصير كل عضو فيه يتحرك مع القول)[٢٤٢] . ثم كان أن انقطع صوته بعد بلوغه ، ثم (فتح الله عليه وصار قطيماً داخلا[٢٤٣] من كثرة الطرب الذى يأتى به وحسن الأصول ، وكان له نظم سافل وإذا طرب صفق بيديه وتتحرك جميع أعضائه ، وله تنسك يخالطه بعض تهتك)[٢٤٤] . هذا ، وقد عد ذلك الرجل نادرة طيبة — بعد الواعظ ابن القرداح — (ولم يخلف بعد مثله)[٢٤٥] .

---

(٢٣٩) ابن حجر : الدرر ، جـ٥ ، ص ٢٢١ .

(٢٤٠) ابن العماد : شذرات ، جـ٥ ، ص ١٤٨ ، سنة ٦٣٢ هـ . كذا انظر : ابن خلكان : وفيات ، جـ٥ ، ص ٣٣٥ .

(٢٤١) نفسه ، جـ٧ ، ص ٧٠ ، سنة ٨٠٧ هـ .

(٢٤٢) السخاوى : الضوء ، جـ٤ ، ص ٢٩٦ — ٢٩٧ .

(٢٤٣) انظر ، ص ٩٧ ، ١٠٢ ، ص ١١٧ .

(٢٤٤ ، ٢٤٥) الصيرفى : انباء ، ص ٨٨ .

هذا ، والمعروف أن ابن القرداح (ت ٨٤١ هـ / ١٤٣٧ م) قد لازم العز ابن جماعة فى فنون كالموسيقا ، وأنه قد انتهى إليه (حسن الأنشاد فى زمانه ، وله اليد الطولى فى الضرب بالعود والبراعة فى ضرب السنطير)[٢٤٦] .

والواعظ ، الناشد ، المادح ، أبو الفدا (ت ٨٨٨ هـ / ١٤٨٣ م) كان (من أعيان دواخل مصر فى حسن الصوت وجودة الغناء ، وكان لا بأس به)[٢٤٧] .

وعلى بن بطيخ القاهرى — الضرير ، أحد رؤساء الأجواق — كان من الذين برعوا فى الموسيقا ، (ولذا كان يسلك فى قراءته اتقان الأنغام ، وغيره يلاحظ أدب التجويد)[٢٤٨] .

والقارىء ، جمال الدين عبد الله بن خليل بن يوسف الدرداق — الذى كان أبوه من الطبالين — نشأ مع قراء الجوق (وكان له صوت مطرب)[٢٤٩] .

والقارىء ، أحمد بن حسن بن على الأذرعى ، كان أحد أئمة الملك المؤيد شيخ المحمودى ومن أتى بعده ، (وكان لصوته ندارة وشجاوة ، وكان يشارك فى نادى الموسيقا)[٢٥٠] .

والقارىء ، عبد الله بن على بن محمد « تقى الدين السروجى » ، كان له (نظم كثير ، وغنى بشعره المغنون)[٢٥١] .

---

(٢٤٦) السخاوى : الضوء ، جـ٢ ، ص ١٤٢ — ١٤٣ .

(٢٤٧) ابن اياس : بدائع ، جـ٣ ، ص ٢٠١ ، سنة ٨٨٨ هـ .

(٢٤٨) السخاوى : الضوء ، جـ٥ ، ص ١٩٨ .

(٢٤٩) ابن العماد : شذرات ، جـ٧ ، ص ٨٤ ، سنة ٨٠٩ هـ .

(٢٥٠) ابن تغرى بردى : المنهل ، جـ١ ، ص ٢٦٧ — ٢٦٨ . كذا انظر : السخاوى : التبر ، ص ١٨٨ ، سنة ٨٥١ هـ .

(٢٥١) ابن شاكر : فوات ، جـ١ ، ص ٤٦٦ ، وعن نماذج من شعره المغنى ، انظر نفس الجزء ، ص ٤٦٧ ؛ ٤٦٨ .

ومن شيوخ الخوانق وغيرها من المؤسسات الدينية: محمد بن عيسى ابن حسن ابن كر الحنبلي (ت ٧٥٩ هـ / ١٤٥٤ م) . كان صوفياً فقيهاً ، وله زاوية عند الحسين ـ رضي الله تعالى عنه وأرضاه ـ وأخرى بالقرب من الدكة بشاطئ الخليج . قرأ فن الموسيقا ـ بعد غيره من العلوم ـ على القاضي علاء الدين التراكيشي الحنبلي الموسيقي ، ووضع فيه كتاب : « غاية المطلوب في فن الأنغام والضروب » [٢٥٢] سمع مقدمته على الشيخ صلاح الدين الصفدي في شوال من سنة (٧٤٠ هـ / ١٣٤٤ م) ، وذلك بمنزله الذي كان في زاويته التي كانت عند المشهد الحسيني ، حيث قال له ابن كر: (ظهر لي خطأ جماعة من المتقدمين في هذا الفن مثل الفارابي وغيره : وقد برهنت ذلك)[٢٥٣] . يعني أنه قام فنقل (مذاهب القدماء وحررها ، وأخذ نفسه بأن لا يمر به صوت مما ذكره أبو الفرج الأصبهاني إلا ويجيء به على وجهه)[٢٥٤] ويكشف ميزته وعيوبه .

ويحيى بن عبد الرحمن الجمبري (ت بعد ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م) الذي دخل في خدمة الأمير قوصون ، كان (حاذقاً بالموسيقا ، فكان قوصون يستدعي ذلك منه خلوة ، فلما ذلك، فسأل السلطان أن يأذن له في العود إلى دمشق، فأذن له، فاستقر بها في مشيخة الربوة ... واشتغل هو ، فأحرز الموسيقا ، وجود الكتابة والأنشاء) [٢٥٥] .

وشيخ خانقاة سرياقوس ، إسلام بن الأصفهاني ، كان يجمع في مجالسه (أراذل الناس وأصحاب الأغاني والملاهي)[٢٥٦] .

(٢٥٢) يذكر فارمر : مصادر الموسيقى العربية ، ص ١٠٠ ، أن هذا الكتاب موجود بالمكتبة الملكية ببرلين تحت رقم ١/٥٥٣٦ .

(٢٥٣) ابن تغري بردي : المنهل ـ ترجمة محمد بن عيسى ـ

(٢٥٤) ابن حجر : الدرر ، جـ٤ ، ص ٢٤٥ ، كذا انظر نفس المرجع السابق والترجمة .

(٢٥٥) نفسه ، جـ٥ ، ص ١٩٢ ـ ١٩٣ .

(٢٥٦) الصيرفي : نزهة ، جـ٢ ، ص ٦٨ ـ ٦٩ ، سنة ٨٠٢ هـ . كذا انظر : السخاوي : الضوء ، جـ١ ، ص ٢٢٦ .

وشيخ التاج والسبع وجوه[٢٥٧] ، حيدر بن أحمد بن إبراهيم أبو الحسن الرومي (ت ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ م) (إنتهت إليه الرياسة في فني الموسيقى والألحان ، وصنف فيهما مع الديانة) ،[٢٥٨] (ولرقصه في السماع خفر ولأخيه إبراهيم الرياسة فيه . ولم نر بعدهما من يدانيهما في الموسيقى والرقص)[٢٥٩] في السماع .

والصوف، ابن دقيق العيد القشيري (ت ٦٦٧ هـ / ١٢٦٨ م) كان (مستغرقاً في الفكرة فيما ينفعه في الآخرة) [٢٦٠] ، بدليل أنه دخل يوماً على زوجته ، فكان عندها ملاه ، فما سمع الشيخ ذلك، لكونه منذ أن دخل الدار قد إشتغل بقراءة القرآن الكريم [٢٦١]

أما الفقيه مجير الدين عمر ابن اللمطي ، فقد قال عن الفقيه محمد بن علي ابن وهب (ت ٧٠٢ هـ / ١٣٠٢ م) : (كنا نتحدث عنده بالليل ، وكنا نسمع بمغنية يقال لها « جارية النطاع » وأنها تغني غناء في غاية الحسن ، فكنا

(٢٥٧) يذكر المقريزي : « خطط ، جـ١ ، ص ٤٨٠ » أن العامة مازالوا حتى عهده يقولون : التاج والسبع وجوه ، وذلك على الرغم من خراب منظرة التاج ، وهي المنظرة التي نزلها من قبل الخلفاء الفاطميون . كذلك كانت الخمس وجوه من منازلهم ، ثم صارت في عصر سلاطين المماليك من أعظم مفترجات القاهرة (ثم أن السلطان المؤيد شيخ المحمودي الظاهري جدد عمارة منظرة فوق الخمس وجوه) ابتداء من سنة (٢٨٣هـ/ ١٤٢٠ م) . هذا ، ويضيف ابن تغري بردي : المنهل ـ ترجمة حيدر بن احمد ـ أن الملك الظاهر جقمق ما لبث أن هدمها في سنة ٨٤٨ هـ / ١٤٤٤ م) وذلك لما كان يقع فيها من فسق وشرب وغيره . كذا أنظر : نبيل عبد العزيز : بلبل الروضة ، (حاشية رقم ٣٨)

(٢٥٨ ، ٢٥٩) السخاوي : الضوء ، جـ٣ ، ص ١٦٨ ـ ١٦٩ . كذا انظر : المنهل ـ ترجمة حيدر بن احمد (٢٦) .

(٢٦٠ ، ٢٦١) الادفوي : الطالع ، ص ٤٣٢ .

تشتهى أن تسمعها ، فجاءنا شخص مرة ، وقال : هى الليلة تغنى فى المكان الفلانى ، احضروا أول الليل ، فصلينا مع الشيخ ، وقمنا توجهنا إلى المكان ، ثم جئنا ، وصرنا ندخل قليلا قليلا ، حتى لا يشعر بنا فيعرف الخبر ، ويذكر علينا ، فعرف بنا ، فقال : ما بالسيد ؟ أخبرونى ، فأخبرته أنا الخبر ، فقال : يا فقيه ، أمرها عندى خفيف)[٢٦٢] .

كذلك روى الشيخ فتح الدين بن سيد الناس ، أن أبا حيان الغرناطى — أستاذ الكمال الأدفوى وغيره — قال مرة : (ما يعجبك أن تكون عندك عوادة ، فقال له : «أما أكره ذلك» ، وأنشد لبعضهم[٢٦٣] :

غنت فأخذت صوتها و عودها ... فتألفا الصوتان صوت المسعود

هيفاء[٢٦٤] تأمر عودها فيطيعها ... أبدا ويتبعها اتباع ودود

وكأنما[٢٦٥] الصوتان حين تمازجا ... بنت[٢٦٦] الغمامة وابنة المفقود)

فطلب منه الإعادة حتى حفظه .

والشيخ محمد بن عمر مكى بن عبد الصمد (ت ٧١٦ هـ / ١٣١٦ م) وقعت عنه عدة أناشيد ، منها :

---

(٢٦٢) نفسه ، ص ٥٨٣ — ٥٨٤ . كذا انظر : سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٠٣ — ١٠٤ .

(٢٦٣) يذكر النويرى : « نهاية الارب ، ج ٥ ، ص ١٢١ » أن هذه الابيات لعلى بن عبد الرحمن بن يونس المنجم .

(٢٦٤) كذا عند الادفوى : « الطالع ، ص ٥٨٥ » أما عند النويرى : « نهاية الارب ج ٥ ، ص ١٢١ » (غيداء) .

(٢٦٥) كذا فى الطالع ، ص ٥٨٥ . أما عند النويرى : « نهاية الارب » (فكانما) .

(٢٦٦) كذا فى الطالع ، اما فى نهاية الارب (ماء) .

ما الكاس عندى بأطراف الأنامل بل ... بالخمس تقبض لا يحلو بها الهرب[٢٦٧]

والشيخ، سيد محمد وفا (ت ٧٦٥ هـ / ١٣٦٣ م) أنشأ (القصائد والموشحات على طريقة الشيخ عمر بن الفارض)[٢٦٨] .

والشيخ بدر الدين بن الشهيد الدمشقى (ت ٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م) كان له نظم جيد ، منه فيمن يضرب بآلة القانون :

غنى على القانون حتى غدا ... من طرب يهز عطف الجليس

داوى قلوب من عليل الأسى ... وكان فيها من هواه رسيس

فصاحت الجلاس عجباً به ... يا صاحب القانون أنت الرئيس[٢٦٩]

والفقيه، الحسن بن هبة الله الأدفوى (ت ٧٢٠ هـ / ١٣٢٠ م) ، كان (يعرف شيئاً من الموسيقا)[٢٧٠] .

والفقيه، صالح بن عبد القوى الأسنائى (ت ٧٢٤ هـ / ١٣٢٣ م) اشتهر بحسن الصوت (ثم اشتغل بالموسيقا ، فعرف منها شيئاً ، وكان طروباً حسن

---

(٢٦٧) السبكى : طبقات ، ج ٦ ، ص ٢٣ .

(٢٦٨) ابن اياس : بدائع ، ج١ ق ٢ ، ص ١٤ ، سنة ٧٦٥ .

(٢٦٩) ابن اياس : بدائع ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٠٠ ، سنة ٨٠٠ هـ .

(٢٧٠) الادفوى : الطالع ، ص ٢١٦ . كذا انظر : ابن حجر : الدرر ، ج ٣ ، ص ١٢٣ — ١٢٤ .

الأخلاق)[٢٧١] ، ثم زال عنه كل ذلك .

وشرف الدين بن أسد المصرى (ت ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م) كان شيخاً ماجناً متهتكا (ظريف . . ويعاشر الندماء ، ويشبب فى المجالس على القيان)[٢٧٢] .

والصوفى ، محمد بن أحمد بن عبد الله المصرى ، زوين ، (ت ٧٩٥هـ/١٣٩٢م) كان (لطيف الذات ، حسن الأداء ، حلو الكلام ، حسن الغناء والخلاعة)[٢٧٣] .

والفقيه ، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسى ، فالسكندرى ، كان علامة فى الموسيقا وغيرها[٢٧٤] .

والصوفى ، أبو المواهب محمد بن محمد بن أحمد ، ابن زغدون ، التونسى فالقاهرى ، له مؤلف فى حل سماع العود[٢٧٥] .

ومن الكتاب : الكاتب الناظم ، حجازى بن أحمد الدرقطانى (٧٠١ هـ / ١٣٠١ م) ، كان يعجبه غناء القصفية المغنية ، وكانت تغنى دوماً بشعره . فلما حضرته يوماً ، واستأذنت فى الدخول على مجلسه ، أجابها من فوره :

ادخلى تدخلى علينا سروراً   أنت والله نزهة المشتاق

لا تميلى إلى الخروج سريعا   تخرجى عن مكارم الأخلاق[٢٧٦]

---

(٢٧١) نفسه ، ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠ .

(٢٧٢) ابن شاكر : فوات ، جـ ١ ، ص ٢٨١ .

(٢٧٣) ابن الفرات : تاريخه ، جـ٩ ، ص ٣٥٦ . كذا انظر : ابن حجر : انباء ، ص ٤٦٤ ، سنة ٧٩٥ هـ .

(٢٧٤) ابن العماد : شذرات ، جـ ٧ ، ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩ ، سنة ٨٦١ هـ .

(٢٧٥) نفسه ، جـ ٧ ، ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦ ، سنة ٨٨٢ هـ . وانظر : فارمر : مصادر الموسيقى العربية ، ص ١٠٩ .

(٢٧٦) الادفوى : الطالع ، ص ١٨٩ ـ ١٩٠ ـ كذا انظر : ابن حجر : الدرر ، جـ٢ ، ص ٨٩ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٠٤ (حاشية ٢) .

والكاتب المجود بدر الدين الحسن بن على (ت ٧٠٢ هـ / ١٣٠٢ م) كاتب القصص بدمشق ، كانت له أشعار اباحية فى المغنية فرحة بنت الخايلة[٢٧٧] .

وأحمد بن محمد القاهرى الدمشقى ، كاتب الخط المنسوب ، (كان أستاذاً فى ضرب القانون)[٢٧٨] .

والأديب ، زكريا بن يحيى بن يوسف الدشناوى (ت ٧٠٣ / ١٣٠٣ م) كان له فى مغن راقص :

يا من غدا الحسن إذ غنى وماس لنا
مقسماً بين أبصار وأسماع
فاسوك بالغصن رطبا[٢٧٩] والهزار غنا[٢٨٠]
وما تقاس بمياس وسجاع
قد تسجع الورق لكن غير داخلة
وترقص البان[٢٨١] ، بل فى غير إيقاع

والأديب الشيخ ، شمس الدين محمد بن على بن عمر المازنى ، كان شاعراً مجيداً (يعرف الأنغام والموسيقا . . . وكان يعمل الشعر ويلحنه موسيقا ويغنى به ، فيكون من شعره وصناعته)[٢٨٢] ، كما كان يجيد اللعب بالقانون ، وعمر (مكاناً بالربوة وزخرفه ، فكان يجتمع فيه عنده الظرفاء ، ويأخذ عنه أهل الملاهى والألحان)[٢٨٣] .

---

(٢٧٧) راجع : ابن شاكر : فوات ، جـ ١ ، ص ٢٥٢ .

(٢٧٨) ابن حجر : انباء ، جـ ٢ ، ص ٤٠٧ ، سنة ٨١١ هـ .

(٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١) كذا عند الادفوى : « الطالع ، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ » أما عند ابن حجر : « الدرر ، جـ ٢ ، ص ٢٠٧ » فقد وردت الكلمات على الترتيب (رقصا) ، (غنى) ، (ويرقص الغصن) .

(٢٨٢) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ٩ ، ص ٢٥٢ ، سنة ٧٢١ هـ .

ومن مختارات شعره موشحة أولها :

بأبى غصن بانة حملا ∴ بدر دجى بالجمال قد كلا، أهيف

∴ فريد حسن ما ماس أو سفرا ∴

إلا أغار القضيب والقمرا

∴ يبدى لنـــا بابتسامة دررا

فى شهد لذ طعمه وحلا ∴ كأن أنفاسه نسيم طلا ، قرقف[٢٨٤]

هذا ، ويقال إن هذا الرجل كان اشترى مملوكاً ، فرباه وهذبه، وأدبه وأحبه. فلما مات حزن عليه حزناً شديداً (ونظم فيه أشعاراً كثيرة ، وكان يلحن الأبيات ويغنى بها على قانونه على طريق الحزن ، فلا يكون له فى ذلك نظير)[٢٨٥]، فنقلها عنه المغنون[٢٨٦] .

فمما قاله فى مملوكه — قبل أن يموت — هذا الصوت :

ما سبح الورد فى خديك ريحان … إلا ووجهك فى التحقيق بستان

ولا انعطف مثلك المعاطف من صاف … إلا وريقك خمر وهو نشوان[٢٨٧]

ومن نظمه فيه بعد مماته :

سلوا طول هذا الليل يخبركم عنى … بأنى لم يغمض لفقــدكم جفنى[٢٨٨]

وقال فيه أيضاً :

تيم قلبى وزادنى أســفا … بدر به البدر قد غدا كلفا

(٢٨٤) ابن تغرى بردى : النجوم ، ج ٩ ، ص ٢٥٢ ، سنة ٧٢١ هـ . كذا انظر : ابن شاكر : فوات ، ج ٢ ، ص ٤٩٣ ــ ٤٩٤ (حيث بقية الموشحة) .

(٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧) ابن حجر : الدرر ، ج ٤ ، ص ١٩٧ . كذا انظر : ابن شاكر:

مهفهف القـــد لين قامته … على غصن الأراكة الهيفا

يا راحلا أودع الحشا حرقا … كدت بها أشارف التلفا

بعدك دمعى قد كاد يغرقنى … وكلما قلت قد كفى وكفا[٢٨٩]

والناظم الناثر ، إبراهيم بن محمد بن نوفل الثعلبى الأدفوى (٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م) كان (فى عنفوان شبابه يضرب بالوتر ، ويغنى بين أصحابه غناء يشجى السامع ويطرب المسامع)[٢٩٠] .

والأديب الفقيه جعفر بن ثعلب ، كانت له معرفة بالموسيقى[٢٩١] .

والنحوى ابن الصايغ الأموى المرى، تعانى (الضرب بالعود فنبغ فيه)[٢٩٢] .

أما الأديب الشاعر ، برهان الدين القيراطى (٧٢٦ : ٧٨١ هـ | ١٣٢٥ : ١٣٧٩ م) ، فقد قال فى عوادة :

أطربنا العود إلى أن غدا … مقامنا يرقص مع صحبه

فشمعه قام على ســاقه … وكأســه دار على كعبه[٢٩٣]

كذلك قال الأديب البارع ، شمس الدين محمد بن حسن النواجى (ت ٨٥٩ هـ | ١٤٥٤ م) فى عواد :

فقلت بحسن عواد بديع … مليح الشكل معشوق الشمايل

(٢٨٩) ابن شاكر : فوات ، ج ٢ ، ص ٤٩٢ .

(٢٩٠) الادفوى : الطالع ، ص ٦٦ .

(٢٩١) ابن حجر : الدرر ، ج ٢ ، ص ٧٧ . هذا ، والجدير بالذكر ان هذا الرجل هو صاحب كتاب : « الطالع السعيد » .

(٢٩٢) ابن العماد : شذرات ، ج ٦ ، ص ١٦٥ ، سنة ٧٤٩ هـ . كذا انظر : ابن حجر : الدرر ، ج ٤ ، ص ١٠٣ ، ١٠٥ .

(٢٩٣) ابن تغرى بردى : المنهل ، ج ١ ، ص ٧٠ . كذا انظر : الغزولى : مطالع

يحرك عوده فينا بلطف فيقتلنا بأطراف الأنامل(٢٩٤)

ومحمد بن محمد بن مبارك شاه ، التاج التمنى ، كان له عمل فى (الموسيقا والنغماء والفقراء علماً وعملا)(٢٩٥) .

ومن المؤرخين : ابن واصل ، الذى كان من مؤلفاته : « تجريد الأغانى من الثالث والمثانى »(٢٩٦) .

والمقريزى ، كان من بين مؤلفاته : « إزالة التعب والعناء فى معرفة الحال فى الغناء »(٢٩٧) .

كذلك كان المؤرخ ابن تغرى بردى ، يعرف علم الموسيقا والألحان(٢٩٨) وأربابه ، كما كتب (كثيراً وحصل وصنف وألف)(٢٩٩) .

ومن ناحية أخرى ، فلما كانت الملوك تهوى النزه — والناس على دين ملوكهم — فقد اتخذت الحدائق والمتنزهات فى مصر ، كأماكن لإحياء ليالى الطرب .

---

(٢٩٤) ابن اياس : بدائع ، جـ ٢ ، ص ٣٢٤ — ٣٢٥ ، سنة ٨٥٩ هـ .

(٢٩٥) السخاوى : الضوء ، جـ ٩ ، ص ٦٨ .

(٢٩٦) حاجى خليفة : كشف الظنون ، جـ ١ ، ص ٢٦٧ . هذا وتوجد نسخة من هذا الكتاب بمكتبة المتحف البريطانى . انظر : فارمر : مصادر الموسيقى العربية ، ص ٩١ .

(٢٩٧) السخاوى : الضوء ، جـ ٢ ، ص ٢٣ . هذا ، ويذكر فارمر : « مصادر الموسيقى العربية ، ص ١٠٧ » انه لم يبق من هذا المؤلف غير العنوان والورقة ٢٠٣ وظهرها ، وان العنوان واحدى الطرز بخط المقريزى نفسه ، وان هذه الورقة محفوظة بمكتبة جامعة ليدن تحت رقم ٢٤٠٨ ، وان وستنفلد قد قام بطبع هذه القطعة — بعد ان حذف طرة المؤلف فى الكلام عن ابن سريج — ؟! فى رسالة المقريزى : « البيان والاعراب » (ط . جوتنجن سنة ١٨٤٧) .

(٢٩٨ ، ٢٩٩) ابن تغرى بردى : المنهل — ترجمته — وانظر ما سبق ، ص

فالسلطان المؤيد شيخ المحمودى — مثلا — كان يميل إلى المغنى ابن الفرداح ، (ويأخذه معه فى متنزهاته وخلواته)(٣٠٠) .

والسلطان الغورى ، ما خرج قط للتنزه إلا وبصحبته المغانى والملاهى .

فهو حينما توجه — مثلا — فى سنة (٩١٨ هـ / ١٥١٢ م) إلى الوطاق الذى نصبه عند الأهرام ، (أخذ معه جماعة من المغانى وأرباب الآلات)(٣٠١) .

وحينما نزل خرطوم الروضة فى سنة (٩١٩ هـ / ١٥١٣ م) ، كان فى (صحبته مغانى وأرباب الآلات)(٣٠٢) .

وكذلك جرى إبان نزوله إلى بولاق، وقبة لأمير يشبك ،التى بالمطرية(٣٠٣) .

ومن أجل عافية هذا السلطان، صار يقع فى بركة الرطلى (كل ليلة أمور غريبة من سماع مغنى لطيفة)(٣٠٤) وغير ذلك — هذا علاوة على استمرار ما كان يعمل من قبل فى تلك البركة فى كل ليلة من : (مغانى عرب أو ابن رحاب المغنى أو غير ذلك من الملاهى) —(٣٠٥) .

كذلك اعتاد الأمير آنوك الركوب إلى بركة الحبش ، ليستمع إلى المغنية زهرة(٣٠٦) .

---

(٣٠٠) السخاوى : الضوء ، جـ ٢ ، ص ١٤٣ .

(٣٠١) ابن اياس : بدائع ، جـ ٤ ، ص ٢٩٠ ، سنة ٩١٨ هـ .

(٣٠٢) نفسه ، جـ ٤ ، ص ٣٣٧ ، سنة ٩١٩ هـ .

(٣٠٣) نفسه ، جـ ٤ ، ص ٢٧٥ ، سنة ٩٢٠ هـ ، ص ٤٦٧ — ٤٦٨ ، ص ٤٧٣ ، سنة ٩٢١ هـ .

(٣٠٤) نفسه ، جـ ٤ ، ص ٣٣٤ ، سنة ٩١٩ هـ . كذا انظر : الكواكب الدرية ، الدرى ، ص ٦٤ .

(٣٠٥) نفسه ، جـ ٣ ، ص ٢٩٩ ، سنة ٨٩٩ هـ .

(٣٠٦) المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ، ق ٢ ، ص ٤٩٢ ، سنة ٧٤٠ هـ .

والأمير ابن مكانس وصهره ضربا ذات ليلة (خيمة على شاطئ النيل وأحضرا من يغنى وعملا مقاماً حافلا)(٣٠٧) .

وأما الساحل — من منشاة المهرانى إلى قريب بولاق قبل خرابه — فكان (مغنى صبابات وموطن أفراح)(٣٠٨) .

كذلك يذكر المقريزى، أنه ما مر يوماً ببركة قرموط — بين اللوق والمقس — إلا و تبين له من بين آثار النعم صوت مغنى طيب (٣٠٩) .

كذلك اشتهرت القرافة — خاصة الصغرى — بأنها لا تكاد (تخلو من طرب، ولا سيما فى الليالى المقمرة)(٣١٠) .

فى ذلك يقول شافع بن على (ت ٧٣٠ هـ | ١٣٢٩ م) :

تعجبت من أمر القرافة إذ غدت
على وحشة الموتى لها قلبنا يصبو
فألفيتها مأوى الأحبة كلهم
ومستوطن الأحباب يصبو له القلب(٣١١)

أما عن أحياء ليالى الطرب خارج القاهرة ، فيذكر ابن إياس — مثلا — أن السلطان الناصر حسن ، ما لبث أن خرج فى سنة (٧٦٢ هـ | ١٣٦٢ م) إلى

---

(٣٠٧) ابن حجر : انباء ، جـ ١ ، ص ٣٥٣ ، سنة ٧٩٠ هـ . كذا انظر : ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٣٧٩ — ٣٨٠ ، سنة ٧٨٨ هـ ، وما سبقه ، ص ٤٩ .

(٣٠٨ ، ٣٠٩) المقريزى : خطط ، جـ ٢ ، ص ١٣١ ، ص ١٦٣ .

(٣١٠) نفسه ، جـ ٢ ، ص ٤٤٣ .

(٣١١) الصفدى : نكت الهميان ، ص ١٦٥ ، كذا راجع : المقريزى : خطط ، جـ ٢، ص ٤٤٣ .

كوم برا بإمبابة ، حيث ضرب بها وطاقاً ، دام ثلاثة أشهر ، (وكان يحضر عنده مغانى عرب)،(٣١٢) والناس يتوافدون فى كل ليلة للسماع والمشاهدة .

وأن السلطان الغورى ، حينما خرج إلى الإسكندرية فى سنة (٩٢٠ هـ/١٥١٤ م) كان بصحبته (جماعة من المغانى وأرباب الآلات من دواخل البلد فى الغناء) (٣١٣) .

وبعد، فإذ اتضح لنا مما تقدم أن كثيراً من الناس قد أحبوا سماع الغناء و آلات الطرب ، لم يكن مستغرباً أن يقتنى القادر منهم المغانى عنده فى داره ، أو يخص نفسه بسماع مغن حاذق ، ويؤثره على غيره .

وإذ كان بعض الناس قد آمنوا بمقولة الأصبهانى : إن (نعيم الدنيا أن تسمع الغناء من فم تشتهى تقبيله)(٣١٤) ، لم يكن مستغرباً أن يتزوج الأقوم منهم ومن السلاطين من المغانى — وذلك بعد عتق الجارية منهن — وذلك إلى جانب حرائرهم .

فبياض عودية — أم أحمد ابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون — (كانت تجيد الغناء ، وكانت من عتقاء الأمير بهادر آص رأس نوبة ، وكانت تعرف بقومة ، وكان للناس بها اجتماعات فى مجالس أنسهم . فلما بلغ الناصر خبرها طلبها واختص بها ، وحظيت عنده ، فولدت أحمد هذا على فراشه ، ثم تزوجها بعد ذلك الأمير ملكتمر السرجوانى فى حياه الملك الناصر محمد)(٣١٥) .

واتفاق العوادة ، كانت قد دخلت بيت السلطان الناصر محمد ، فحظيت

---

(٣١٢) ابن اياس : بدائع ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٥٧٢ ، سنة ٧٦٢ هـ .

(٣١٣) نفسه ، جـ ٤ ، ص ٤١٥ ، سنة ٩٢٠ هـ .

(٣١٤) الراغب الاصبهانى : محاضرات ، جـ ٢ ، ص ٧١٨ .

(٣١٥) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١٠ ، ص ٥٠ ، كذا انظر : المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ، ق ٣ ، ص ٥٩٣ — ٥٩٤ ، سنة ٧٤٢ هـ ، الشجاعى : تاريخ الملك

عند ابنه الصالح إسماعيل ، فولدت له ذكراً ، إذ كان (يهوى الجوارى السودان)[٣١٦] ، فإختصها بنفيس الجوهر[٣١٧] .

وبعد وفاة الصالح ، باتت اتفاق عند أخيه الملك الكامل من ليلة سلطنته ، (لما كان فى نفسه منها أيام أخيه)[٣١٨] !! . كما فرق عليها وعلى غيرها من جواريه – مع تقدير عنصر المبالغة – جميع ما أتى به الحواشى مقبل الرومى من طرابلس من قماش نساء الأمير قارى ، وكل ما وجد له (وفيه زنة سبعين مثقال من الجوهر . . . وفيه مبلغ أربعين ألف درهم وثلاثة آلاف دينار وزركش بنحو مائتى ألف درهم)[٣١٩] .

وبعد ولادتها منه (عمل لها دائرة بيت طوله اثنتان وأربعون ذراعاً ، وعرضه ست أذرع ، دخل فيه خمسة وتسعون ألف دينار مصرية ، وذلك خارج عن البشخاناة والمخاد والمساند)[٣٢٠] ؛ كما عمل للمولود غشاء مهد وقماط وجميع ما يناسبه بتكلفة ستة وثمانين ألف دينار مصرية[٣٢١] . ومع ذلك ، فقد تزوج من ابنة الأمير بكتمر الساقى[٣٢٢] .

---

(٣١٦) ابن تغرى بردى : النجوم ، ج ١٠ ، ص ١٥٠ ، سنة ٧٤٧ هـ . كذا انظره، ص ٩٦ ، سنة ٧٤٣ هـ . المقريزى : السلوك ، ج٢ ، ق ٣ ، ص ٦٧٨ ، سنة ٧٤٧ هـ . كذلك كانت حدق ومسكة من جوارى السلطان الناصر محمد (نشاتا فى داره وصارتا قهرمانتين لبيت السلطان يقتدى برايهما فى عمل الاعراس والمهمات الجليلة فى الاعياد والمواسم وترتيب شئون الحريم السلطانى وتربية أولاد السلطان) المقريزى : خطط ، ج ٢ ، ص ١١٥ .

(٣١٧) ابن حجر : الدرر ، ج١ ، ص ٨٣ .

(٣١٨) ابن تغرى بردى : النجوم ، ج١٠ ، ص ١٥٠ ، سنة ٧٤٧ هـ .

(٣١٩) المقريزى : السلوك ، ج٢ ، ق ٣ ، ص ٧٠١ ، سنة ٧٤٧ هـ .

(٣٢٠) ابن تغرى بردى : النجوم ، ج١٠ ، ص ١٥٠ ، سنة ٧٤٧ هـ .

(٣٢١) ابن حجر : الدرر ، ج١ ، ص ٨٣ .

(٣٢٢) ابن تغرى بردى : النجوم ، ج١٠ ، ص ١١٩ ، المقريزى : السلوك ، ج ٢،

وبعد مقتل الملك الكامل شعبان ، وتوليه أخيه المظفر حاجى ، فرقت جواريه الحسانة على الأمراء[٣٢٣] .

أما اتفاق ، فبعد أن وجد لها أربعون بذلة مكللة بالجواهر واللآلىء ، وستة عشر مقعد زركش ، وثمانون مقنعة أقلها بمائتى دينار وأكثرها بألف[٣٢٤] ، أخرجت من القلعة .

ومع ذلك ، فإن السلطان المظفر ما لبث أن طلبها ، فطلعت إلى القلعة بجواريها مع الخدام (وتزوجها السلطان خفية ، وعقد له عليها شهاب الدين أحمد بن يحيى الجوجرى ، شاهد الخزانة ، وبنى عليها من ليلته بعد ما جليت عليه ، وفرش تحت رجليها ستون شقة أطلس ، ونثر عليها الذهب ، ثم ضربت بعودها وغنت ، فأنعم السلطان عليها بأربعة فصوص وست لؤلؤات ، ثمنها أربعة آلاف دينار)[٣٢٥] ، ورسم بإعادة ما كان قد أخرج عنها من خدام وجوار وغير ذلك ، كما أعطاها (أضعاف ما كان يعطيها أخواه ، وهام بها فأفرط)[٣٢٦] ، وطلب أستاذها عبد على العواد إلى القلعة ، ليغنيه ، فغناه (فأنعم عليه بإقطاع فى الحلقة ، زيادة على ما كان بيده ، وأعطاه مائتى دينار وكاملية حرير بفرو سمور)[٣٢٧] .

---

(٣٢٣) ابن تغرى بردى : النجوم ، ج١٠ ، ص ١٤٩ ، سنة ٧٤٧ هـ .

(٣٢٤) كذا عند ابن حجر : الدرر ، ج١ ، ص ٨٣ ، اما فى النجوم ، ج١٠ ، ص ١٥٠ ، سنة ٧٤٧ هـ ، (فيها ما قيمته عشرون الف درهم) .

(٣٢٥) ابن تغرى بردى : النجوم ، ج١٠ ، ص ١٥٣ – ١٥٤ ، سنة ٧٤٧ هـ . كذا انظر : المقريزى : السلوك ، ج٢ ، ق ٣ ، ص ٧٢١ ، سنة ٧٤٧ هـ .

(٣٢٦) ابن حجر : الدرر ، ج١ ، ص ٨٤ .

(٣٢٧) ابن تغرى بردى : النجوم ، ج١٠ ، ص ١٥٤ ، سنة ٧٤٧ هـ – كذا انظر : المقريزى : السلوك ، ج٢ ، ق ٣ ، ص ٧٢١ ، سنة ٧٤٧ هـ .

وإذ انقطع السلطان المظفر حاجى بقاعة الدهيشة[٣٢٨] لهو بحظياته اتفاق ، وسلمى ، والسكركية وأتلف عليهن وأمثالهن الأموال العظيمة ، شرع كبار الأمراء فى تخويفه من سوء العاقبة .

ومن ثم ، رسم السلطان بإبعاد جميع حظياته عن القلعة (بما عليهن من الثياب من غير أن يحملن شيئاً من الجوهر والزركش ، وأن تقلع عصبة اتفاق عن رأسها ويدعها عنده ، وكانت هذه العصبة قد اشتهرت عند الأمراء وشنعت قالتها ، فإنه قام بعملها ثلاثة ملوك الأخـــوة من أولاد الملك الناصر محمد ابن قلاوون)[٣٢٩] .

بمعنى ، أن إخراج تلك الحظيات كان عن إكراه من الملك المظفر ، وبدليل أن فراقهن قد ترك فى نفسه حزازات (تمنعه من الهدوء والصبر عنهن ، فأحب أن يتعوض عنهن بما يلهيه ويسليه فاختار صنف الحمام)[٣٣٠] وذلك إلى جانب لعبة

(٣٢٨) يقول المقريزى : «السلوك ، جـ٢ ، ق٣ ، ص٦٥٣» انه قد حدث فى سنة (٧٤٤ هـ / ١٣٤٣ م) أن (فرغت عمارة القاعة المعروفة بالدهيشة من القلعة ، وفرشت بأنواع البسط والمقاعد الزركش ، وجلس السلطان وبين يديه جواريه . فاكثر من الانعام والعطاء) . كما يضيف « فى ص ٦٧٩ » ان السلطان الصالح اسماعيل قـد انفق على هذه القاعة (خمس مائة الف درهم ، سوى ما حمل اليه من بلاد الشـام وغيرها ، ثم عمل فيها أوانى الذهب والفضة ، ومن الفرش ما يجل وصفه . ومنـذ عمارتها لم ينتفع بها أحد لشغفه بالغناء والجوارى) .

(٣٢٩) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١٠ ، ص ١٥٦ ، سنة ٧٤٧ هـ . كـذا انظر المقريزى : السلوك ، جـ٢ ، ق ٣ ، ص ٧٢٥ ـ ٧٢٦ ، سنة ٧٤٦ هـ . هذا ، ويقال ان قيمة عصبة اتفاق بلغت مائة الف دينار مصرية ، راجع : ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١٠ ، ص ١٥٦ ، ابن حجر : الدرر ، جـ١ ، ص ٨٤ ، ابن العماد : شذرات ، جـ٦ ، ص ١٥٢ ، سنة ٦٤٨ هـ ، المقريزى : السلوك ، جـ٢ ، ق ٣ ، ص ٧٢٥ ، سنة ٧٤٨ هـ .

(٣٣٠) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١٠ ، ص ١٥٨ ، سنة ٧٤٧ هـ ، كذا انظـر : المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ، ق ٣ ، ص ٧٢٩ ، سنة ٧٤٨ هـ ، نبيل عبد العزيز : الحمام الزاجل ، ص ٤٤ (فصلة من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد (٢٢) لسنة ١٩٧٥) .

مع الأوباش من العوام والغلمان والعبيد ، وإحضاره عبد على العواد ليلا إلى القلعة ، ليأخذ عنه (الضرب بالعود ، ويتجاهر بما لا يحمد ، وشغف السلطان بكيدا ، حتى لا يكاد يفارقها ، واشترى لها أملاك تنكز وأخيه رزق الله وصهره الخاص بخط الزربية ، فاشتراها بمائة ألف درهم)[٣٣١] .

كذلك حدث بعد أن قدم ابن الحرانى من دمشق بمال الأمير يلبغا اليحياوى ، أن أنعم (السلطان من أثاثه على كيدا حظيته بعشرين ألف دينار منه ، سوى الجواهر واللآلئ ، ونثر الذهب على الخدام والجوارى ، فاختطفوه ، وهو يضحك منهم)[٣٣٢] .

وما أن تولى الناصر حسن الملك فى سنة (٧٤٨ هـ | ١٣٤٧ م) حتى رسم لشاد الدواوين بطلب خدام المظفر حاجى وعبيده وكل من عاشره من الفراشين ومطيرى الحمام ، لحملهم على دفع ما أخذوه من الأموال (فأقر الخدام أن الذى خص كيدا فى مدة شهرين نحو خمسة وثلاثين ألف دينار ، ومائتين وعشرين ألف درهم ، وخص عبد على العواد نحو ستين ألف درهم ، وخص اسكندر بن كتيلة الجنكى نحو الأربعين ألف درهم)[٣٣٣] . فقطع السلطان أخباز عشرين خادماً ، وخبز عبد على العواد واسكندر بن كتيلة ، والعبيد والجوارى ، (وأحيط بمال كيدا حظية الملك المظفر التى أخذها بعد اتفاق السوداء العوادة ، وأموال بقية الحظايا ، وأنزلن من القلعة)[٣٣٤] . ومع ذلك ، ممعنا أن السلطان مالبث أن وفر (كثيراً من رواتب الدولة لزوجات السلطان وكيدا واتفاق ، وقطعت

(٣٣١ ، ٣٣٢) المقريزى : السلوك ، جـ٢ ، ق ٣ ، ص ٧٤٠ ـ ٧٤١ ، سنة ٧٤٨هـ كذا انظر : ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١٠ ، ص ١٦٩ ـ ١٧٠ ، سنة ٧٤٧ هـ .

(٣٣٣) المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ، ق ٢ ، ص ٧٤٥ ، سنة ٧٤٨ هـ ، كذا انظر : ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١٠ ، ص ١٨٨ ، سنة ٧٤٨ هـ .

(٣٣٤) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١٠ ، ص ١٨٨ ، سنة ٧٤٨ هـ .

دواتب المغانى ، وقطع من الإسطبل السلطانى جماعة)[٣٣٥] .

وإذا كان السلطان حسن قد قام بذلك - فإلى جانب التوفير - فترضية لكبار الأمراء ، إذ أنه (يحب اللهو والطرب ، ويميل إلى شرب الراح ، وحب القيان من النساء الملاح)[٣٣٦] ، ويدليل أنه ما لبث أن استدعى المغنية دنيا بنت الأنباسى الدمشقية ، فحظيت عنده[٣٣٧] .

هذا ، ومن الأمراء الذين تزوجوا من المغانى البر دادار عبد الحفيظ على بن أحمد الخياط (ت ٨٩١ هـ | ١٤٩٨ م) الذى مات (فى كفالة زوجته ابنة نحيلة المغنية بالفالج)[٣٣٨] .

وخوبى العوادة ، لما لم تحظ عند الأمير يشتاك - رغم أنه لم يدخل مصر نظير لها[٣٣٩] - فقد زوجها لبعض مماليكه[٣٤٠] .

وزوجة إبراهيم ابن الخليفة أبى الربيع كانت مغنية[٣٤١] .

كذلك ذكر ، أن المغنية خديجة الرحابية ، قد (تشرفت بتزوج الشريف على بن بركات ، حين كان بالقاهرة)[٣٤٢] .

---

(٣٣٥) المقريزى : السلوك ، جـ٢ ، ق٢ ، ص ٧٤٦ ، سنة ٧٤٨ هـ - كذا انظر : ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١٠ ، ص ١٨٨ ، سنة ٧٤٨ هـ . هذا ويقال انه بعد ان اخرجت اتفاق من القلعة ، تزوجت من الوزير موفق الدين هبة الله بن السعيد ابراهيم (ورتب لها فى السنة سبعمائة الف درهم الى ان مات عنها ، وتنقلت بها الاحوال الى ان ماتت) ابن حجر : الدرر ، جـ١ ، ص ٨٤ .

(٣٣٦) ابن اياس : بدائع ، جـ١ ، ق ١ ، ص ٥٧٩ ، سنة ٧٦٢ هـ .

(٣٣٧) راجع ما سبق ، ص ٣٣ ، ٣٥ ، وما سيلى ، ص ٧٤ ، ٧٧ .

(٣٣٨) السخاوى : الضوء ، جـ٤ ، ص ٣٦ .

(٣٣٩ ، ٣٤٠) ابن حجر : الدرر ، جـ١ ، ص ١٨٤ .

(٣٤١) يذكر المقريزى : « السلوك ، جـ٢ ، ق١ ، ص ٢٦٨ ، سنة ٧٢٥ هـ » انه من أجل ذلك سجن ابراهيم ، واشهد عليه بطلاق تلك المغنية .

(٣٤٢) السخاوى : الضوء ، جـ١٢ ، ص ٣٣ - كذا انظر : ابن تغرى بردى :

ومن ناحية أخرى ، فتتواتر فى المراجع سير بعض المغنيات - والخدام - ممن قدر لهن أن يلعبن دوراً هاماً فى تصريف بعض شئون الدولة - فما بالك بدورهن فى حياة القصور ! - .

فجمال الكفاة - مثلا - كان قد تقدم فى دولة الملك الصالح إسماعيل ، فأصبح ناظر الخاص ، فناظر الجيش ، بسبب أن السلطان كان قد اشتد شغفه باتفاق العوادة ، فرتب جمال الكفاة جلوس عبد على العواد مع اتفاق عند السلطان . ثم إن السلطان كان يخشى بسط يده لإتفاق من الأمير الكبير أرغون العلائى ، فأسر بذلك إلى جمال الكفاة ، فصار جمال الكفاة (يأتيه بكل نفيس من الجواهر وغيرها سراً ، فينعم به على اتفاق ، وكذلك كان السلطان قد أسر للوزير نجم الدين هواه فى اتفاق ، فكان أيضاً يحمل إليه فى الباطن الأشياء النفيسة ولا كما يحمله جمال الكفاة ، فعلت رتبة جمال الكفاة)[٣٤٣] .

وإذا انصرف السلطان الصالح إسماعيل عن تدبير الملك بإقباله على النساء والمغنين تصدى عنبر السحرتى لالاه (لقضاء الأشغال ، فصارت الاقطاعات والرزق لا تقضى إلا بالخدم والنساء)[٣٤٤] ، الأمر الذى جعل الأمير أرغون العلائى والأمير ملكتمر الحجازى يتفكران على الأمير آل ملك النائب عجزه وتصرفه المقيد (بسبب أنه كان إذا قدم إليه منشور باقطاع أو مرسوم بمرتب ، ليكتب عليه بالاعتماد ، يتشكره من ذلك ، وإذا سأله أحد إقطاعاً أو مرتباً قال له : « يا ولدى ادرح إلى باب الستارة ، أبصر طواشى أو توصل لبعض المغانى تقضى حاجتك) أو قال له : (النائب ماله حكم ادرح إلى باب الستارة واسأل عن الطواشى فلان الدين والطواشى

---

(٣٤٣) المقريزى : السلوك ، جـ٢ ، ق ٣ ، ص ٦٦٢ - ٦٦٣ ، سنة ٧٤٥ هـ .

(٣٤٤) نفسه ، جـ٢ ، ق ٣ ، ص ٦٧٩ ، سنة ٧٤٦ هـ - كذا انظر : ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١٠ ، ص ٩٧ ، سنة ٧٤٣ هـ .

فلان الدين يقضوا حاجتك)[٣٤٦] .

كذلك قيل ، إن المغنية دنيا بنت الأقباعى الدمشقية ، كانت من أعظم الأسباب فى إسقاط مكس المغانى فى سنة (٧٧٩ هـ | ١٣٧٧ م) ، (سألت السلطان فى ذلك ، فأجاب إليه)[٣٤٧] .

---

(٣٤٦) المقريزى : السلوك ، جـ٢ ، ق ٣ ، ص ٦٧٩ ، سنة ٧٤٦ هـ ، كذا انظر» ص ٦٥٧ ، سنة ٧٤٤ هـ ٠

المغنيات :

لقد كان من ضمن العوائد المألوفة ، أن يقتنى الملوك ورؤساء الناس بعض القيان الحسان، ذوات الدلال (إذ أن غناء الجوارى ذوات الحسن والدلال له وقع فى القلب أحسن من وقع غناء الرجال !! ... وقال أفلاطون : غناء الملاح تحرك فيه الشهوة، وغناء القباح يحرك فيه الطرب لا الشهوة)[٣٤٨] . لذلك لم يبال الشراة بما يدفعونه فيهن ولهن من أموال عظيمة ،(وكل ذلك وبال على صاحبه).[٣٤٩]

هذا ، والملاحظ أن عادة اقتناء القيان عند سلاطين المماليك ورؤساء الناس ، اقتضت أن يمتلك كل واحد عنده فى داره جوقة كاملة من المغانى .[٣٥٠]

فالسلطان المنصور محمد بن المظفر حاجى (ت ٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م) ــ مثلا ــ كانت عنده فى داره جوقة كاملة من المغانى — زيادة على عشر جوار —[٣٥١] عرفن من بعده بمغانى المنصور ، وكانوا (يزفون بالطارات عند الصباح وعند المساء ، وكانت هذه عادة رؤساء أهل مصر ، يقتنوا عندهم الجوار المغانى . وآخر من كان يفعل ذلك الأمير جمال الدين محمود الأستادار ، ثم بطل ذلك من مصر مع جملة ما بطل من محاسن عيشة الأكابر ، ولأجل ذلك اتخذوا الأغانيات التى تشرف على الدور وجعلوها برسم الجوار المغانى التى يزفون عند الصباح وعند

---

(٣٤٨) الغزولى : مطالع البدور ، جـ١ ، ص ٢٥٨ ٠ كذا انظر : المشهدى : **كشف الهموم** ، ق ١٠٩ أ : ١٠٩ ب ٠

(٣٤٩) السبكى : معيد النعم ، ص ١٨ ٠

(٣٥٠ ، ٣٥١) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١١ ، ص ٨ سنة ٧٦٢ هـ ، هذا، ويضيف نفس المؤرخ ، « فى نفس المؤلف ، والجزء ، ص ٣٨٠ ، سنة ٧٩١ هـ » أن عدد مغنيات الجوقة عند الملوك والامراء كان (نحو خمس عشرة واحدة) ٠ اما ابن اياس : « بدائع، جـ١ ، ق١ ، ص ٥٩٣ ، سنة ٧٦٤ هـ » فيذكر انهن (نحو عشرة) ٠ كذا انظر : المقريزى: السلوك ، جـ٢ ، ق ١ ، ص ٢٤٩ ، سنة ٧٢٣ هـ ، الخطط ، جـ٢ ، ص ١٢٣ ٠

النساء . ولما مات الملك المنصور ، استمرت جواريه المغاني يعملون الأفراح للناس)[٣٥٢]

هذا ، والملاحظ أن سبيل اقتناء الجوارى كان متعدداً . والقاعدة فى ذلك هى : شراؤهن من أسواق الرقيق ؛ فقد كانت بمصر والشام - كغيرها من مدن الشرق - أسواق ودلالون لبيع الرقيق بنوعيه : الأبيض والأسود ،[٣٥٣] أو من معلماتهن وضامناتهن ، وذلك إلى جانب طلب بعضهن بعد السماع عنهن ، أو المهاداة والتقدمة ببعضهن .[٣٥٤]

فالملك الناصر محمد بن قلاوون - مثلا - كان قد شغف بحب الجوارى ، (فكتب إلى أعمال مصر ببيع الجوارى المولدات وحملهن إليه ، وأخذهن حتى من المغنيات ، فزادت عدتهن عنده على ألف ومائتى وصيفة) .[٣٥٥]

والمغنية خوبى العوادة ، كانت فائقة فى ضرب العود ، فاشتراها بكتمر الساقى

---

(٣٥٢) ابن اياس : بدائع : جا ، ق ١ ، ص ٥٩٣ ، سنة ٧٦٤ هـ ، كذا النظره ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٥١١ ، سنة ٨٠١ هـ ، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٢٤ .

(٣٥٣) يذكر ابن الضحان : سلوة المحزون ، ق ٦٧ ب ، أن دار الفاطمى برجوان كانت تباع فيها المغانى ، اذ يقول : (وانا اذكر شيئا طريفا ، كان مولانا الظاهر - قدس الله روحه - قد اجتاز .. بدار برجوان ، فسمع فيها صبية اسمها حلم نصرانية لدار ابن علون الجهبذ ، وهى دار تباع فيها الاغانى . وكانت هذه الصبية تتردد الى خمار بن نحرير المغنى ، تتعلم عنده ، فلما سمعها وقف وسأل عنها ، فعرف حالها ، وأمر ان تحضر هى وخمار بن نحرير ، فلما راها وسمعها سماعا شافيا أمر بابتياعها ، فابتيعت باربع مائة دينار ...) وعن حارة برجوان والخليفة الظاهر لدين الله (٤١٢ هـ : ٤٢٧ هـ) انظر - مثلا - المقريزى : خطط ، جـ٢ ، ص ٢ : ٣ ، ابن اياس : بدائع ، جا ، ق١ ، ص ٢١١ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ٤ ، ص ٢٤٧ ، سنة ٤١١ هـ .

(٣٥٤) كذلك كانت الطبول البازات من ضمن التقادم . راجع : السخاوى : التبر ، ص ٦٦ ، ٧٦ ، سنة ٨٤٧ هـ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ١٥ ، ص ٣٥٧ ، سنة ٨٤٧ هـ ، ص ٣٥٩ ، سنة ٨٤٨ هـ ، جـ١٦ ، ص ٢٦٢ ، سنة ٨٦٥ هـ .

(٣٥٥) المقريزى : السلوك ، جـ٢ ، ق ٢ ، ص ٥٤٦ ، سنة ٧٤١ هـ .

بعشرة آلاف دينار مصرية ... ثم باعها الناصر لبشتاك بستة آلاف دينار)[٣٥٦]

والملك الصالح اسماعيل ، كان قد شغف بمحبة اتفاق العوادة ، وكانت قد نشأت عند ضامنة المغانى ببلبيس ، ثم انتقلت إلى ضامنة المغانى بمصر ، فعلمتها ضرب العود على عبد على العواد العجمى (ففاقت فيه وبلغت الغاية ، فقدمتها لبيت الناصر ، فحظيت عند الصالح اسماعيل ابن الناصر وولع بها) .[٣٥٧]

وأم الملك الناصر أحمد بن الناصر محمد (٧٤٣ هـ / ١٣٤٢ م) واسمها بياض عودية (كانت تجيد الغناء ... فلما بلغ السلطان الناصر خبرها ، طلبها واختص بها ، وحظيت عنده ، فولدت أحمد هذا على فراشه) .[٣٥٨]

والمغنية دنيا بنت الأقباعى الدمشقية ، كانت قد (اشتهرت فى صناعتها ، فاستدعاها الملك الناصر حسن على البريد ، فأكرمها ، ثم وفدت على الملك الأشرف ، فحظيت عنده) .[٣٥٩]

أما سبيل المهاداة والتقدمة بالقيان - وهو سبيل قصد به غالباً ، خطب ود المهدى إليه أو تقرباً (إلى الخواطر الشريفة السلطانية)[٣٦٠] - فمن أمثلته ما حدث حينما أهدى خليفة بغداد الملك الكامل — صاحب الديار المصرية — جارية تلعب بالكنجة ، تدعى نزهة القلوب .[٣٦١]

---

(٣٥٦) ابن حجر : الدرر ، جـ ١ ، ص ١٨٤ .

(٣٥٧) نفسه ، جا ، ص ٨٣ . كذا انظر : المقريزى : السلوك ، جـ٢ ، ق٢ ، ص ٦٦٢ ، سنة ٧٤٥ هـ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١٠ ، ص ٩٦ ، سنة ٧٤٣ هـ .

(٣٥٨) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١٠ ، ص ٥٠ ، سنة ٧٤٢ هـ ، كذا انظر : المقريزى : السلوك ، جـ٢ ، ق٣ ، ص ٥٩٣ - ٥٩٤ ، سنة ٧٤٢ هـ .

(٣٥٩) ابن حجر : انباء ، جا ، ص ١٦٣ - ١٦٤ ، سنة ٧٧٩ هـ .

(٣٦٠) ابن أيبك : الدرر الفاخر ، ص ٢٨١ ، ٧٣٥ هـ .

(٣٦١) انظر اللاحق .

ومنه أيضاً ، ما جرى فى سنة (٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) من قدوم رسول أبو سعيد ملك التتار إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون بسبب الخطبة والمصاهرة ، وكان بصحبته هدية ، فيها جوار جنكيات . (٣٦٢)

ومن قبيل هذا أيضاً ، ما كان يخرج فى شوار العرائس من بنات الملوك من جوار (كامن مطربات يلعبن بأنواع الملاهى) . (٣٦٣)

وبعد ، فالملاحظ أنه قد وجد فى تلك العصور ، نوعان من الجوارى : البيض والسود .

وأن بعض الناس — بما فيهم السلاطين والأمراء — قد فضلوا — فى بعض الأحايين — السود والمولدات على البيض .

ولعل السر فى ذلك راجع إلى أن القينة ، قد تكون غير مليحة ، ولكن نغمتها رقيقة وطربة ، وصوتها عذباً ، ومن ثم ترتاح إليها النفوس وتعشق قربها (٣٦٤) .

يقول شهاب الدين بن فضل الله فى جارية سوداء مغنية :

يارب سوداء لأجفانها ... كما لبيض الهند تأثير
يطربنى ترجيع ألحانها ... وكيف لا يطرب شحرور (٣٦٥)

---

(٣٦٢) كذا عند المقريزى : «السلوك» ، جـ٢ ، ق٢ ، ص ٣٤٤ ، سنة ٧٣٢ هـ ، أما عند ابن ايبك : « الدر الفاخر ، ص ٣٦١ ، سنة ٧٣٢ هـ » (جوارى مغانى اثنتين) .

(٣٦٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٣ ، ص ٢١٣ ، سنة ٦٠٩ هـ . كذا انظر : المقريزى : السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص ١٧٦ ، سنة ٦٠٩ هـ ، ابن ايبك : الدر المطلوب ، ص ١٧٨ ، سنة ٦١١ هـ . هذا ، والمعروف أن ذلك جرى بمناسبة خروج ضيفة خاتون ابنة الملك العادل من دمشق لتزف الى ابن عمها صاحب حلب .

(٣٦٤) المشهدى : كشف الهموم ، ق ١٠٩ أ — ١٠٩ ب . كذا انظر : ابن نباتة : سرح العيون ، ص ٢٣٥ .

أما الطبيب الأديب ، شبيب بن حمدان (ت ٦٧٥ هـ / ١٢٧٦ م) ، فقد قال فى سوداء :

وبديعة الحركات أسكن حبها ... حب القلوب لواعج البرحاء
سوداء بيضاء الفعال ، وهكذا ... حب النواظر خص بالأضواء
أسرت محاسنها العقول فأطلقت ... أسرى المدامع ليلة الأسراء
فلئن جننت بحبها لا بدعة ... أصل الجنون يكون بالسوداء (٣٦٦)

ومن غناء الذين كانوا يطوفون بأشجار الجيز على خليج القاهرة (الحاكى) :

السود مسك وعنبر ... والسمر قضبان الذهب
والبيض ثوباً دبيقى ... ما يحتمل تمعيك (٣٦٦ م)

هذا ، ومن السلاطين الذين حظيت عندهم الجوارى السود والمولدات ، الناصر محمد بن قلاوون ، (٣٦٧) والملك المنصور أبو بكر بن الناصر محمد . (٣٦٨)

كذلك شغف الملك الصالح اسماعيل بحب الجوارى السود (وبحب جارية سوداء حالكة السواد) (٣٦٩) يقال لها اتفاق العوادة ، وهى حظية شغف بها حباً من بعده كل من السلطانين : الكامل شعبان ، وحاجى . والأخير هو (ثالث سلطان من أولاد ابن قلاوون تزوج بهذه الجارية السوداء ، وحظيت عنده ، فهذا من الغرائب على أنها كانت سوداء حالكة لا مولدة (٣٧٠) ، فإن كان من أجل

---

(٣٦٦) ابن شاكر : فوات ، جـ ١ ، ص ٣٨٠ .

(٣٦٦ م) المغرب فى حلى المغرب ، ص ٣٧٢ ، وعظ خليج القاهرة ، انظر : المقريزى : خطط ، جـ ٢ ، ص ١٣٨ : ١٤٣ .

(٣٦٧ ، ٣٦٨) المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ، ق ٢ ، ص ٥٤٦ ، سنة ٧٤١ هـ ، جـ٢ ، ق ٣ ، ص ٥٦٦ ، سنة ٧٤٢ هـ .

(٣٦٩) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١٠ ، ص ١٤٩ ، سنة ٧٤٧ هـ ، كذا انظر : المقريزى : السلوك ، جـ٢ ، ق٣ ، ص٧١٥ ، سنة ٧٤٧ هـ .

(٣٧٠) يذكر المقريزى : « السلوك ، جـ ٢ ، ق ٣ ، ص ٦٦٢ ، سنة ٧٤٥ هـ » وابن حجر : « الدرر ، جـ١ ، ص ٨٣» ان اتفاق (كانت جارية مولدة الجنس) .

ضربها بالعود وغنائها ، فيمكن من تكون أعلى منها رتبة فى ذلك ، وتكون بارعة الجمال بالنسبة إلى هذه ، فسبحان المسخر) . (٣٧١)

هذا ، والملاحظ أن سبيل شراء القينة كان يتطلب من الشارى أن يأمرها بالغناء — بين يديه — فى طبقات الصوت الشديدة واللينة (وإن كان بحضرته من يعرف هذه الصناعة أمره بأن يشد لها طبقة بعد طبقة على تدريج إلى الصعود فى الشدة أو النزول فى اللين ، وهو يتأمل حالها فى تضاعيف هذه الأحوال ، فيتقلها ، فإذا رآها قد ظهر جوهر حلقها فى أحد الطبقات ، حفظ مكان هذه الطبقة بالحس والعادة ، (٣٧٢) فابتاعها وألزمها الطبقة ومنعها من الانتقال عنها ، فإن غناءها يجود ويحسن وينقلب إلى الأحسان ويغلو ثمنها) . (٣٧٣)

أما إن تملك رجل جارية لا تدرى هذه الصناعة ، وأراد تعليمها إياها ، فكان يركن ترسيمها إلى أمهر المعلمين — وكل بالقطع حسب سعته —

فنزهة القلوب — مثلا — كان قد اشتراها تاجر من تبريز ، ثم أنفق فى سبيل تعليمها الضرب بالكمنجة أموالا طائلة ، فلما انتقلت إلى البصرة ، وسمع بها الخليفة طلبها وأحضر إليها المعلمين لتحسين ضربها . ثم كان أن أهداها الخليفة إلى الملك الكامل صاحب الديار المصرية ، فأراد هذا الملك (أن يمتحنها فى صناعتها ، ليرى خبرها ويدرى صنعتها ويعرف أمرها) . (٣٧٤) فقام بعرضها على جميع الصناع والأستاذين ، ثم ركن ترسيمها إلى الأستاذ محمود الكندى ، ليعلمها أصول هذه الصناعة . (٣٧٥)

واتفاق العوادة ، كانت قد (اشترتها ضامنة المغانى بدون الأربعمئة درهم من ضامنة المغانى بمدينة بلبيس ، وعلمتها الضرب بالعود على الأستاذ عبد على العواد ،

---

(٣٧١) ابن تغرى بردى : النجوم ، ج١٠ ، ص ١٥٤ ، سنة ٧٤٧ هـ . هذا ، ويذكر ابن حجر : « الدرر ، ج١ ، ص ٨٣ ، أن اتفاق (لم تكن جميلة وانما تقدمت بالغنـــاء) .

(٣٧٢) راجع مادة الملحق .

(٣٧٣) ابن الطحان : سلوة المحزون ، ق ٣٥ ب .

(٣٧٤ [illegible] ١٤١ [illegible] كذا انظر الملحق .

فهرت نبه ، وكانت حسنة الصوت جيدة الغناء ، فقدمتها لبيت السلطان) (٣٧٦)

وهكذا يتضح لنا مما سبق ، أن مصر قد اكتسبت شهرة واسعة فى مجال الطرب ، فقدم إليها (كل أستاذ صاحب آلة من المطربين وأمثالهم من المغانى واللاهى) (٣٧٧) .

وبدليل أن الملك المجاهد صاحب اليمن ، لم يعد منها إلى بلده ، إلا بعد أن أخذ معه — من ضمن ما أخذ — عدداً من أرباب الملاهى (وأنعم عليه السلطان والأمـــراء) (٣٧٨) .

أما سر نجاح المغنيات فى جعل سامعيهن مشوق إليهن ، فيرجع إلى : ما أبتدعنه من تلحينات أنيقة تهيج الحليم ، وأبدينه من زينة لمشاهديهن ، ولجأن إليه من تكسيرات وتقلبات فى حركتهن تفتن الناسك ، سيما إذا كان صوت المغنية حسناً وأداؤها طيباً (٣٧٩) .

يقول الحجازى فى مليحة عوادة :

عـــوادة همت بهـــا إذ شكلها ظـــريف
وروحهـــا خفيفة وعـــودها لطيف

---

(٣٧٦) ابن تغرى بردى : النجوم ، ج١٠ ، ص ١٤٩ ، سنة ٧٤٧ هـ . كذا النظر ، ص ٩٦ ، سنة ٧٤٣ هـ ، المقريزى : السلوك ، ج٢ ، ق ٣ ، ص ٦٦٢ ، سنة ٧٤٥ هـ ، ابن حجر : الدرر ، ج ١ ، ص ٨٣ .

(٣٧٧) ابن تغرى بردى : النجوم ، ج١٥ ، ص ٢٤٨ ، سنة ٨٤٤ هـ .

(٣٧٨) المقريزى : السلوك ، ج ٢ ، ق ٣ ، ص ٩١٦ ، سنة ٧٥٥ هـ . كذا النظر : سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٠٢ .

(٣٧٩) الغزولى : مطالع ، ج١ ، ص ٢٦١ . وانظر ما سيلى بعد قليل .

ويقول فى مليحة جنكية :

وغـــادة بجنكها جست فأخفى حسه
وصوتها مذ رفعت كف وطأطأ رأسه

وفى مليحة مدففة يقول :

إن الجريح بلحظ من ضربت بدف إذ وفت

وفى مليحة مشببة :

همت بمن شببت بأنس ما أطيبه
شبت بها نار الهوى لـما غدت مشببه[٣٨٠]

كذلك يرجع إلى ما كتبته بعض المتظرفات منهن ، من عبارات الهوى والوصال على آلاتهن وأبواب دورهن .

من ذلك ما كتبته مزنة على مضرابها : (من نظر إلى سوانا لم يصدق فى هوانا)[٣٨١] .

وكتبت ظبية ابنة بزداد على ملهاتها : (احفظ سرك عن غيرك)[٣٨٢] .

وكتبت المغنية ظوافر على ملاويها[٣٨٣] : (وافق من ترافق ، وقارب من تصاحب)[٣٨٤] .

---

(٣٨٠) الحجازى : ثلاث رسائل ، ص ٤٤ : ٤٥ .

(٣٨١ ، ٣٨٢) الغزولى : مطالع ، جا ، ص ٢٦٢ .

(٣٨٣) الملاوى : المنطقة (التى تلوى بها الأوتار اذا سويت) الخوارزمى : مفاتيح العلوم ، ص ٢٣٨ .

كذلك كتبت المغنية ضوء الصباح بالذهب على عودها : (من خالفنا فليس منا)[٣٨٥] .

أما تحفة فقد كتبت على عودها : (ومن أرادنا لا يصبر عنا)[٣٨٦] .

(وكتبت قيدة جارية الملك الظاهرية على بابها : صل من قطعك واعط من حرمك ، وكتبت نزهة جارية الجصاص على إحدى جانبي مضرابها : من ورد عودها غير حياه به صدر ندائه ، وعلى الجانب الآخر : السعيد من وعظ بغيره)[٣٨٧] .

ومن ناحية أخرى ، فالمعروف أن الدولتين الأيوبية والمماليكية ، قد فرضتا على المغنيات ضريبة عرفت باسم «ضمان المغانى» . بحيث كانت لا تستطيع أى مغنية إحياء عرس أو نحوه — وإن جلت حيثية محييه — إلا إذا حصلت مسبقاً على إذن من ضامنة أو ضامن المغانى ، وذلك بعد دفع الرسم المقرر .

فقد حدث — مثلا — (أن بعض المغانى دخلت على العادل فى عرس ، فقال لها : « وأين كنت » ؟ فقالت : « ما قدرت أجىء حتى وفيت ما على للضامن » . فقال : « وأين الضامن » ؟ قالت : « ضامن القيان » ، فقامت عليه القيامة ، وطلب المعتمد وعمل به ما لا يليق ، وقال : « والله لئن بلغنى مثل هذا لأفعلن ولأصنعن)[٣٨٨] .

هذا ، والملاحظ أن هذا الرسم قد ظل قائماً حتى استقصاه الملك الناصر محمد بن قلاوون من جميع ممالكه (مملكة مملكة ..... فعفينا من ذلك بالديار

(٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧) الغزولى : مطالع ، جا ، ص ٢٦٢ .

(٣٨٨) ابن تغرى بردى : النجوم ، ج ٦ ، ص ١٧٠ ، سنة ٥٩٧ هـ . وأنظر : ابن دانيال : طيف الخيال ، ص ١٢٤ .

المصرية ما شاع خبره وظهر بين الأنام أثره[٣٨٩] ... ثم بثقها ذلك فى سائر الممالك الشامية المحروسة)[٣٩٠] ومنها طرابلس

غير أن وزراء السوء ما لبثوا أن أعادوه (لكثرة ما يتحصل منه ، فإن العرس ما كان يتهيأ حتى يغرم أهله للضامنة خمسمائة درهم فما فوقها ، بحسب حال أهل العرس[٣٩١]، ولا تقدر إمرأة وإن جلت تنقش إلا بإطلاق من الضامنة[٣٩٢]، ولا يضرب بدف فى عرس أو ختان أو نحو ذلك إلا بإطلاق ، وعلى كل إطلاق

---

(٣٨٩) يذكر المقريزى : « خطط ، جـ١ ، ص ٨٨ » والسلوك ، جـ٢ ، ق ١ ، ص١٥١ ـ ١٥٢ سنة ٧١٥ هـ « أن رسوم الأفراح ضريبة كانت تجبى من سائر البلاد ولها (عدة ضمان ولايعرف لهذه الجهة أصل البتة ، وإنما يجبى بضرائب ينال الناس فيها مع الغرر غرامات وروعات) .

(٣٩٠) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ١٣ ، ص ٣٠ : ٣٤ . يضاف إلى ذلك الالغاء، الغاء حقوق القينات (وهى ما كان يأخذه مهتار الطشتخاناة من البغايا ويجمعه من المنكرات والفواحش من أوباش مصر) المقريزى : السلوك ، جـ٢ ، ق ١ ، ص ١٥٢ ، سنة ٧١٥ هـ .

(٣٩١) يذكر ابن حجر : « إنباء ، جـ١ ، ص ١٢٧ ، سنة ٧٧٨ هـ » أنه (ما كان أحد يقدر يعمل عرساً حتى يغرم الدور عشرين إلى ثلاثين مثقال ذهب ، وكانوا بمصر والقاهرة لاتغيب مغنية من بيتها ـ ولو إلى زيارة أهلها ـ إلا إن أخذ الضامن لها رشوة) . ومع ذلك ، فقد كانت الدولة تحط من قيمة رسم ضمان المغانى فى أوقات الوباء . فقد كان مقرراً على ضامنة المغانى (خمسة آلاف درهم ، لكن بسبب الوباء وبطلان الأعراس ، حط الوزير من ضمان المغانى عن الضامنة ثلث ما عليها) . المقريزى : جـ٢ ، ق ٢ ، ص ٧٦٤ ، ٧٨٣ ، سنة ٧٤٩ هـ .

(٣٩٢) يذكر المقريزى : « خطط ، جـ١ ، ص ١٠٥ » أنه كان (على النساء إذا تنفست أو عرس إمرأة أو خضبت إمرأة يدها بحناء أو أراد أحد أن يعمل فرحاً لابد من

فريضة مال مقرر فى الديوان)[٣٩٣] .

وكان على كل مغنية قطيعة[٣٩٤] تحملها إلى الضامنة ، فإن باتت فى غير بيتها قامت بمال للضامنة ، وتدور فى كل ليلة على بيوت المغانى جماعة من جهة الضامنة لمعرفة من باتت منهن خارج بيتها .

أما فى بلاد الصعيد والوجه البحرى ، فقد أفردت بها حارات للمغانى ، وكانت كل مغنية تقوم بدفع مال مقرر[٣٩٥] .

أما من (فعل فرحاً بأغان ، أو نفس إمرأته من غير إذن الضامنة ، حل به بلاء لا يوصف)[٣٩٦] .

---

(٣٩٣) يقصد الديوان المفرد . راجع : ابن اياس : بدائع ، جـ١ ، ق٢ ، ص ١٦٦ ، سنة ٧٧٨ هـ . وعن هذا الديوان انظر : القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ٣ ، ص ٤٥٢ ـ ٤٥٧ ، جـ ٤ ، ص ١٤ ، جـ ٦ ، ص ٢١٥ .

(٣٩٤) يقصد مال . راجع ، ابن اياس : بدائع ، جـ١ ، ق٢ ، ص ١٦٦ .

(٣٩٥) المقريزى : السلوك ، جـ٣ ، ق١ ، ص ٢٦٦ ، سنة ٧٧٨ هـ . كذا انظر : ابن اياس : بدائع ، جـ١ ، ق٢ ، ص ١٦٦ ـ ١٦٧ ، سنة ٧٧٨ هـ ، ابن حجر : انباء ، جـ ١ ، ص ١٢٧ ، سنة ٧٧٨ هـ . هذا ، وقد أورد كل من السيوطى : « حسن المحاضرة ، جـ٢ ، ص ٣٠٤ » وابن حجر : انباء ، جـ١ ، ص ٥٨ « هذا الالغاء فى حوادث سنة ٧٧٥ هـ . مع ملاحظة أن ابن حجر : « انباء ، جـ١ ، ص ٥٨ ، سنة ٧٧٥ هـ » يذكر أن سبب هذا الالغاء هو أن السلطان الأشرف لما طال مرضه ، اشاروا عليه بابطال ضمان المغانى ومكس القراريط ، فلما شفى ، حافظ على الغائه .

(٣٩٦ ، ٣٩٧) المقريزى : خطط ، جـ١ ، ص ١٠٥ ، كذا انظر : ابن تغرى بردى : المنهل ـ ترجمه شعبان بن حسين ـ ، المقريزى : السلوك ، جـ٣ ، ق١ ، ص ٢٦٦ ، سنة ٧٧٨ هـ ، ابن اياس : بدائع : جـ١ ، ق٢ ، ص ١٦٦ ، سنة ٧٧٨ هـ . هذا ، ويذكر المقريزى : « السلوك ، جـ ٣ ، ق ١ ، ص ٢٦٧ ، سنة ٧٧٨ هـ » أن الأمير ناصر الدين

وهكذا استمر ضمان المغاني قائماً ، حتى ألغاه الملك الأشرف شعبان في سنة (٧٧٨هـ / ١٣٧٦م) من جميع أعمال الديار المصرية — من أسوان إلى العريش — [٣٩٧]

ثم كان أن جدد برقوق ، استئصاله ، وذلك إبان إمارته في سنة (٧٨٢هـ / ١٣٨٠م) ثم إبان سلطنته في سنتي (٧٩١هـ / ١٣٨٨م) ، (٨٠١هـ / ١٣٩٨م) من مدن : حماة والكرك والشوبك ، وبنواحي منية ابن خصيب وزفتا ، وبعمل : الأشمونين ومنية عمر بمصر [٣٩٨] .

ومع ذلك ، فقد طال ببعض السلاطين أمرهم إلى حد مصادرة أو قرض مال على بعض المغاني .

ففي سنة (٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) ، (طلبت دبيقة مغنية عرب بالجيزة ، وكانت تخايل بالقاهرة ، وطلبت ضامنة المغاني ، و الزمتا بحمل في نظير ما حصل لهما من بيت المال) [٣٩٩]

كما صودرت — أكثر من مرة — المغنية خديجة الرحابية (ت ٧٧٨هـ / ١٣٧٦م) وقرر عليها (مبلغ له صورة ، وكتب عليها قسامة ، بأنها لا تغني ولا تحضر في مقام) [٤٠٠] ، كونها قد أفسدت الناس .

برهان الدين ابراهيم بن جماعة ، وامتنع من الحكم وحضور دار العدل ، فاستدعاه السلطان وساله عن امتناعه من الحكم ، فقال : « بلغني أن ضمان المغاني أعيد ، وهذا يوجب الفسق ، فحلف له السلطان انه ما أمر باعادته ولا عنده منه علم ، وبعث الى ابن اقبغا آص يعلمه بذلك ، فاعتذر بغير طائل ، فرسم بابطاله ، وكتب بذلك تواقيع قرئت على الناس وسيرت الى النواحي ، فبطل ذلك ولم يعد) . كذا راجع : ابن حجر : انباء ، جـ ١ ، ص ١٢٧ ، سنة ٧٧٨ هـ .

(٣٩٨) راجع : المقريزي : السلوك ، جـ ٣ ، ق ١ ص ٤٠٥ ، سنة ٧٨٢ هـ ، ص ٦١٧ ، سنة ٧٩١ هـ ، ص ٩٤٥ ، سنة ٨٠١ هـ ، الخطط ، جـ ١ ، ص ١٠٥ ، الصيرفي : نزهة ، جـ١ ، ص ٢١١ ، سنة ٧٩١ هـ ، ص ٥٠١ ، سنة ٨٠١ هـ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١١ ، ص ٢٩١ ، سنة ٧٨٤ هـ ، جـ١٢ ، ص ١١٢ ، سنة ٧٩٢ هـ ، ابن حجر : انباء ، جـ١ ، ص ٢١٩ ، سنة ٨٧٢ هـ .

والمغنية هيفة القديدة ، رافعها بعض أعدائها إلى السلطان الغوري بأن لها ذخائر كبيرة من المال وحلة كرى (فلما سمع السلطان ذلك ، قبض عليها ... وقرر عليها ... خمسة آلاف دينار ، فباعت ما تملكه ، وأوردت ألف دينار . وقد تكلم لها القاضي بركات بن موسى بأنها لا تملك غير ذلك ، فقرر عليها بعد ذلك خمسمائة دينار ، تردفي كل شهر مائة دينار على كل جامكية ، وقد طال السلطان نفسه إلى مصادرات المغاني) [٤٠١] .

الفصل الثانى

صفة وشمائل المغنى

إن من أهم الشروط التى يجب توافرها فى المغنى الحسن -- خاصة مغنى الملوك -- أن يكون جميل الخلق (له حلاوة ، وعليه طلاوة ، مستعذب العبارة ، نظيف الشارب[1] ، يحفظ كثيراً من الملح والأخبار والنوادر والأشعار ، وشيئاً من علم الأعراب ما يختلط معه بذوى الآداب ، غير نمام ولا مغتاب ولا فضولى ولا عتاب ، كامل الظرف بعيداً عن الطائر ، متوقياً للمجون ، كتوماً للأسرار)[2] بحيث (لا يقول : وسانى فلان ، وأعطانى فلان ، وحضرت البارحة الموضع الفلانى)[3] وأن يكون عفيف الطرف ، والفرج ، قليل الحديث ، تاركاً للمزاح ، يجمع بين أدب النفس وأدب الدرس .

يقول الصفدى :

لى مطرب كانت جميع صفاته ... متأدب الحركات والتسكين

فإذا دعاه لمجلس حرفاؤه ... يأتى ويجلس فيه بالقانون[1]

كذلك يشترط فى مغنى الملوك ، أن يكون عليماً (بالغناء ، والثياب ، والجوهر والسيوف ، والخيل ، والرقيق ، والطيور الصائدة ، والفروس ، والكتب والعلوم فإن

---

(١) يقصد المشرب .

(٢) الغزولى : مطالع ، ج ١ ، ص ٢٣٢ . كذا انظر : النواجى : حلبة الكميت ، ص ١٥٥ .

(٣) ابن الطحان : سلوة المحزون ، ق ١٧٠ .

حصر الملك شيء وسأله عنه عرف جواب ما يريد منه ، ولا يتكلم إلا جواباً إلا أن يستدعى منه المذاكرة والحديث ، ولا يحكى ولا يستخف ولا يتبذل ولا يقلع ثيابه ، ولا يتروح ، ولا ينتقل من الوضع الذى رسم له ، ولا يكثر القيام إلى حاجاته ، ولا يراسل ستاره[5] ولا يزهزه[6] إلا أن يأمره ، ولا يشرب . وإن قام فليحمل[7] آلته معه ، ولا ينام عند رئيس ، فإن نام فلينم مع جماعة ، وإذا غنى فليكن غناؤه بما يشتهى الرئيس دون من فى المجلس[8] . وليعلم أنه إن مدح رئيساً بحضرة آخر ، فقد فخم الأول وهجن الثانى وصغر إليه نفسه[9] .

هذا . ولكى يطرب المغنى سامعه ، فلابد وأن تجتمع فيه عدة خصال ، منها : الحذق ، والأحسان — ويجتمع للسامع مثل ذلك من الفهم — .

ولذا قالوا : (هات أصول وماشئت قول)[10] ، فيعرف المواضع المعينة — فى الألحان والصوت (التهديك) — على الطرب .

ومنها ، أن يوافق غناؤه الحالة الحاضرة أو المستقبلة أو المتوقعة ، ومما لا يشبع منه جليسه ، وأن يلاحظ عمره ومكانته ، ويتفقد (مواضع نظره ، وحركاته ، وطربه ويقيس على اقتراحاته ، وحاله ، وأى نمط من الألحان والأشعار يعجبه ويطربه ، حتى

---

(٥) اى يجتمع على الغناء مع غيره · وصفة التراسل أن (يبتدىء هذا ويمد صوته فيضيق عن زمن الايقاع فيسكت فياخذ غيره فى مد الصوت ويرجع الاول الى النغم وهكذا حتى ينتهى) المصباح المنير · كذا انظر : جرجيس : تاريخ الموسيقى العربية ، ص ٣٥٠ ، ص ١٠٤ من هذا الكتاب (مادة النايى) ، ص ١٠٥ ، ١٠٦

(٦) انظر ص ٩٢ (الفقرة الثالثة) ·

(٧) فى الاصل (فيحمل) ·

(٨ ، ٩) ابن الطحان : سلوة المحزون ، ق ١٧٠ ، ٧٠ ب ·

(١٠) ناصر الكلبى : بلوغ الأوطار ، ق ٩ ·

يصيب منه ما يريده)[11] كمراعى الزمان[12] والمكان ، ويعتمد (على كل معنى بما يليق به ، فإن مدح فخم ، وإن ذكر الوقائع أرهب وأرعد . وأما إن ذكر الغزل رقق .... وإن ذكر الموت بكى ، وإن ذكر الشباب تأسف)[13] .

أو بمعنى آخر ، فإنه الذى يختار الأشعار الأنغام المناسبة لها . (فإن الناشد — مثلا — فى شد زيرافكند إذا أنشد أبياتاً تليق بحال الفرحان ، كقول القائل مثلا :

وفسح الرضى وتيسر الوصل ... بعد القلى وتجمع الشمل

يكون غير لائق بالشد ، لأن هذا يناسب راست)[14] ، والزيرافكند لايناسب غير الحزن .

وإذا أنشد :

على صبكم يا حاكمين ترفقوا ... ومن وصلكم يوماً عليه تصدقوا

---

(١١) الحسن بن احمد : كمال ادب ، ص ٧٧ · كذا انظره ، ص ٧٨ : ٧٩ ، ص ٩١ · وعن قصة ادخال الطرب على بعض غلاظ القلوب من الملوك بعد قياس طالعه ومعرفة برجه والضرب عليه راجع : الشهدى : كشف الهموم ، ق ١٧٤ ب : ١٨٠ ا ·

(١٢) يذكر ابن سينا : « مدخل الى صناعة الموسيقى ، ص ٢٠١ » انه ينبغى على المغنى ان يلحن (فى وقت الصبح الكاذب برهاوى ، ووقت الصبح الصادق الحسينى ، وعند ارتفاع الشمس قدر رمحين براست ، ووقت الضحى بأبى سليك ، ووقت نصف النهار بزنكولة ، ووقت الظهر بعشاق ، وبين الصلوتين — الصلاتين — بحجاز ، ووقت العصر بعراق ، ووقت الغروب بأصفهان ، ووقت المغرب بنوى ، وبعد صلاة العشاء ببزرك ، ووقت النوم بمخالف) اى بشهناز وزروكند (لاستلزامها الانقباض فى الأغلب) · هذا ، والمعروف أن نغم الحسينى أو النوروز هو المعروف الآن بالبياتى ، والعراق بالسيكاه ، وعشاق بعجم ، ونوى بنهاوند أو عشاق وأبو سليك بكرد ·

(١٣) ابن الطحان : سلوة المحزون ، ق ١٠ ب ·

(١٤) [illegible]

ولاتتـلقوه بالصـــدود فإنه	يحاذر إن يشكو إليكم فتشفقوا

فلا يناسبه من الأنغام غير طريقة نوروز في ضرب الرمل)[١٥]

أما مايؤثر في النفس قوة وشجاعة ، فثلاثة أنغام: عشاق، وأبوسليك، ونوى (وهي تلائم طبع الترك والحبشة والفرنج وسكان الجبال)[١٦] .

وأما ماى ،وراست، ونوروز ، وعراق ،وأصفهان (فإنها تبسط النفس بسطاً لذيذاً لطيفا . وزنـكولة وحسيني وحجازى فإنها تؤثر نوع حزن وفتور . فينبغى حينئذ أن تقرن بكل شد من الشدود شعراً يناسب ذلك)[١٧] .

يقول الأربلي :

يخـتار للسيب والأشواق	والعاف مثـل نغمـة العراق
وللشجاعـة وبسط النفس	كنغمـة العشاق دون لبس
وللوجد والرقة والحزن أرى	كزروكند والحسيني ومـاى[١٨]

هذا ، ولا يستحب في المغنى أن(يعوج شدقه ولاعنقه،ولا ينحنى ،ولا يتقاعس ولا يحرك يديه ولارجليه،ولا يتمايل ،ولا يشنج وجهه ، ولا يجهد نفسه حتى ينتفخ أوداجه ويقوم عروقه وتزور عيناه ،ولا يتحرك من جهة إلى أخرى) [١٩] .

(١٥ ، ١٦ ، ١٧) عبد المؤمن : أنوار الايقاع ، ق ٩١ ـ ٩٢ • كذا انظر : مخطوط : زين الالحان ، ق ٥٤ •

(١٨) الاربلي : ارجوزة الانغام، ص ١١١ ـ ١١٢ ، هذا، ويقول صاحب مخطوطة: « زين الالحان ، ق ٥٤ » انه قيل : (ينبغى ان يكون التلحين باصفهان في مجلس المعشوق اكثر ، فانه يحدث بسطا عظيما في النفوس • وقيل الصوت الذى يناسب الفرح هو الذي ينتقـــل من الثقل الى الحـــدة ، لتصعد النفس من حضيض الغم الى اوج الفرح) والعـــكس •

فأما تغير شفتيه إلى حركات الأعراب المختلفة ، فغير مكروه (مالم يفرط ، لأنه زائد في قوة الحركات ووضوحها وتمامها . والأفراط في حركات الكسر أقبح مافيها وأسمجه ، وأحسن الأشارات ما كان بالعين ، والحاجب ، والكف، والمناكب والرأس قليلا)[٢٠] .

أما عن كمالات شمائل المغنى في الغناء ، فأهمها : (حسن نصبته في الجلوس، فإنه إن لم تكن نصبته معتدلة أثر ذلك في صوته نقصاً أو فساداً . ولا يصلح أن يغني مستنداً ولا متكئا ، لأن ذلك يضعف صوته ، ومتى مال مالت الحنجرة ميلا يفسد غناءه ، لأن الحنجرة تميل وتعتدل بالحركة والسكون)[٢١] .

أما مايلشط المغنى ، فهو أن يقال له — إذا مر موضع حسن في اللحن — : (أحسنت) أو (إيه والله) أو (حسن والله) أو (ما أحسن هذا) أو (الله ذا) أو (ما أحسن هذه المدة) أو هذه الغنة [٢٢] أو (هذه الزمة) أو يلجأ إلى طريق الصيحة والنعرة (فيتنبه المغنى على هذه المواضع التي تمر في ألحانه ، فيرتد فيها ويتعمد إعادتها وإحكامها)[٢٣] وهذه الاطلاقات هي ما عرفت (بالزهزمة) (والأقتضاء) .

(٢٠ ، ٢١) ابن الطحان : سلوة المحزون ، ق ١٥٠ : ١٥١ • كذا انظر : الحسن ابن احمد : كمال ادب ، ص ١٢٢ •

(٢٢) من الحروف التى تمتد مع النغم بسهولة : اللام والميم والنون ، وهى ماتسمى « حروف الغنة » ، اما الحروف المصوتة فتنقسم الى ثلاثة : الالف والواو والياء ، وهى ما تسمى عند العرب « حروف المد واللين » وهى المصوتة الطوال التى تقع ابدا على اواخر الكلام ممتدة في اللحن • وكل واحدة من الحروف تنقسم الى ثلاثة حروف ممتزجة، فتكون ممتزجة من الالف والياء ومن الياء والواو ومن الواو والالف ، كقولك : (يا) و (وى) و (أى) وبذلك تصبح الحروف المصوتة تسعة ، ويكون مجموع الحروف التى تقترن ابدا بالنغم ويسهل استعمالها ولا تستكره خمسة عشر حرفا • الحسن بن احمد: كمال ادب ، ص ١٢٩ ـ ١٣٠ • كذا انظر : ابن الطحان : سلوة ، ق ٢٤ ب •

(٢٣) الحسن بن احمد : كمال ادب ، ص ١٢٩ : ١٣٠ •

وشرط المزهر أن يكون عارفاً بمواضع الزهزهة الصحيحة (مرتاضاً بسماع الغناء ، حاضر الذهن عند سماعه ، حسن الإقبال عليه والإنصات له ، كثير التفقد والنقد لجيده من رديئه وتامه من ناقصه ، ولا يغفل عن شيء يرفيه ولا يدعه يجوزه ، فبذلك تنمى وتظهر محاسنه)[٢٤] .

أما ما كان ضد ذلك فمفسدة ، ومضرة ، ومضلة ، ومدهشة للمغنى ، سيما إذا كان للمغنى قليل الفطنة أو قوى العجب ، (ولذلك احتاج المترفعون عن الكلام فى الغناء والزهزهة — مثل الملوك والوزراء — أن يحضروا لهم من يحضه وينبهه ويبين له ، لأن فى تكلف ذلك مشقة ومؤونة على معانيه ، وشغلا له بالفكر فيه والمراصده له)[٢٥] .

أو بمعنى آخر ، فإن المغنى إذا عرف أن فى مجلسه من يعتبر غناءه ويتفهمه ، فإنه يتصنع ويجتهد فى إظهار محاسنه وغرائبه[٢٦] .

هذا ، ويضيف « ابن الطحان » إلى أمور تنشيط المغنى أموراً أخرى ، هى : (شمول السلامة ، والعافية ، وقوة المنة ، وإنفساح الأمل والقدرة ، وميل السلطان إليه ، وتفضيل الناس له ، وطيبة العيش ، وحسن الملبوس والمركوب ، وطيب الرائحة ، والنظر إلى المياه والبساتين ، ومجالسة الملوك والرؤساء والعلماء ، وأن يكون معلق الآمال بزيادة فى حاله وجاهه ، والعشق أيضاً مما يزيد فى إحسانه وسخائه وإطرابه ، ويوافقه خلو المجالس ممن يزهى عليه) ،[٢٧] ويتباهى به على مساويه ، ويقدم على غيره[٢٨] .

أما ما يفتر المغنى ويكسر نفسه ، فإلى جانب ضد ما ذكرناه فى أمور تنشيطه :

(٢٤ : ٢٦) الحسن بن احمد : كمال ادب ، ص ١٢٩ : ١٣٠ ، كذا انظر : الاصبهانى : محاضرات ، ج ٢ ، ص ٧١٧ .

(٢٧ : ٢٨) ابن الطحان : سلوة ، ق ٤٦ ب . هذا ، ويقال ان الطحان (كان آية فى صنعة التلحين ، وان اكثر التلاحين المصرية صنعته) . المغرب فى حلى المغرب ، ص ٢١٥ .

فالعلة ، (والقلة ، وشغل القلب ، وفساد المزاج ، والخوف ، والتعب ، والاستفراغ ، والامتلاء ، والجوع ، والعطش ، والغضب ، وجفوة الملك له ، وتغير إخوانه عليه ، وإنقطاع المواد عنه ، وقصور أمله ، وضعف رجائه ، وتضاعف ديونه ، وكثرة غرمائه ، وقلة أعوانه ، وتغير عاداته ، ووسخ ثيابه ، وقبح ركوبه ، وتفضيل الناس عليه ، ولاسيما من هو دونه ، واستهجانهم لإحسانه ، وتشاغل من فى المجلس عما يقوله ، وقلة فهمهم لما يأتى منه)[٢٩] .

أما إن أراد أحد من الناس أن يمتحن مغنياً ، ليختاره ويؤثره على غيره ، فيجب عليه أن يطاوله ، ويديم الإستماع إليه فى ألحان مختلفة ، وينظر مخارج الحروف من حلقه ، لئلا تكون معيبة أو فاسدة ، وينظر سهولة إنشاد الشعر عليه ، ويستجيل صوته بجهده ، وينظر كيف يستوفى الصحيات ، ويمتحن صوته فى الألحان القوية الخاصة [٣٠])[٣١] .

أما من كان حاذقاً فى صناعة الغناء (واجتمعت فيه الخلال الجيدة ، وعرف بالأخلاق السديدة ، غير أنه لم يرزق صوتاً يستمدنه ، ويحسن ممن يغنى له موقعه فيصطفيه الملوك لتعليم الغناء ممن يؤهلونه لذلك من الوصائف والإماء)[٣٢] .

---

(٢٩) ابن الطحان : سلوة ، ق ٤٧ ب : ٤٨ أ .

(٣٠ ، ٣١) فى المطبوع من كتاب الحسن بن احمد : « كمال ادب ، ص ١٣٢ » (خاصة) والصيغة المثبتة من المخطوط ، ق ٦٦ ب : ٦٧ أ . وراجع : النويرى : نهاية الارب ، ج ٥ ، ص ١١٧ .

(٣٢) الغزولى : مطالع ، ج ١ ، ص ٢٣٢ . كذا انظر : النواجى : حلبة الكميت ، ص ١٥٥ ، ومع ما ورد فى المتن ، فان الحسن بن احمد : كمال ادب ، ص ١٢٠ ، يشترط فى المعلم ان يكون حسن الصوت (والحسن الصوت يكسب المتعلم من جنس صوته وصنعه به ، فان الحلوق ليست تبقى على حال ، وقد تتغير الى الزيادة كما تتغير الى النقصـــان) .

فالمغنى كتيلة بن قرانقان الجنكى الماردينى ، كان قد خدم منذ صغره الشاعر الموصلى النجم يحيى ، فرباه وهذبه ، ثم خدم فقادم صاحب ماردين (فسمع به الناصر بن قلاوون ، فاستدعاه فراج عليه فبلغ عنده مكانة عظيمة ، فكان يلازم تعليم الجوارى ، فتخرج به كثير مغنين ، وانتهى إليه حسن الضرب بالجنك العجمى)[٣٣].

وجمال الدين أبو سعيد الكردى ، المغنى (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٥٠ م) كان قد اشتراه ، وهو صغير ، رجل يعرف بالصاحب شرف الدين هارون الجوينى عمر ، ثم اجتهد فى تعليمه الغناء حتى فاق فيه . وبعد أن قدم الشام ، اصطنعه الأمير تنكز ، (وصار يعلم جوارى عنده ، وكان قبل ذلك اتصل بملوك ماردين ، ثم بصاحب حماة ، وبلغ خبره الناصر ، فاستدعاه وأحضاه حظ حضرته ، ثم رتب له راتباً ، ووصف : « الكنز المطلوب فى الدوائر والضروب »)[٣٤].

أما إن أراد المعلم اختيار ولائد وولدان ، ليعلمهم صناعة الغناء ، فعليه — وعلى حسب وصية ابن الطحان — أن يعرف أنه (لا يصلح لتعليم الغناء إلا من صورته مقبولة ، وأعضاؤه متناسبة ، ومحاسنه دقيقة ، والذكى يعلو من عينيه ولسانه ، والتمكن أعضاؤه لينة ، وأطرافه سبطة ، ولسانه دقيق ، وأنفه عذب ، ومنطقه حلو ، ونغمته مليحة ، وثغره كذلك منتظم ، وفمه صغير ، وعنقه بارز ، وألحاظه سريعة ، وكلامه سالم من اللثغ والتمتمة واللكنة والخنونة والشدق والتكذب والنميمة . وليحذر من يكون نظره مقصوداً وخاطره متبلداً ، وتصوره فاسداً ، وخلقه سيئاً ونشاطه قليلا ، وجوابه بطيئاً ، وعقله مجنوناً . فإذا وقع من هو بهذه الصفة فاجمع من شئت وأدخلهم الحمام ، واكسوهم ما يستملح ، وأطعمهم ما يستطاب ، وطيبهم بما يستدعى حضور نشاطهم ، واسقهم من الخمر بقدر طاقتهم ، وأحضر لهم من

(٣٣) ابن حجر : الدرر ، ج ٣ ، ص ٣٥٠ — ٣٥١ .

(٣٤) نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٤٠ . وعن الكتاب المذكور ، انظر : فارمر : مصادر الموسيقى العربية ، ص ١٠٣ .

يعمل بسائر الآلات ومرهم بالعمل والمطارحة . فمن رأيته ألف صاحب آلة من عود أو زمر أو طبل أو رقص أو معزفة أو رباب ، فالزمه تلك الآلة والعمل بها والرياضة فيها ، ونقله إلى ما سواها ، وروضه فى واحدة واحدة ، فإنه لابد وأن ينجب فى واحدة منهن أو فى الجميع ، فإن لم ينجب مع هذا التلطف ، فاعدل به إلى سواه)[٣٥].

أما إن لاحظ المعلم الماهر عرض قد طرأ على صوت المتعلم ، كضعف مثلا أو اتفق أن يكون قطيعاً ، فيجب عليه (أن يتلطف له فى ألحان تميل إلى اللين ويحيد به عن التى تميل إلى الشدة ، فإن تلك تسهل عليه ويتغطى فيها عيبه ، والأخرى تفضحه وتزيد فى عيبه وتضر بصوته ، فإن الضعيف متى غنى الألحان القوية أتعبته ولم ينتفع بها ، بل تضره وتقطع صوته)[٣٦].

أما إن أراد أحد من الناس أن يرتاض بنفسه هذه الصناعة ، فلا ينبغى أن يكون حديث السن ، فالصغير لا يثبت على حال واحدة ، ويظل يتنقل من مذهب إلى آخر ، كونه لا يدرى أين الصواب[٣٧].

كما يجب عليه أن يلتقى وحذاق هذه الصناعة ؛ ليعرف مذاهبهم ويتأمل أغاليطهم . وعليه أيضاً ، أن يقطع معهم أكثر أوقاته (حتى يعرف الألحان القوية من اللينة من المتوسطة — وهى المعتدلة — والأصناف التى تكسبه فى كل واحد منها ، والمواضع المعينة ، ويتفقد نقرات الإيقاع التى تعد فى اللحن ، وأزمنة النغم[٣٨] ، واستيفاء نغم الحلق مع نقرات الإيقاع ، حتى يكون بإزائها لا ينقص ولا يزيد عليها)[٣٩].

(٣٥) ابن الطحان : سلوة ، ق ٦٩ أ : ٦٩ ب .

(٣٦) الحسن بن أحمد : كمال أدب ، ص ١٢١ .

(٣٧ : ٣٩) نفسه ، ص ١١٨ ، ص ٤٨ ، ص ٥٥ ، ١٣٦ .

ومن ناحية أخرى ، يزودنا « ابن الحاج » - فى ندرة وطرافة — صورة طيبة عن أسلوب أداء وملابس بعض مغانى العصر المماليكى وافتتان الناس بهم ، حيث يقول : (فأعظم فتنة وبلية سيما إذا إنضاف إليه أن يكون المغنى شاباً حسن الصورة والصوت ، وبـالك مسلك المغنيات فى تكسيرهم وسوء تقلباتهم فى تلك الحركات المذمومة ، مع ماهو عليه من الزينة بلباس الحرير والرفيع من غيره [٤٠]. وبعضهم يبالغ فى أسباب الفتنة فيتقلد بالعنبر بين ثيابه ، لتشم رائحته منه ، ويجعل على رأسه فوطة من حرير لها حواشى عريضة ملونة ، يصففها على جبهته ، ولهم فى استجلاب الفتن بمثل هذا أمور يطول ذكرها)[٤١] .

وبعد ، فإذا كان بعض الرجال قد فتنوا بحسن صورة وصوت بعض المغنين ، فما بالنا بالنسوة اللاتى كن (يعاين ذلك — على ماقد علم — من نظرهن من السطوح والطاقات وغير ذلك ، فيرينه ويسمعنه ، وهن أرق قلباً وأقل عقولا ، فتقع الفتنة فى الفريقين)[٤٢] .

يضاف إلى هذا ، أن عادة المغانى بالديار المصرية جرت على أنهم إذا غنوا ، قام واحدهم يجمع من مستمعيهم النقوط .

فقد حدث — مثلا — أن حضر الأمير جمال الدين أيدغدى العزيزى (ت ٦٦٤هـ / ١٢٦٥م) سماطاً عند واحد من كبار الأمراء بالديار المصرية (فلما غنى المغانى قام أحدهم والدف بيده ليقنطوه — وهــذه كانت عادة المغانى بالديار المصرية — فلما رآه

(٤٠) يذكر ابن الطحان : « سلوة المحزون ، ق ١٥١ » ما يؤكد هذا ، بقـوله : (واحسن ما كان المغنى كانه كالصورة من تناسب زيه وحسنه وملاحة ثيابه وتلوينها واعتدال جلسته وقلة حركته) .

(٤١) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٢ ، ص ١٦٥ ، وانظره ايضا ، جـ ١ ، ص ١٥٤ ، والمقريزى : السلوك جـ٣ ، ق٢ ، ص ٥٧٥ ، سنة ٧٩٠ هـ . وللمقارنة ، انظر اللوحات المرفقـة .

(٤٢) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٢ ، ص ١٦٥ .

جمال الدين انتهره ، وقال : « ويلك أنت فى الخلق » وأشار إلى خزنداره ، فوضع فى الدف كيساً فيه ألف درهم . فلما رقص الجميع دار بينهم ورمى على المغنى بغلطاقه — وهو أبيض قطن بعلبـكى لايساوى عشرين درهما — فرمى سائر مماليـكه بغلطاقهم موافقة له[٤٣] ، وقيمتها فوق الثلاثة آلاف درهم ، ثم دار فى النوبة الثانية ورمى على المغنى منديله — وهو أبيض يساوى ثلاثة دراهم — فرمى سائر أصحابه مناديلهم ، وفيها ماهو بالذهب وغيره — ولعل قيمتها الألف درهم وخمس مائة درهم — فحسب أن المغانى حصل لهم منه ومن غلمانه نحو ستة آلاف درهم)[٤٤] .

(٤٣) الجدير بالذكر ان موافقة القوم فى افعالهم وملابسهم ، كانت فى الاصل من اداب الصوفية فى السماع ، (اذ المخالفة موحشة) . الغزالى : احياء ، جـ٦ ، ١٩٤ ، انظر : النويرى : نهاية الارب جـ٤ ، ص ١٨٧ ، السلمى : جوامع اداب الصوفية ، ١٨ .

الفصل الثالث

بعض أسماء الحلوق وصفاتها الحسنة والقبيحة والأشياء الملائمة لها[1]

الأبح : الذى فيه خشونة مستملحة مصحوبة بشجى [2] .

الأجدل : صوت الأحدب .

الأجش : الجهير الذى فيه بحة مستملحة ، ونغم مفخم . بمعنى أن الصوت فيه غلظ .

الأخن : الذى كأن له أنف مسدود (أخنف) .

الأغر : الذى فيه الفتنة والحلاوة والنغم .

الأملس : المعتدل الصافى الخالى من النغم والترجيع .

تهكت : تغنيت . وهكت غيرى : غنيته .

الجاشى والجشش والجشة : شدة الصوت ، أو الذى ينبو عن السمع لجشائه .

الجهير : القوى الغليظ البين النغم ، أو الذاهب فى الأسماع .

الخادى : ما كان غريب الموقع كحلوق الخدم !

---

(١) الملاحظ أن المؤلف قد راعى الترتيب الابجدى .

(٢) يقول كشاجم فى بحة حلق المغنى :

اشتهى فى الغناء بحة حلق　　　ناعم الصوت متعب مكدود

المخرق : الذى اتسع وأفرط حتى خرجت النغمة منه مبددة زائدة القدر أو الذى يتبدد ويذهب كل مذهب .

الزاجى : الدقيق الناعم المتوسط الندى .

رجل لماعة : يتكلف الألحان من غير أصوات .

الرخو : الذى يعجن النغم ويعصفه مضغاً .

الرطب : الندى الحلو، أو ما كان كالماء الجارى بلا كلفة .

الزوائدى : الذى فيه نغم زائد عن مقادير الغناء .

الشجى : الطيب ، وهو أحسن وأحلى وأصفى الحلوق وأكثرها نفعا .

الشمث : المخرق الضيق أو الذى يصفو مرة ويشمث أخرى ولاتخلص نغمه .

الصدىء : الذى فيه ماينطى نغمه ويكدر .

صرار : فيه مايشبه الصرير .

الصرصورى : الدقيق الحاد .

الصياحى : الذى ينفر عن الوتر إلى زيادة أو نقصان .

صوت مجسد : مرقوم على محنة ونغمات .

طرب : تغنى .

الطل : الدقيق الذى يضعف ويكاد يخفى ، وهو قريب من الرطب .

العابى : القبيح المولع .

القطيم : الذى يشبه صوت المغنى المحصور ، وصاحبه لايستوفى النغم ، أو الذى لايكاد يسمع بالجملة .

الكروانى : الذى يشبه صوت الكروانات فى دقته وصفائه وتسلسله .

اللقمى : الذى كأن فى فم صاحبه لقمة من الطعام .

المبلبل : الذى تضطرب فيه الأنغام وتزول عن أماكنها .

المتعوب : مثل الأبح .

المجلجل : العالى الحاد النغم بحلاوة وجهارة ، أو الذى تسمع له جلبة .

المختنق : الذى كأن صاحبه يختنق ويكثر تنحنحه ، أو المخرق الضيق .

المدور : المتوسط المائل إلى الجهارة .

المرتعد : الذى كأن صاحبه مقرور بالحمى .

المصرج : الصيت الصقيل بلا ترجيع ولانغمة .

الصاصل : الحتد ، أو الدقيق اليابس الذى لانداوة فيه أو شجى .

المظلم : الذى تقع نغمته خافتة مصمتة ، أو الذى ليس فيه نغمة ولايكاد يسمع .

المنعص : الذى يتلمع بابتلاع ريقه ويتغير فيه الغناء .

المكدود : مثل الأبح .

المرق من الغناء : الذى تغنيه السفلة والإماء(٣) .

المنتشر : الذى يبتدىء مقروراً ثم ينتشر النغم فيه .

المنطفى : دون المظلم ، أو الذى ليس له صوت لتضائله وانقطاعه .

المهصر : الذى يشبه حلوق الحدب .

الملغم : مثل الزوائدى .

---

(٣) من ذلك ما كانت تغنى به احدى الجوارى فى منظرة :

قم امسك اللوز الاخضر وعانق الرمان

استنبهت وانبهتنى قالت : حبيبى كم تنام ؟

المغرب فى حلى المغرب ، ص ٣٧٢ ، وعن الادب العامى وأمثلة منه ، انظر — مثلا — المقريزى : السلوك ، جـ٢ ، ق١ ، ص ٥٥ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ٨ ، ص ٢٤٤ ، سنة ٧٠٩ هـ ، ابن اياس : بدائع ، جـ١ ، ق١ ، ص ٤٢٥ ، جـ٢ ، ص ٢١ ، سنة ٨١٨ هـ ، جـ٤ ، ص ٥٩ : ٦١ ، سنة ٩٠٩ هـ ، ص ٩٢ ، سنة ٩١١ هـ ...

النابى : الذى ينبو عن الحلوق فى المراسلات .

الندى : الرطب .

نشج المطرب نشيجاً : إذا فصل بين الصوتين ومد .

الداثق : الذى يقوى تارة ويضعف أخرى[٤] .

أما الأشياء الموافقة للحلوق من الأشربة ، فمنها : شرب الماء الحار على الريق — فى اعتدال — وشرب دهن اللوز على الريق والجوع ، وشرب البنفسج بالماء الحار ، وشرب السويق ، ومياه العناب ، والحلتيت ، والسكر ، والباقلى المنبوت المسلوق ، والشعير ، والسلق ، والأمراق الطيبة الدسمة ، وعصير التوت ، ومص نبات الجلاب أو شرابه ، وتجرع الخمر العتيق ، والغرغرة بالعقيد ، والسكنجبين الساذج .

ومن الأطعمة والملوكات : الفريك المدقوق بالسكر ، والقصب الحلو المشوى ، والبيض النيمرشت ، وأكل الميبستان ، ورب السوس وعوده ، ولعوق الكرنب بنوعيه (الموصلى والنبطى) ، والليمون المملح والحلو ، والإحساءات المتخذة من النشاء ، والجواذيب — خبز محلى — والرمان الحلو ، والأرزيات باللبن ، واللفتيات ، والمدقوقات الرطبة ، والفالوذجات ، وجميع الأطعمة الحلوة .

أما الحلوق البلغمية ، فلها : السكنجبين الساذج ، والملوحات ، واللحوم المشوية بالخردل والعسل والجيد ، وجميع الأطعمة المزودة بالخردل ، والأسفيذاجات ، والأرزيات واللبنيات . ومن الفواكه اليابسة : الجوز والتين وما إلى ذلك .

يضاف إلى كل ماسبق ، دخول الحمام ، واستعمال السواك بالغداة .

(٤) عن كل ذلك راجع : ابن الطحان : سلوة ، ق ٢٩ — ٣٠ ، ق ١٦٧ : ٦٧ ب ، الحسن بن أحمد : كمال أدب ، ص ١٢٤ : ١٢٥ ، ابن سيده : المخصص ، ج ٤ ، ص

أما مايضر بالحلوق ، فالتعب المفرط ، والترك ، والتهاون ، والسهر ، والمداومة ، وإدمان الرقص ، وطلوع الدرج ، والجماع المفرط ، والخللات والحموضات — خاصة لأصحاب الحلوق اليابسة والخشنة — وأكل البلح ، والطعام الفض ، والعفص ، وقشور الرمان ، والأهليلجات ، وحب الآس ، والسفرجل ، ومراسلة القطيع من الرجال والنساء والأخذ عنهم ، والغناء دون الطبقة ، وتكلفة الصوت مالا يطيق ، وتعدى الطبقة .

يضاف إلى ذلك — فيما يختص بالمغنيات — : الحمل والولادة ، والسمن المفرط وأدويته ، وأدوية المسهلات ، والأكل فى الحمامات ، والتكشف للهواء ، وحمل مايثقل عليهن .

أما مايقطع الحلق ، فالزمر والرباب والجنك — إذ أن رقة حس هذه الآلات تضطر المغنى لأن يدخل فيها لتدقق وصوته ، فيعتاد ذلك — والرقص ، والأحصار الشديد — لأنه يفسد الرئة — وطلوع الدرج .

أما الأماكن الملائمة للحلوق والتى تزيدها حسناً وصفاء وحدة ، فالمواضع الواسعة الخالية والجصصة الصلبة والجديدة ، كالأزاج وماشاكلها ، والحمامات — لأجل رطوبة المياه — .

هذا مع ملاحظة أن الصوت يكتسب التلذذ والجود والشحث بضدما سبق من أماكن ، وأنه كلما لاقى المواضع الصلبة الملس كان أصفى وأحد[٥] .

(٥) راجع : عبد المؤمن : الرسالة الشرفية ، ق ١ ، ابن منظار : الوصلة الى الحبيب ، ق ١٢١ ، ١٢٣ : ٢٣ ب ، ١٢٨ : ٢٨ ب ، ١٣٠ ، ١٣٤ : ٣٤ ب ، ٣٨ ب ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٩١ : ٩١ ب ، ١١٠٠ : ١٠٠ ب ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٤٢ : ١٤٤ ب ، ابن الطحان : سلوة ، ق ١٣٤ : ٣٧ ب ، الحسن بن احمد : كمال أدب ، ص ١٦ ، ١٧ ، ١٣٣ .



الفصل الرابع

حزب الطرب وترتيب الغناء

تصح الإشارة أولا إلى أن الغناء على ثلاثة ضروب : (فضرب منه مطرب يحرك ويستخف ،وضرب ثان له شجي ورقة ، وضرب ثالث حكمة واتقان صنعة)[1] . وأن أقل الناس معرفة بالغناء هم (أسرعهم طرباً على كل مسموع . وأ كثر الناس علماً به وأشدهم تقدماً فى معرفته ، أبعدهم طرباً عليه وأقلهم رضى بما يسمع منه)[2] ؛ وذلك لقلة (ما يعجبه ، وإطلاعه على الخلل ، والزلل ، والنقص ، والتبديل ، ولأن العالم بالغناء لا يعجبه إلا حسن التأليف ، وجودة النظام ،وفصاحة الـكلام ، وحلاوة موقع الحلق ، ووثاقة الصوت ، وإحـكام الفواصل ، وحدة المقاطع ، والتوفية لما يقال[3] ، والسلامة من الخروج والنفار)[4] .

---

(١) النويرى : نهاية الارب ، ج ٥ ، ص ١١٧ .

(٢) الحسن بن احمد : كمال أدب ، ص ٢٠ .

(٣) من الاشياء التى يستحب اظهارها فى الالحان : الحروف عامة وحـــروف الصفير خاصة ، وهى : السين والزاى والصاد . فان ظهرت وخرجت تلك الحـروف صالحة زادت من بهاء اللحن وحسنه ووقعت مستحلاة مستلذة ، وكذلك يستحب اظهار حروف الغنة : اللام والميم والنون . أما ما يستحب ادغامه ـ اى تغطيته بالنغم أو يتجاوز ـ فكل ما يستبشع مسموعه ، مثل قولهم : فوق ، واستراحتى ، واستيحاشى ، لان الكسرات اذا اشبعت فيها جاءت قبيحة ، وكذلك يجب ادغام أو تجاوز الحروف المستقلة ، مثل : حى ، وكى ، ويو وما الى ذلك ، علما بان الطرب يموت اذا خرج المغنى عن المطلوب أو قل النغم عن الحروف بحيث يصير القول مسرودا . والأحرى بالمغنى أن يتوسط فى ذلك . راجع : الحسن بن احمد : كمال أدب ، ص ٨٨ : ٩٠ .

(٤) ابن الطحان : سلوة ، ق ٢٠ ـ كذا انظر : الحسن بن احمد : كمـــال أدب ، ص ٢٠ ـ ٢١ .





وهذه القوة — بالقطع — (قوة شريفة ، وأخلق بها أن تكون معدومة فى كثير من الناس ، وإنما تخص الإنسان التام التمييز) [٥] .

هذا ، مع ملاحظة أن لكل قوم مسمع ومشرب (ولقد قالوا على المغنى مايغنى وعلى المستمع مايستمع ، وكل أحد من الناس يستمع على قدر مشروبه) [٦]

فالسماع إذن يتوقف على أمزجة الناس ، ويتغير بتغير أمزجتهم ، وماهم عليه من صحة أو اعتلال أو ضعف أو تعب أو كسل أو سكر أو هجر أو حب أو اشتياق أو وصال أو تقدم فى السن أو فرح أو غم أو حزن .. ، ولما يعرض أيضاً للحواس ، وقبل وبعد الأمتلاء ، والأستفراغ ، ورداءة مافى المعدة من طعام [٧] ، وباختلاف الأمكنة (فإن بعض الأماكن تكون الأصوات فيها خرساً [أو] تكون على خلاف ذلك ، وبعضها يرد الصوت ويديره ويحدث دوياً وبعض ليس كذلك) [٨] .

أولا ـ حزب الطرب [٩]

قسمة الحزب :

يذكر « المشهدى » أن حزب الطرب يقوم على سبعة ضروب :

- القسم الأول ، الضرب المفرد :

سمى بذلك لأنه يقع من شخص واحد . فإن كان المغنى يغنى بلسانه بغير آلة

---

(٥) الحسن بن أحمد : كمال أدب ، ص ٢٠ .

(٦) المشهدى : كشف الهموم ، ق ١٣٥ أ : ١٣٥ ب .

(٧) ابن الطحان : سلوة ، ق ٢٢ أ . كذا انظر : المشهدى : كشف الهموم ، ق ١٣٥ ب . الحسن بن أحمد : كمال أدب ، ص ١٦ ، وعن الكيموسات المختلفة ، انظر ابن عبد ربه : العقد ، جـ ٨ ، ٣٢ : ٣٥ .

(٨) الحسن بن أحمد : كمال أدب ، ص ١٦ ـ ١٧ . كذا انظر : عبد المؤمن : الرسالة الشرفية ، ق ١ .

(٩) عن هيئة جلوس أفراد الحزب ، انظر الشكل رقم (٢١) .

أو ضرب بآلة بدون غناء ، فالضرب مفرد (وهو أول الضروب ، وبدء العمل فى الآلة ، ومنه يبدأ الطرب ، وعليه الجميع يبنوا) [١٠] .

— القسم الثانى ، الضرب المقسوم :

وهو ضرب مؤلف ، يقع من شخص واحد . سمى بذلك لأن صاحبه يضرب على الآلة بيديه كما يغنى بلسانه ، فصار الضرب بذلك مقسوماً بين اليدين واللسان .

وكذلك هو مقسوم إن وقع من اثنين : أحدهما يضرب على الآلة بيديه ، والآخر يغنى . ووجه القسمة فى ذلك ، أن أحدهما يؤدى بيديه والآخر بلسانه [١١] .

— القسم الثالث ، الضرب المشترك :

وهو ضرب يقع من إثنين : أحدهما يغنى بالصوت والآلة ، والآخر إما على شاكلته أو بآلة وحدها أو بصوت بغير آلة . وعلى ذلك ، فلا ينبغى أن يتعدى واحد صاحبه .

— القسم الرابع ، الضرب المجموع :

سمى بذلك لأنه قد (تكاثرت فيه الجمع وقويت فيه الضروب) [١٢] ، ففيه : من يضرب بالآلة ، ومن يغنى باللسان ، (وضربه مقسوم على العناصر الأربعة التى فى بنى آدم : الدم والصفراء والسوداء والبلغم [١٣] . فإذا إجتمعت هذه

(١٠ ، ١١) المشهدى : كشف الهموم ، ق ١٦٩ ب ، ١٧٠ أ .

(١٢) المشهدى : كشف الهموم ، ق ١٧١ ب .

(١٣) يقال أن القاعدة التى بنى عليها الوجود كله أربعة : النار والتراب والهواء والماء ، وأن العناصر المركبة فى جسد ابن آدم أربعة : الدم والصفراء والسوداء والبلغم . والزمان بأسره مركب على أربعة فصول : الربيع والصيف والخريف والشتاء أو الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة . ومنازل الخلق فى بنى آدم أربعة : طفل وشاب وكهل وشيخ . وعلم الموسيقا مبنى على هذه الرباعيات ، وعلى الفلك والزمان والحركة والانسان . وعلى ذلك (كانت جميع السلف يستخرجوا علم الطرب من علم الطبيعة ومن هذه القاعدة استخرج الفارابى الموسيقا) المشهدى : كشف الهموم ، ق ١٦ : ٦ ب ، ق ٥١ أ . كذا انظر : حسن بن أحمد : روضة المستهام ، ق ٤٨ .

العناصر الأربعة إجلاب الطرب . فأى ضرب وقع من إحدى الجماعة الذين يغنون بالآلة والصوت فوافق عرق من عروق أحد مستمعيهم فيدخل فى جميع أعضائه وعروقه كلها ، ويملك قلبه وتحرك روحانيته ، فترتاح نفسه للطرب ؛ فيطيب ويطيش ، فلا يرجع يملك عقله ، فلذلك أكثر الناس يرقص ويستمع)[١٤]

— القسم الخامس ، ضرب الجم (وهو الحزب كله) :

وهو ضرب يقع فى العدد من سبعة أشخاص — بما فيهم رئيس القوم — (ولكن فى الحقيقة ثمانية ، لأن الرئيس ينوب عن اثنين : جعل مقام نفسه ، ومقام غيره ، فصار محسوباً بربع الحزب ، وفى حقيقة المعنى إنه الحزب كله ؛ لأنه رئيس القوم والكل تابعين له ، فمتى خرج أحد منهم عن الضرب رشده ، أو يتعدى أحد صاحبه بقدر ذرة فسدت الصنعة وتلفت منهم ، وإنما هم الجميع ماسكين الضرب بعضهم لبعض)[١٥] .

وصاحب هذا الضرب إذا كان معه آلة حركت له الطرب ، لأنها تقويه على الغناء ، ومتى لم يكن معه آلة يبس الطرب ، إلا إذا استعان بحركات الطرب الأخرى مثل : الدق بالكعب ، والتصفيق باليدين .[١٦] ثم يتبع ذلك باللسان (فعند ذلك تحن اليه الجوارح ويتحرك الطرب ، وتميل

---

(١٤) المشهدى : كشف الهموم ، ق ١٧١ ب : ١٧٢ أ · كذا أنظره ، ق ١٦٢ : ٦٢ ب ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ ·

(١٥) المشهدى : كشف الهموم ، ق ١٧٢ أ ·

(١٦) يعرف هذا التصفيق بالمرجل (وهو أن يضرب باحدى كفيه على الأخرى على ترتيب خاص يختلف باختلاف الضروب ، فبين كل ضربة وضربة زمن يبعد تارة ويقرب أخرى باعتبار الضرب) الأدفوى : الامتاع : ق ١٢٩ · وانظر : ابن الجوزى : تلبيس

تلك الأعضاء الطالبة للطرب لتلك الأعضاء المتحركة)[١٧] .

— القسم الرابع ، الضرب المحرك (وهو السامى) :

سمى بذلك ، لأن جميع أعضاء الإنسان الأربعة — والتى تحرك الطرب وتجلب اللذة ، وهى : العين واللسان واليدين والقدمين — تتحرك فيه[١٨] .

هذا ، ويقال إن الضرب على أربعة أنواع :

النوع الأول ، شبه صوت الأطفال ويوافقهم :

وصوته رقيق ضعيف ويوافق الربع الأول من عمر الإنسان . ومن الزمان الربع الأول منه — أى الربيع — حيث يتساوى فيه الليل والنهار . ويوافقه من البروج : الحمل والثور والجوزاء . ومن الأنغام : رست وعراق وزروكند . (زيرافكند)

ومن الآلة : السنطير ، لأنه أرق حاسة من جميع الآلات وأحلاها طرباً (وإذا كان حسه وطىء خفى ، فقد يحصل للأطفال الصغار لذة عظيمة وطرب بسماعه . يسمعه الطفل الصغير ينام فى مهده من وقته لا يختلج ولا يتحرك)[١٩] .

أما إن استخدم المغنى بوقاً أو آلة وترية ، فليكن نفخه فى البوق خفيفاً والضرب على الآلة فى أوطىء طبقة .

النوع الثانى ، شبه صوت الشباب ويوافقهم :

وصوته قوى الحس سيت . ويوافق الرابع الثانى من العمر . وهو لنصف الزمان — أى لفصل الصيف — حيث يكون النهار فيه أطول مايكون والليل قصر مايكون .

ويوافقه من البروج : السرطان والأسد والسنبلة . ومن الأنغام :

(١٧ ، ١٨) المشهدى: كشف الهموم ، ق ١٦:١٨ أ، هذا ويذكر نفس المؤلف «فى نفس مؤلفه ، ق ١٨٢ أ : ١٨٣ ب » أن الانغام على اربعة مراتب وهى : ابتداء ، وتزايد ، وانتهاء ، وانحطاط ، وانها تدور على شبه تسيير الكواكب ، فانظره ان اردت تفصيل ذلك ·

(١٩) نفسه ، ق ٢١ ب ·

أسفهان وزنكلا وبزرك ، (ولا يوافقه من الآلة كلها غير الدف ؛ لأنه أصبر على جميع العمل وأقوى . إذا كان حسه قوياً وضربه ضرباً شافياً أعطى حساً طيباً وطربا عظيما ، حتى إن الشاب القوى الشديد الحيل إذا سمعه لا يكاد يملك نفسه من قوة الطرب وطيبه)[٢٠].

أما إن إستخدم المغنى البوق ، فليكن بوقه متسعاً وطويلا ، وتنفخه فيه نفخاً قويا على قدر سعته وطوله[٢١]

النوع الثالث ، شبه صوت الكهول ويوافقهم :

وجرسه غليظ ، وهو للربع الثالث من العمر ، وله النصف والربع من الزمان — أى فصل الخريف حيث يستوى فى القسمة الليل والنهار — ويوافقه من البروج : الميزان والعقرب والقوس . ومن الأنغام : رهاوى وحسينى وماى . (والذى يوافقه من جميع الآلة كلها الشبابة ، فإن لها صوتاً حنوناً فى النغمة ، بخلاف غيرها من سائر آلات الطرب . فإذا نفخ فيها فى طبقة وطيئة لم يتعداها فقد أدرك المقصود . وهذا الحس إذا سمعه الكهال من الرجال طاشت عقولهم وحنت جوارحهم للطرب من غير تكلف)[٢٢] .

أما إن إستخدم المغنى البوق ، فليكن نفخه فيه نفخاً متتابعا ، وعلى قدر سعته وصعود الريح فيه[٢٣] .

النوع الرابع ، شبه صوت المشايخ الكبار ويوافقهم :

وجرسه ضعيف خفى . وهو للربع الأخير ، وفيه تمام العمر . ويوافقه من الزمان فصل الشتاء ، حيث يقصر فيه النهار ويبلغ الليل زيادته ، وفيه ينتهى الطرب . وله من البروج : الجدى والدلو والحوت . ومن الأنغام : أبوسليك ونوى وعشاق .

---

(٢٠) المشهدى : كشف الهموم ، ق ٢٢ أ .

(٢١ : ٢٣) نفسه ، ق ١٨ ب ، ٢٢ ب : ٢٣ أ ، ق ١٩ ب .

هذا ، ولا يوافق أصحاب هذا الضرب سوى (سلطان الطرب كله وهو العود . فإذا كان ضربه بالمعرفة لا بالرهج ، فقد يحصل للمشايخ منه ما يحير عقولهم ويسلب قلوبهم)[٢٤] .

أما إن إستخدم المغنى البوق ، فليكن نفخه فيه على قدر مجازه فى العمل وعلى قدر سعة البوق وقصره ومسير الريح فيه[٢٥] .

ثانيا — ترتيب الغناء :

إن من أولى واجبات المغنى قبل شروعه فى الغناء ، أن يتفقد الزمر والأعواد المصاحبة له . فيختار للحلوق الليفة الغلاظ النايات الواسعة ، وللحلوق الحادة النايات الضيقة ، ويجعل مع النايات الواسعة الأعواد ، حتى لا تكون مستعلية عليها ،[٢٦] ويختار للحلق الجهورى العود الجهر ، وللحلق الضعيف الوطئ من الأعواد ، وللحلق الصياح الحتبار[٢٧] .

وليعرف أن الأمثل فى الاستفتاحات بحضرة الرؤساء أن يبتدىء بالدعاء والثناء ، إذ أن الملوك تأنف — غالباً — من جميع الملاذ (إلا إثنتين : السماع لكونه لذة روحانية ، والثناء لكونه دالا على الهمة الرفيعة)[٢٨] .

وعليه أن يتعمد ما يتطير منه السامع (مثل الغناء الذى فيه فزع ، والهجو المصرح به ، فإن ذلك لا يجب أن يغنى به إلا للملوك ؛ إذا كان فى أعدائهم

(٢٤ ، ٢٥) المشهدى : كشف الهموم ، ق ٢٠ ب

(٢٦) الحسن بن احمد : كمال ادب ، ص ١٢٧ .

(٢٧) ابن الطحان : سلوة ، ق ١٠٥ .

(٢٨) الراغب الاصبهانى : الذريعة ، ص ١١٦ .

وغالقيهم ؛ ليشفى به غيظهم) (٢٩) .

من ذلك هذا الصوت الذى غنت به كل من : ست الفخر بنت التاجر ، جارية الملك الأشرف موسى :

ولما طغى فرعون عكا ببغيه   وجاء إلى مصر ليفسد فى الأرض
أتى نحوهم موسى وفى يده العصا   فأغرقهم فى اليم بعضاً على بعض (٣٠)

وجارية الملك الكامل :

أيا أهل دين الكفر قوموا وأنظروا   لما قد جرى فى عصرنا وتجددا
أعباد عيسى إن عيسى أتاكم   وموسى جميعاً ينصران محمدا (٣١) .

وعليه أيضاً ، أن يبتعد كلية عن الألحان اللينة ؛ فإنها مضرة بالمستمع ومغيرة له فى أول المجلس (٣٢) .

فإن كان فى المجلس غرباء ، فينبغى أن يكون التلاحين برهاوى وزرو كند وبزرك أكثر من غيرهم ؛ (ليقتضى تذكر أحبابهم وبلادهم) (٣٣) .

هذا ، مع ملاحظة أن (الألحان القوية إذا ترددت تعبت النفس بتأملها والحواس بتحصيلها وتأديتها ؛ فهى محتاجة إلى الراحة منها) (٣٤) ؛ وذلك

---

(٢٩) الحسن بن أحمد : كمال ادب ، ص ٩١ .

(٣٠ ، ٣١) انظر ما سبق ، ص ٢٠ ، ٢١ .

(٣٢) يقـول الشاعر :

ومغن بارد النغمة   مختل اليدين
ما رآه أحد فى   دار مرتين

النويرى : نهاية الارب ، جـ٥ ، ص ١٢٢ .

(٣٢) مخطوطة : زين الالحان ، ق ٥٤ .

(٣٤) الحسن بن أحمد : كمال ادب ، ص ١٢٦ . كذا انظر : ابن الطحان : سلوة

بأنى (تتصل بالليفة الرخوة المؤنثة (٣٥) ؛ ليستراح عندها فى الوقت بعد الوقت ؛ فإن النفس تكل وتتعب كما تنبعث وتنشط ؛ وهى إلى الراحة فى آخر الأمر أحوج ، ولذلك تستلذ الألحان المحركة والإيقاعات الخفيفة آخر الوقت ، وبعد تلك الثقيلة) (٣٦) ؛ كما تستلذ أيضاً الاستهلالات والنشائد (٣٧) .

هذا ، ولا يجب للمغنى أن ينتقل من نوع إلى نوع فى المجموعة الواحدة المتجانسة والمتكاملة فى النغم والإيقاع ، أو فى أجناس يكمل بعضها البعض ، إلا إذا أقترح مقترح الانتقال ، فإن (أمكن أن يضاف إلى الصوت صوت آخر أو اثنان كان أحسن ، فإن أحب أن ينتقل من نوع إلى نوع ، فليجعل بين ذلك فترة ويتشاغل بشىء يفصل به بين الزمانين ، من جس أو فتل ملوى) (٣٨) .

كما لا يجب أن تعاد الأبيات المفردات ، (فإن أعيدت فمرتين ، ويجب أن تقدم فى أوائل الغناء ، وإن كان المغنون جماعة ساروا بسيرة أولهم وسلكوا طريقه ماداموا) (٣٩) .

هذا ، وإن أحب المغنى أن لا يغيب عنه الطرب ولو لطرفة عين ، فيجب أن يكون (ذهنه وعقله عند الطرب ... فإن لم يطارب المغنى ويطايب لم يطارب المستمع ولا يطايب ، كالواعظ إذا لم يخشع قلب مستمعه ، فمن الناس من يستمع

---

(٣٥) أى الصادرة عن النساء

(٣٦) الحسن بن أحمد : كمال أدب ، ص ١٢٧ . كذا انظر : عبد المؤمن : الادوار ، ق ٦٠ ، ابن الطحان : سلوة ، ق ٤٩ ب .

(٣٧) الاستهلال : اما أن يكون فى جزء من البيت ـ وهو أن يؤتى به غير منقسم (مرسل) أو يبتدأ به بدون تنغيم . أما النشيد ، فيكون من البيتين فى واحد ، ومن الأربعة فى اثنين ـ اما متواليين أو غير متواليين ـ فاما ما زاد على ذلك فلا يستعمله غير أصحاب القصائد . وأما النشيد فى خمسة أبيات فاكثر ، فانه يسمى عند الطنبوريين « النصب » . الحسن بن أحمد : كمال أدب ، ص ٨٢ : ٨٣ .

ويطرب ، ومن الناس من لا يستمع ولا يطرب)[٤٠]؛وذلك (على قدر طبقاتهم وعلى قدر الطرب الذى يسمعوه ، وعلى قدر وجدهم، وعلى قدر الأنغام الذى يظهر منها ذلك الطرب)[٤١] .

وان يكون كذلك عالماً بالشعر ، حاضر الذهن ، فإن فتر المستمع عن المغنى أو المغنى عن المستمع شرد عنهما الطرب ، (فمن الناس من يسمع بأذنيه وقلبه فى موضع آخر ، وعينيه ناظرة إلى جهة أخرى ، فلا يستمع ولا يطرب ، لأن الجميع يقولوا : « لا سماع إلا بمشاهدة ، مثل من يسمع الطرب من خلف حجاب ، فيحصل له بعض الطرب ولا يحظى بالبعض ، فيبقى سماعه فيه نقص بغير لذة . فالسماع للعين والإصغاء للأذن، فإن غاب ذهن المستمع أو إفتر عن المغنى طرفة عين ، فقد بعد عنه الطرب وتعسرت اللذة عليه ، وبقى متحيراً بغير طيبة)[٤٢] .

فالأصوب إذن ، أن لايفارق ذهن المستمع المغنى طرفة عين (فإن المغنى يبقى فى أمره ، ويقدح فى نفسه من أجله)[٤٣] .

كذلك يجب على المغنى أن يجعل صوته مع الأوتار فى طبقة متوسطة ، ليتمكن من بلوغ غاية الصياح[٤٤] بغير تكلفة أومشقة .

أما إن تعثر المغنى أو أخطأ فى غنائه ، فليسارع إلى الصواب بغير تغير ولا إضطراب[٤٥] .

---

(٤٠) المشهدى : كشف الهموم ، ق ١٠٧ أ : ١٠٧ ب ،ولهذا قال بعض الناس : (اذا حضر الغناء فليس الا سكوت واستماع للمغنى) الاصفهانى : محاضرات ، جـ٢ ، ص ٧٢٢ .

(٤١) المشهدى : كشف الهموم ، ق ١٥٢ أ .

(٤٢ ، ٤٣) نفسه ، ق ١٠٦ ب : ١٠٧ أ .

(٤٤) الصيحة : اشد موضع يقع فى اللحن — وهى من بين المواضع المقوية للطرب — الحسن بن أحمد : كمال ادب ، ص ٧٨ . كذا انظر : ابن الطحان : سلوة ، ق ١٢٦ أ ؛ ٢٦ ب .

علماً بأن المجة تحس هذه الصناعة (لأنهم يقولوا : « من استعجل فا أدرك الضرب ، ومن تأنى غنى ، ومن عرف طبقته استراح ، وفى الناس من لا يدرى طبقته وهو يصرخ بغير ضرب ... فقد يمكن أن يكون إنساناً طبقته وطيئة وهو فى الضرب ، وآخر طبقته عالية وهو فى غير الضرب بغير صنعة ، كما قالوا أهل الصنعة فى الأصل : « القطيع الداخل منا ، والصيط الخارج ليس منا »)[٤٦] .

---

(٤٦) الشهدى : كشف الهموم ، ق ١٠٣ ب : ١٠٤ أ . كذا انظر : الكلبى : بلوغ الأوطار ، ق ٩ .

الفصل الخامس

آلات الطرب

المعروف أن هيئة أداء الألحان المسموعة صنفان : الأولى ، المؤداة بالتصويت الإنسانى . والثانية ، الصادرة عن الآلات الصناعية[1] . وأن الألحان (المسموعة فى الآلات منها ما صيغت ليحاكى بها ما يمكن محاكاته من الألحان الكاملة ، أو لتجمل تكثيرات لها وترتيبات وافتتاحات ومقاطع واستراحات فى خلال المحاكاة ، أو تكميلات لما قد يمكن أن تعجز عنه الحلوق وعن استقصائه . ومنها ما صيغت صياغة تقصر بها محاكاة الألحان الكاملة ... بل صيغت صياغة لها منظر لذيذ فقط . . . وهذه لما كانت ناقصة ، وكان الذى لها من الإستكمال جزء من الكمال التام ، صارت النفس إذا سمعت هذا الصنف وحده تشوقت إلى ورود سائر أجزاء الكمال وحده ... فلذلك يجب أن تستعمل هذه الأصناف ارتياضات للسمع واليد ، أو تقدمات لأداء اللحن الكامل واستراحات عنه ، وتلك هى التى نسميها نحن المبادىء ، وتستعمل فى النشائد)[2] .

يقول بطليموس : (الألحان أشرف النطق ، ولذلك ترتاح إليها النفوس أكثر من كل نطق . وأشرف النفوس ما كان إليها أكثر ارتياحاً . وقال غيره : النغم فضل بقى من النطق ، لم يقدر اللسان على استخراجه فاستخرجته

(١ ، ٢) الحسن بن أحمد : كمال أدب ، ص ١٣٩ ـ ١٤٠ • كذا أنظر : المقدسى :

الطبيعة بالألحان على الترجيم لا على التقطيع[٣] ، فلما ظهر عشقته النفس وحن إليه القلب)[٤] .

هذا ، ويذكر « المشهدى » أن آلات الطرب الأصلية سبعة ، وأن ما عداها ـ وهى سبعة أخر ـ مستخرجة منها .

فالعود استخرج منه القبز التركى ، وهو شبهه .

والقانون استخرج منه السنطير ، إن لم يكن إياه .

والجنك ـ وهو أعجمى ـ استخرج منه المصرى ، وهو على نوعه .

والشبابة استخرج منها الموصول ، وهو على جنسها .

والرباب استخرجت منها الكمنجة .

والشعيبية لم يخرج منها شيء ؛ لأنها مشتقة من القصب[٥] .

---

(٣) يذكر ابن رشيق : « العمدة ، ج٢ ، ص ٢١٣ ـ ٢١٤ » أن غناء العرب كان قديما على ثلاثة أوجه : النصب والهزج والسناد . والاخير هو الثقيل ذو الترجيع الكثير النغمات والنبرات ، وأن العرب كانت (تقطع الألحان الموزونة على الاشعار الموزونة ، والعجم تمطط الألفاظ ، فتقبض وتبسط حتى تدخل فى وزن اللحن . فتضع موزونا على غير موزون) .

(٤) ابن نباتة : سرح العيون ، ص ٢٢٥ . كذا أنظر : الغزالى : احياء ، ج ٦ ، ص ١٧٧ ، النويرى : نهاية الارب ، ج ٤ ، ص ١٧٨ ، الابشيهى : المستطرف ، ص ١٨٣ .

(٥) كذا عند المشهدى : « كشف الهموم ، ق ١٥٣ : ١٥٤ . أما عند ناصر الكلبى : « بلوغ الأوطار ، ق ١٢ : ١٤ » أن السبعة هى : « العود ، والناى ، والقانون ، والكمنجة ، والجنك ، والموصول ، وطبقات الزمر » . وهى رواية لا يجانبها الصواب ، هذا ، ويذكر صاحب مخطوطة : « كتاب فى معرفة الغناء والهنوك ، ق ٦ » أن جميع ما يحتاج اليه من آلات الطرب ـ بالاضافة الى ما ذكر بالمتن ـ « الجغانات والقياتر والطربريات .. والصراتى .. والدربكات والتواقيس .. والتختات والطقاطق .. والنقارات والزخمات) . هذا ، وسيضيف المؤلف الى الآلات السبعة آلة زوت فى عصر سلاطين المماليك ، وهى

هذا ، والمختار من كل هذه الآلات وأطيبها نغمة أربعة : العود ، والقانون ، والجنك ، والدف .

أما ما صنعت منه تلك الآلات ، فلا يخرج عن : النحاس ، والخشب ، والجلد ، والقصب ، والخيط ، والحرير ، والعصب[٦] .

أولا — العود[٧] :

يجمع جمهور العلماء والحكماء على أن العود آلة قديمة العهد ، وأنه من أفخر آلات الطرب وأرفعها قدراً وأطيبها سماعاً ، حتى يقال إنه قيل له : « هل تسمع

---

(٦) المشهدى : كشف الهموم ، ق ١٥٥ أ : ١٥٥ ب .

(٧) اختلفت الروايات حول أول من عمل العود وضرب به . ففى رواية أنه رجل من بنى قابيل ، يقال له لك بن متوشلخ . وأن سبب صنعه له ، أنه كان قد تزوج وتسرى فأنجب جاريتين ، فغلام ، فاشتدت به فرحته . غير أن هذا الغلام ما لبث أن توفى بعد خمس سنوات ، فوجد عليه أبوه ، وحتى لا يبعد عن ناظريه ، أخذه وعلقه على شجرة فظل لحمه يتساقط عن عظامه حتى بقى الفخذ بالساق والقدم بالأصابع ، فاخذ أبوه عودا وشققه ورققه والف بعضه على بعض ، فجعل صدره على صورة الفخذ ، والعنق (ساعد العود) على صورة الساق ، والابزيم على قدر القدم ، والملاوى كالاصابع . ثم علق عليها أوتارا كالعروق ، وجعل فى وسطه ثقبين ، ليدور الصوت اذا دخل فى عمق العود ، ثم يخرج من حيث دخل ، ثم أنشأ يضرب به وينوح عليه حتى عمى . وفى رواية ثانية ، أن الفارابى (ت ٣٣٩ هـ) هو أول من صنعه ، وأن سبب عمله له أنه بينما كان يسير بين المقابر اذا به يشاهد ميتا وقد القى على ظهره فى مقبرته وقد خرجت منها رجله ، وقد بانت عروقه وأعضاؤه جميعها . فعد الفارابى تلك العروق ، فاذا بها عشرة ممتدة فى الخمس أصابع ، لكل أصبع عرقين ، فيهم الساكن والمتحرك ، فصنع الفارابى العود على نحو ما رأى من مثاله فى بنى آدم . وفى رواية ثالثة أن الفارابى ، صنعه بعد وفاة والده . وفى رواية رابعة ، أن اسم العود مشتق من العودة ـ الرجعة ـ لعل أيام السرور تعود . وفى رواية خامسة ، أن بطليموس أو بعض حكماء الفرس أول من صنعه .

أحسن منك » ؟ فقال : « لا » وأمال رأســه إلى خلفه ، فهى عمالة لأجل ذلك)[٨].

يضاف إلى شكله هذا ، أنه (محدوب الظهر ، أرسن البطن ، له أربعة أوتار ، إذا حركت لم يسمعها أحد إلا حرك أعطافه وهز رأسه)[٩] .

وذلك لأنه (الآلة الـكاملة الوافية لجميع النغمات ، فإنه مركب على حركات نفسانية)[١٠] ، وعلى طبائع الوجود الأربعة : النار والتراب والهواء والماء .

يقول كشاجم :

مشاكلة أوتاره فى طباعها عناصر منها ألف[١١] الخلق محدثه
فللنار منــه الزير والبم أرضه وللريح مثناه وللماء مثلثه[١٢]

من أجل ذلك كله ، نعت العود « بسلطان الطرب » ، (فإذا مسك أحد

= ق ١٨٣ ب ، الكلبى : بلوغ الاوطار، ق ٣، والغزولى : مطـالع، جـ١ ، ص ٢٣٢، عبد المؤمن : الأدوار : ص ١٠ ، ابن ابى سلمة : العود والملاهى ، ص ٨١ ، النواجى : حلبة الكميت ، ص ١٥٥ ، المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٨ ، ص ٨٩ ، ابن نباتة : سرح العيون ، ص ٢٢٦ ، العينى : السيف المهند ، ص ١١٥ ـ ١١٦ .

(٨) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٢ ، ص ١٥١ .

(٩)ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ ٧ ، ص ٦٧ ، وانظر صورته (شــكل رقم ١٣) .

(١٠) الأدفوى : الامتاع ، ق ١٢٠ . كذا انظر : ابن الطحان : سلوة ، ق ٩٠ أ : ٩٠ ب .

(١١) كذا فى ديوان كشاجم . أما عند النويرى : « نهاية الارب ، جـ٥ ، ص ١٢٢ » (احدث) . وانظر : الفاسى : كتـاب الجموع فى علم الموسيقى ، ق ٥٩ أ ، ٦١ أ : ٦١ ب .

(١٢) عن هذه المسميات انظر أوتار العود الاربعة ، والتى ستلى ص ١٢٤ .

من الناس العود وجسه بيديه جساً ، ثم ساواه على الوضع ، وضرب به على الضرب المفهوم بالعمل المقسوم ، حتى يوافق ضربه ضرب العروق الساكنة أو المتحركة التى فى جسد ابن آدم ، حنت تلك العروق إلى ذلك السماع الطيب ، وانجذبت إليه جميع الأعضاء ، فلا يبقى فيه عرق ولا عضو ولا مفصل إلا دخله الطرب ، لأن العود أقرب إلى الطرب من جميع الآلة كلها ، وهو سلطان الطرب)[١٣] .

يضاف إلى ذلك ، أن فى سماعه (نفع للجسد وإعتدال فى المزاج ، ويرطب الدماغ ويرزن العقل ، وهو غذاء الأرواح ، ويجلب الأفراح ويذهب الأتراح وينعش القلوب ويجلى الـكروب)[١٤] .

هذا مع ملاحظة ، أن هذا (النص لا يختص بالعود وحده ، لـكنه فى جميع آلة الطرب التى بالأوتار . وحكمها على عدة الأوتار ـ بحسب اختلاف عدتها ، زادت أو نقصت ـ ... وأما الآلة التى لا تختص بالأوتار فحـكمها على الضرب ؛ لأنها ـ أيضاً ـ تضرب على الخفيف والثقيل)[١٥] .

ومن ناحية أخرى ، يقال إن أصح الأعواد : العود المحـكم ، وهو عود اختلفت حوله آراء الحـكماء (فمنهم من قال إنه العود المفكك الذى يفرد ويجمع . صنعوه قطعاً متفرقة ، ثم تجمع أجزاؤه وتركب بعضها فى بعض ، فتصير عوداً صحيحاً كاملاً من غير نقص ولا عوز ، وأوتاره على وجهه مستوية من غير علة . هذا ما صنعه الحـكماء ، صنعوه للملوك لأجل خفته . إذا كانوا فى سفر ورواح ومجىء ، حلوه معهم مفـككاً قطعاً متفرقة ، فإذا استقروا فى مكان واحد جمع

---

(١٣) المشهدى : كشف الهموم ، ق ١٦٢ أ : ٦٢ ب . كذا انظره ، ق ١٧٢ أ . هذا ، ويقول العمرى : « التعريف بالمصطلح ، ص ٢١٥ » ان العود (آلة لا يضرب بها الا مجيــد) .

(١٤) ناصر الكلبى : بلوغ الاوطار ، ق ٤ .

(١٥) المشهدى : كشف الهموم ، ق ٥٦ ب : ٥٧ أ .

لهم من غير تكليف ، فصار عوداً كاملا من غير نقص فيه ، ثم يضرب به فى حضرتهم)[١٦] .

وقال آخرون : إنه العود الذى خف خشبه ، ورق طربه ، وقلت أوتاره ، واستوى دوره ومداره[١٧] .

هذا ، والمعروف أنه كلما خف خشب العود ، كان أطيب وأصلح وأجود ، وأن المتقدمين كانوا ينتقون خشبه من بين أربعة خشبات سليمة ، تعتبر (أطيب للآلة وأطرب وأقواها حساً وأصبر للعمل)[١٨] ، وهى : الران والآزدار والشربين والجوز (فلما تعذرت عليهم هذه الأربعة ... عوضوها بغيرها ما لم يقم مقامها فى الزى ولا فى العمل ، كما عوضوا قوم من أهل الصنعة يدرونها أم لم يدرونها)[١٩] .

أما أوتار العود[٢٠] ، فعددها أربعة ، وهى : الزير ثم المثنى (أو الثانى) ثم المثلث ، فالبم — أى الأبح —[٢١] .

(١٦ ، ١٧) كشف الشهدى ، ق ٦٣ ب : ٦٤ ب · هذا ، وقد اكثر الشعراء من وصف العودمنذ ان كان خشبا أخضرا ، فمنهم من قال :

تغنت عليه وهو رطب طيورها ‏ ‏ وغنت عليه قينة وهو يابس

غنت عليه ضروب الطير ساجعة ‏ ‏ حينا ، فلما ذوى غنى به البشر

ابن خلكان : وفيات ، ج ٥ ، ص ٣٤٧ ·

(١٨ ، ١٩) المشهدى : كشف الهموم ، ق ١٦٦ أ : ١٦٧ أ ، وعن طريقة صنع العود ، راجع : — مثلا — ابن الطحان : سلوة ، ق ٨٦ ب ·

(٢٠) تسمى تلك الاوتار بالمحابض — واحدها محبض — وبالشرع — واحدها شرعة — ابن سيده · المخصص ، ج ٤ ، ص ١٢ ·

(٢١) عرف بذلك لغلظ صوته · الادفوى : الامتاع ، ق ١١٩ ، ابن سيده :

يقول كشاجم :

وكل إمرىء يرتاح منه لنغمة ‏ ‏ على حسب الطبع الذى منه يبعثه[٢٢]

أما أسماء وأصناف العود ، فمنها : البربط[٢٣] ، والمعاب — وهو المزهر — والمرطبة ، وعود ، والكران أو الكرينة — ج أكرنة — ، والكنارة — وتطلق أيضاً على الدفوف — والقنين — وفى رواية إنه الطنبور — ، والمزهر ، والمعزفة — وقيل هى غيره — ، والونج — وفى رواية إنه الصنج ذات الأوتار — ، والشهرود — العود المحدث[٢٤] — ، والقوبوز ، والوزن — ج أوزان[٢٥] — وكلاهما دخل مصر فى عصر الأيوبيين[٢٦] .

ومن أصوات العود : بظ (يبظ) : إذا تحركت أوتاره ، الطرق : ضرب

---

(٢٢) النويرى : نهاية الأرب ، ج ٥ ، ص ١٢٢ · وانظر : المشهدى : كشف الهموم ، ق ٥٧ ب ، الفاسى : كتاب الجموع ، ق ٥٩ أ ، ابن الطحان : سلوة ، ق ٩٠ أ ·

(٢٣) المعروف ان البربط أو البربت ، لفظة فارسية ، تعنى العود الذى للغناء أو نوع منه · وأن أصلها (بر) وهو الصدر ، (بط) وهو الطائر المعروف · فلما كان العود يشبه صدر البط سمى به · وفى رواية أخرى ، أن بطليموس أو بعض حكماء الفرس هو الذى أسماه بذلك · وتفسيره باب النجاة (ومعناه مأخوذ من صرير باب الجنة) · أنظر : ابن الطحان : سلوة ، ق ٨٦ أ ، الجواليقى : المعرب ، الخوارزمى : مفاتيح ، ص ٢٢٨ ، ابن نباتة : سرح العيون ، ص ٢٣٦ ·

(٢٤) يقال ان حكيم بن الاحوص هو الذى أبدعه ببغداد فى سنة (٣٠٠ هـ) · الخوارزمى : مفاتيح : ص ٢٣٧ ·

(٢٥) ابن الطحان : سلوة ، ق ٨٦ أ ·

(٢٦) فارمر : مصادر الموسيقى العربية ، ص ٣٠٠ · كذلك يذكر ابن الطحان : سلوة ق ١٠٨ أ ، ان الكبكبة للهند وهو وتر واحد يمد على عروع طويلة ، فيقوم مقام

من أصواته ، الطنطنة : صوته ، عود هزج : متقارب الضرب [٢٧] .

ثانيا — الجنك[٢٨] :

يعرف « القلقشندى » الجنك بقوله : (وهو آلة محدثة ، طيبة النغمة ، لذيذ السماع ، يقارب العود فى حسنه ، وشكله مباين لشكل العود ، ورأسه مال إلى أسفل . يقال إنه قيل له : « هل يسمع أحسن منك » ؟ فقال : « نعم » يريد العود)[٢٩] .

والجنك على نوعين : أعجمى (الصنج) — وهو القديم — ، ومصرى — وهو المحدث — [٣٠] .

---

(٢٧) عما سبق ، راجع : الادفوى : الامتاع ، ق ١١٨ : ١٢٢ ، ابن الطحان : « سلوة ، ق ٨٦ أ : ٨٦ ب ، ابن سيده : المخصص ، جـ٤ ، ص ١١ — ١٢ ، المفضل بن سلمة : العود والملاهى ، ص ٨١ ، النويرى : نهاية الارب ، جـ ٥ ، ص ١١٩ ، القلقشندى: صبح الأعشى ، جـ ٢ ، ص ١٥١ ، الخوارزمى : مفاتيح ، ص ٢٣٧ ، (قواميس اللغـة العـــربية) .

(٢٨) الجنك : لفظة فارسية تعنى زخم (لان له زخم عظيم اذا ضرب به ، ولحسه دوى اذا اشتدت الأوتار فيه . فأول ما قدم المعز لدين الله الفاطمى الى الديار المصرية وتملكها ، تلقوه بالبشائر يهنئونه ومعهم المطربين ، فضربوا بجميع الالة فى حضرته ، فصغى اليهم وتأملهم طويلا ، وقال للجميع : « اسكتوا » الا صاحب الجنك عمال يضرب به ... ضربا شافيا هز المعز وشوقه للطرب ، فحرك راسه ، وقال : « ما اسم هـذه الالة » ؟ قالوا : « جنك عجمى » .... وكان اهل الزمان الاول يقولون به كثيرا ، فدخلت عليه آلات هذا الزمان فبطل ، وما بقي يقول به الا القليل من الناس ، وكان أفخـر آلات الطرب واقواها حسا) . هذا ، ويقال ان اول من صنع الجنك هو شهريار بن خاقان العجمى . المشهدى : كشف الهموم ، ق ٧٨ أ : ٧٨ ب . وأنظر صورته (شكل رقم ١٤ ، ١٥) .

(٢٩) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٢ ، ص ١٥١ .

والفرق بينهما : أن الأعجمى له وجه واحد ويضرب عليه من ناحيتيه — على غير حائز ولا ستر بين وتاره .

أما المصرى ، فله وجهان ، وفيه دفة من خشب حائزة بين أوتاره (قد جعلت هذه الدفة الزائدة لثلاث خصال : الأولى أن توبيد الخشب فى الخشب يزيد قوة ، لأن بعضه يمسك البعض ، لا ينفك ولا ينخلع إلا بعد مدة طويلة . الثانى : أنها تستر أيدى الضارب به عن أعين الناظرين ، يرى من جانب ولا يرى من الجانب الآخر . الثالث : أن توقيع الخشب إذا طرق[٣١] عليه الوتر يعطى الرنة ، بخلاف توقيع الوتر على الخلو)[٣٢] .

والضارب بالجنك يضرب باليمين واليسار ، فإذا ضرب باليمين سمى ضربه ضرب التمـكين ؛ لأن اليمين أقوى من اليسار فى الضرب .

أما إن ضرب باليسار ، فضربه يسمى الضرب المعين ؛ لأن اليسار معينة لليمين فى ضربها .

وأما إن ضرب باليسار ومسك باليمين ، فالحـكم فى الضرب يتغير ، كما تتبدل الأسماء ، فيسمى ضرب اليسار « ضرب التمـكين » ؛ لأن اليسار تعيلت على اليمين ، ويسمى ضرب اليمين « الضرب المعين » ، لأن اليمين قد صارت معينة لليسار فى ضربها[٣٣] .

أما عن تعداد أوتار الجنك ، فلا (يشترط فيه كثرتها ولا قلتها ، فمنهم من صنعه بمائة وتر ، ومنهم من صنعه بدونها ، وكلما كثرت الأوتار فيه ازداد حساً وكثر زخمه ، وكلما قلت أوتاره صحت قسمته وبان الضرب فيه ، وأصح

---

(٣١) فى الأصل (ترك) وهو تصحيف .

(٣٢) المشهدى : كشف الهموم ، ق ٧٢ أ : ٧٢ ب .

ما كان فيه من الأوتار ستين)[٣٤] .

هذا ، ومن الآلات التي تشبه الجنك : الشلياق – وهي آلة كانت لليونانيين والروم ، ولها أربعة وعشرون وتراً – ، والقيثارة – وكانت للروم ، وعليها اثني عشر وتراً –[٣٥] .

ثالثاً – السنطير[٣٦] (القانون) :

المعروف أن القانون تسمية شامية ، أما السنطير فبلغة المصريين .

ومع هذا ، فهناك فرق طفيف – من ناحية الشكل – بين الآلتين ، فما كان منهما مربع الشكل – شبه منحرف – من غير رجل زائدة فيه ، فهو القانون . وأما ما كان مستوياً من جوانبه الثلاثة وفيه رجل زائدة ، فهو السنطير[٣٧] .

هذا ، ويقال إن السنطير يمكن أن يقوم مقام الموسيقا إن عدمت ؛ لأنه (أطرب من جميع الآلة . وأطيبها ، وأحلاها ، وأرقها حساً)[٣٨] .

والعمل بالسنطير يعطي رنة وطنانة ؛ لأن أوتاره النحاسية موقعة على خشب ، تزداد تلك الرنة ويعلو ذلك الطنين ، إذا وقعت أوتاره على بروج من نحاس أو عظام .

---

(٣٤) المشهدي : كشف ، ق ٧٥ ب : ٧٦ أ .

(٣٥) ابن الطحان : سلوة ، ق ١٠٧ ب . كذا انظر : الخوارزمي : مفاتيح ، ص ٢٢٦ – ٢٢٧ .

(٣٦) يقال ان اول من صنعه حكيم رومي (اسمه قانون ، فسمي به ، ومعنى قانون يعني قانون الحكمة ، لانه كان حكيما عارفا عنده علم وفهم ، وقال قوم : انما سمي بالقانون لانه قانون الحكمة وميزانها ، وقانون الصنعة هو ميزانها) . المشهدي : كشف الهموم ، ق ٨٣ ب .

(٣٧) راجع : المشهدي : كشف الهموم ، ق ٨٢ أ : ٨٣ ب ، كذا انظر : ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٥٤ وانظر صورته (شكل رقم ١٦) .

وإذا كان السنطير من الآلات التي تعتمد في ضربها على يمين الضارب ، فإن يساره تبقى دوماً معينة لليمين ، لأن الأوتار التي فيه (تارة تشتد فتقوى ، وتارة ترتخي فتضعف ، فكلما فسد منها شيئاً أصلحه بيساره ، ويقيه في الأوتار ماسكة الضرب ، وهو تارة يلوي باليسار وتارة يضرب باليمين ، لأنه كثير الحركة لا يقر ولا يهدأ في عمله ساعة ... فإذا ضرب باليمين واليسار فقد كل الضرب معه)[٣٩] .

أما المواد التي صنع منها السنطير فالنحاس ، إلى جانب الخشبات السابق ذكرها في آلة العود ، وتصنع منها أوتاره .

وأما عدة أوتاره ، فلا تحمد كثرتها أو تذم قلتها ، فكلما (زادت أوتاره كبر حسه – وربما ازدادت نغمات زائدة – ، وكلما قلت أوتاره صحت فيه النغمة ورقت ، لكن يضعف إحكامها ، فإن كان مائة وتر أسقط منها أربعة – وهي القاعدة الأصل – تبقى معك ستة وتسعين ، انقسم على أربعة أدوار ، كل دور يخصه من العدد أربعة وعشرون)[٤٠] .

هذا ، ومن فصيلة السنطير : القزعة ، والنزهة – عود مقوس – وكلاهما – على ما قيل – من اختراع صفي الدين عبد المؤمن[٤١] . (ت ٦٩٣ هـ/١٢٩٣ م).

(٣٩ ، ٤٠) نفسه ، ق ٨٥ ب : ٨٦ أ ، ق ٨٦ ب : ٨٧ أ .

(٤١) راجع : حسين على محفوظ: صفي الدين عبد المؤمن، ص ٥ ، فارمر : تاريخ الموسيقى العربية ، ص ٣٠١ . وعن ترجمته انظر : ابن شاكر : فوات ، جـ٢ ، ص ٣٩ – ٤٠ .

رابعا ـ الدف ـ وهو مصرى محدث[٤٢] ـ والطبول

المعروف أن الطار جاهلى قديم ، وأنه يشبه غربال الدقيق الكبير ، وله جلد ثخين من جلود المواشى . وهو ثقيل فى الشيل والحط ، وله صوت دوى غليظ يقارب حس الطبل ، وكلما تحرك الطار تسمع للحلق التى فى دائره خشخشة ضعيفة خفيفة .

غير أن الناس ما لبثوا أن عدلوا عنه (واتخذوا عوضه هذه الدفوف بالحلق المدورة ، والرقوق الناعمة ، والصنوج المطعمة بالذهب والفضة ـ وسماعها حرام ـ)[٤٣] ، بخلاف الطار ، إلا إذا طرحت عنه الصنوج[٤٤] (الصراصير)[٤٥] .

هذا ، ويقال إن الدف من الآلات الموسيقية الكاملة التى (تحكم على سائر الملاهى ، تفتقر إليه جميع آلات الطرب ، إذ به تعرف الضروب صحيحها وسقيمها)[٤٦] ، كما (لا يتبين النقرات الخفاف والثقال إلا به ، وهو الذى

---

(٤٢) نعنى به الدف الدائر المفتوح · هذا ، ويقال ان أول من اتخذ الدفوف لوبا بن لمك ، وفى رواية أخرى ، ان النبط هم أول من ضربوا به والطبول · راجع : ابن نباتة : سرح العيون ، ص ٢٣٦ ، العينى : السيف ، ص ١١٥ · وانظر صورته (شكل رقم ١٧)

(٤٣ ، ٤٤) الشهدى : كشف الهموم ، ق ٩٨ أ ـ ٩٨ ب ، ق ٩٦ أ : ٩٨ ، الأدفوى : الأمتاع ، ق ١٠٦ ب ·

(٤٥) كذا سميت فى عصر سلاطين المماليك · راجع : القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٢ ، ص ١٥١ ـ ١٥٢ ·

(٤٦) الادفوى : الامتاع ، ق ١٠٦ أ ، هذا ، ويعبر العمرى : «التعريف» ص ٢١٥ عن هذا المعنى بقوله : (وضرب بالدف فأحسن ان ضرب ، وجاء بمجموع الطرب ، قد حمل الشمس منه دائرة القمر ·· واظهر نقص الات الطرب كلها بتمامه) · أما سيف الدين المشد فيقول :

وطـــارية قـــرعت بطـــارها   وغنت عليـــــه بصوت عجيب
فعاينت شمس الضـــحى اقبلت   وبـــدر تقدمهـــا عن قـــريب

النويرى : نهاية الارب ، ج ٥ ، ص ١٢٦ =

يوصل ويقطع ؛ فإنه الناظر على سائر الملاهى ، وكل ملهاة لا يحضرها الدف فهى ضعيفة القوة)[٤٧] ، وذلك لأن الدف قد تشكل على صورة الكرة الفلكية ـ أى على الوضع الصحيح ـ ، كما ركب على العناصر الأربعة — التى فى جسد ابن آدم — والفصول الأربعة[٤٨] .

والضرب على هذه الآلة يكون عن طريق التنقير عليها بالأصابع أو الضرب عليها بالكف أو كلاهما معاً ، وفق أعداد (مفهومة ، لها تنقيرات باليد معدودة : إما ثلاثة أو خمسة أو سبعة . يبتدىء بالأول من العدد وتقطع بالخامس أو السادس أو السابع ، على عدد تلك التنقيرات الموضوعة . وهى مركبة على نغمات موافقة لها فى الضرب : عدد الضرب باليد عدد النطق باللسان ، لا يخرج شىء منها عن مرتبته إلا فسد الضرب منها ـ إذا كان الضرب مقسوماً بين اليدين واللسان ··· وأما حكم الضرب بالكف فإنها أعداد مختلفة تزيد فى الضرب وتنقص ، وليس لها نهاية فى العدد ، وجميعهم دائرة على دائرة الضرب لا يفرق بين الضرب ولا التنقير بالأصابع ··· ويتبعها الصوت الطيب مع قوة الصدمة وكثرة التحاشى والأشعار المطربة أيضاً ورمى الزخات[٤٩] والبيشروهات)[٥٠] .

= أما جعفر بن محمد العلوى فيقول فى مغن بيده طار :

فتى بطـــار طـــار قلبى لـــه   بأنمـــل كالأنجـــم الخمس
كأنه والطـــار فى كفـــه   بـــدر الدجى يلعب بالشـــمس

ابن شاكر : فوات ، ج١ ، ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ ·

(٤٧ ، ٤٨) الادفوى : الأمتاع ، ق ١٠٦ أ : ١٠٦ ب ·

(٤٩) الزخمة : تشبه الهمزة (أ) وهى من المواضع المعينة فى الالحان · الحسن ابن احمد : كمال ادب ، ص ٨٤ ·

(٥٠) الشهدى : كشف الهموم ، ق ٩٨ ب ، ١٠٢ أ : ١٠٢ ب · كذا انظر : ابن

أما إن كان الضرب مشتركاً بين شخصين : أحدهما بدف ، والآخر بشبابة ، فقد اختلفوا فيه (فمن الناس من قال : « الدف تابع للشبابة » ، ومنهم من قال : « قدر اتفاقهم ، متى استبد المشبب تبعه المغنى ، ثم بعدها يفرع المغنى الأنغام بعضها من بعض ، فيكون المشبب تابع له » . والأقرب أن المغنى يستعين بالمشبب فيستريح عليه ، وفى الطبقة لا يتعدى أحد الآخر)[٥١] .

— بعض أسماء الدف والضرب به :

الدف يكركر : حكاية صوته .

المدفدف : ضارب الدف .

الدفدفة : استعجال ضرب الدف .

المدفف : صانعها .

الصفاط : اللعاب بالدف .

الصفاطة : الدف .

القلس والتقليس : الضرب بالدف[٥٢] .

أما الطبول ، فهى على نوعين : طبل الملاهى ، وطبل مراسيم الملك والحرب (الطبلخاناه) ومن أمثلة النوع الأول : الكبر (وهو طبل ذو وجه واحد)[٥٣] ، والكوبة أو طبل المخنث ، وهو طبل ضيق الوسط متسع من جهة الطرفين ، مغلوقه مكسو بجلد من الوجهين[٥٤] .

(٥١) المشهدى : كشف الهموم ، ق ١١٠٣ .

(٥٢) راجع : ابن سيده : المخصص ، ج٤ ، ص١٥ (كذا قواميس اللغة العربية)

(٥٣) ابن خلكان : وفيات ، ج ٦ ، ص ٢٧٨ .

(٥٤) راجع : الادفوى : الامتاع ، ق ١٢٥ ب ، ابن سيده : المخصص ، ج٤ ، ص ١٥ ، الجواليقى : المعرب ، ص ٢٤٣ ، نبيل عبد العزيز : الخيل ورياضتها ، ص

أما الطبلخاناه (بيت الطبل) ، فتشتمل على الطبول والنقارات[٥٥] (والأبواق وتوابعها من الآلات ، ويحكم على ذلك أمير من أمراء العشرات ، يعرف بأمير علم ... ولها مهتار متسلم لحواصلها يعرف بمهتار الطبلخاناه ، وله رجال تحت يده)[٥٦] .

وأما صوت الطبل ، فيعرف بالدرداب[٥٧] .

خامساً الشبابة (القصبة)[٥٨] :

الشبابة على نوعين : قديمة — وهى شبابة العرب فى فترة الجاهلية — ، ومحدثة . ومن أنواع الأخيرة ما وجد منها فى عصر سلاطين المماليك ، وهى شبابة استحدثت فيها سبعة أبخاش — حسبت على الكواكب السبعة السيارة — بسدادات ، وضعت وضعاً متعارفاً ، حتى تحدث النسب بين الأصوات فيها (وتتصل كذلك متناسبة ، فيلتذ السمع)[٥٩] .

أما سر الطرب المنبعث من ذلك الأبخاش ، فلأن النفس الذى يخرج من كل بخش قد ركب على العناصر الأربعة التى فى جسد ابن آدم ، وعلى التى فى الوجود ، (فيكون حكم الضرب حكم هؤلاء الأسماء المعدودة ، حتى يوافق ضرب الأعضاء

(٥٥) انظر صورتها (شكل رقم ٤ : ٦) .

(٥٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص ١٣ .

(٥٧) ابن سيده : المخصص ، ج ٤ ، ص ١٥ .

(٥٨) يذكر ابن سلمة : « العود والملاهى ، ص ٨٢ ، أن (المزامير وكل ما ينفخ به ، فانما عملته بنو اسرائيل .. الا القصبة التى يصفر بها ، فان الاكراد أول من اتخذوها . كانوا اذا تفرقت عنهم غنمهم صفروا لها فاجتمعت) كذا انظر : الادفوى : الامتاع ، ق ١١٣ ، ١١٧ ، ١١٨ ، وانظر صورتها (شكل رقم ١٨) .

(٥٩) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٥٣ — ٣٥٤ . كذا انظر : المشهدى : كشف

التى [٦٠] فى جسد ابن آدم الحركة للطرب ، فأى عرق صادفه منهم ضرب من ضرب ذلك النغم الخارج من ذلك التجش ، حصل له الطرب جميعه)[٦١] .

وتفسد الصنعة ويخرج الضارب عن النغمة المطلوبة ويبقى متحيراً ، إذا سهى عن مرتبة الأصبع المطلوبة ، أو فرع عن موضع النغم الذى هو فيه إلى نغمة أخرى ، فإن كان معه من يغنى (وقد رشده بغير أصل ، فقد خرج عن الطريق الذى هم فيها ، وبقى فى طريق والمغنى فى طريق آخر . والأصوب له أن يعرف كل إصبع منهم أين يضعه ، وأين يرفعه ، لا يفارق الطريق الذى هو فيها ، حتى يقولوا : « أمسك الضرب » ولا يقولوا : « خرج عن الضرب »)[٦٢] .

هذا ، ويقال إن من أنواع الشبابة القديمة : الزير ، والنحل ، والنجارة . والأخيرة هى الآلة التى كان عرب الجاهلية يغنون عليها قصائدهم ويرثون عليها بأشعارهم ، ويرعون عليها [٦٣] . ثم كان أن استحدث الموصول أو اليراعة المثقبة [٦٤] ، وهو عبارة عن قطعتين من القصب : بدنة ووصلة [٦٥] ، ولذلك سمى موصولا . (وقال أهل المعانى فى اسمه : « أنا للشمل موصول وليس أنا بالقطيعة والهجر منصول) [٦٦] .

---

(٦٠) فى الأصل (الذى) .

(١) المشهدى : كشف الهموم ، ق ١١٥ أ ـ ١١٥ ب .

(٦٢) نفسه ، ق ١٢٣ ب : ١٢٤ أ .

(٦٣) المشهدى : كشف الهموم ، ق ١١٤ أ ، الادفوى : الامتاع ، ق ١١٣ .

(٦٤) يذكر ابن سيده : « المخصص ، جـ ٤ ، ص ١١٣ » أن اليراع قبل أن يثقب (فهو يسمى الكعب) وانظر : القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٢ ، ص ١٥٢ .

(٦٥) المعروف أن شبابة العرب القديمة كانت قطعة واحدة .

(٦٦) المشهدى : كشف الهموم ، ق ١١٤ أ .

ومن جهة أخرى ، يقال أنه كلما (كان النفس فى الشبابة أوطى ، كان أطرب وأحلى ، لأن الموصول أطيب الآلة جميعها وأحلى . وهو حمار الطرب . ومعناه : أن جميع الآلة كلها تسكت والموصول عمال لم يبطل ، عليه يستريحوا وعليه يتحاشوا فى المغنى ، وهو أحلى من الزمر وأطرب ؛ لأن الزمر من صنعة الشيطان ، والقصب فيه سر الرحمن)[٦٧] ، وهو النفس الذى يدخل فيه ، ويرتبط بالروح[٦٨] ، (ولهذا تغالوا فى القصب حتى صنعوه من الفضة والذهب والنحاس والخشب ، فما أغنى عن القصب إلا القصب ، فسبحان من أجرى الماء على الأرض الصماء حتى اغدودقت وأعشبت ، فأنبتت نباتاً عجباً يشبه لون الذهب [٦٩] ،

(٦٧ : ٦٩) نفسه ، ق ١١٩ ب ، ق ١٢٢ أ ـ ١٢٢ ب . كذا انظره ، ق ١٢٥ أ : ١٢٨ ب . هذا ، ويصف أحد الشعراء شبابة بقوله :

وعـــارية من كل عيب ، حبيبة ... الى كل قلب بات بالبين مجــروحا

لهـا جســد ميت يعيش بنفخة ... متى داخلته الريح صـارت به روحـا

وتنطق بالسحر الحـلال عن الهـوى ... وتوحى الى الأسماع أطيب ما يوحى

النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٥ ، ص ١٢٦ .

أما أحمد بن عبد الملك (ت ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م) فيقول :

وما صــفراء شاحبة ولـكن ... تزينهـا النضـارة والشـباب

مكتبـة وليس لهـا بنـــان ... منقبـة وليس لهـا نقــاب

أحـاديثا تلـــذ وتسـتطاب ... ويحلو المدح والتشبيب فيهـا

تصـيخ لهـــا اذا قبلت فاها ... ومـا هى لاســعاد ولا ربـاب

ابن حجر : الدرر ، جـ ١ ، ص ٢٠٥ . أما العمرى : « التعريف ، ص ٢١٥ » فيقـول :

(ولم يزل يهوى منها ناحلة صفراء ، باد شحوبها ، ظاهر نحيبها ، أنابيب فى أجوافها الريح تصفر ، اذا سد منها جاش منخر .. قد جلب الملهى بها السرور أو سبب ،

حتى يدخل فيه نفس ويخرج بحنين وطرب . فيالله العجب ، هل السر فى النفس أم السر فى القصب)[٧٠] .

هذا ، ويضيف « ابن خلدون » أن من جنس الشبابة أيضاً : الزمار الزلامى . وهو عبارة عن قصبة (منحوتة الجانبين من الخشب — جوفاء من غير تدوير لأجل ائتلافها — من قطعتين منفردتين . كذلك بأنجاش معدودة ينفخ فيها بقصبة صغيرة توصل ، فينفذ النفخ بواسطتها إليها ، وتصوت بنغمة حادة يجرى من تقطيع الأصوات من تلك الأنجاش بالأصابع ، مثلما يجرى فى الشبابة)[٧١] .

ومن آلات الزمر أيضاً : الكرجة ، وهى عبارة عن قصبة تماثل السرناى فى شكله وطوله ، إلا أن فى أسفلها قطعة من نحاس معوجة . وكان يزمر بها فى أعراس أهل البادية وفى الأرياف[٧٢] .

ومنها الناى (وهو أكثر ضرباً من الأولين ، ويشمل المروبة ، وهما قصبتان ملتصقتان)[٧٣] .

هذا ، ومن العلماء من ذكروا اتفاق الناى والعود فى الأنغام . فالناى فيه سبعة ثقوب (من فوق فى صف واحد ، وثقبان من أسفل : أحدهما الذى يكون مفتوحاً أبداً — لا يحسب عليه ، وإنما هو لتقدير الريح . فأما الثقب فى صف واحد ، فإن أقصاها وأبعدها من الفم هو السابع من رأسه ، وهو مثل مطلق المثنى[٧٤] ، والسادس مثل سبابته ، والخامس مثل بنصره ، والرابع مثل خنصره ، التى هى

(٧٠) الشهدى : كشف الهموم ، ق ١٢٢ ب .
(٧١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٥٤ .
(٧٢ ، ٧٣) الأدفوى : الامتاع ، ق ١١٨ . وانظر : الجواليقى : المعرب ، ص ٢٦٢ ، وانظر ما سيلى ، ص ١٣٧ .
(٧٤) عن هذه المسميات ، راجع : أوتار العود ، ص ١٢٤ .

مطلق الزير ، والثالث مثل سبابة الزير ، والثانى مثل بنصر الزير ، والأول مثل خنصر الزير[٧٥] — وهو الثقب القريب من الفم)[٧٦] .

أما سر استعانة المغنون بالزمر ، فلكونها (رفو الغناء ، وقيل : الزمر يستر من حسن الغناء كما يستر من قبحه)[٧٧] .

<u>بعض أسماء وصفات الزمر :</u>

الدوناى — مزمارين مقرونين — ، الرمانة ، أرغن[٧٨] ، الزمارة ، الزنبق ، الزير ، السرناى — ويستخدم على المراكب على القارات فى الحرب[٧٩] — ، الشبابة ، الشميرة — ورأسه يضيق ويوسع به[٨٠] — ، المران ، الفحل ، القصاب (القصبة) ، الكرجة ، الزمار المثنى — مزمارين مقرونين — الزمار الزلاى ، الزمر ، المزواج — مثل المثنى — ، المستق[٨١] سيسمن — فارسى معرب ، أى الذى يؤخذ باليدين — ، المروبة — قصبتان ملتصقتان — المنجارة ، الناى ، المدبقة ، الميرعة — قصبة يزمر الرعاة بها — ، اليراع — الصفارة —[٨٢] .

(٧٥) انظر ما سبق ، ص ١٢٤ .
(٧٦) الحسن بن أحمد : كمال أدب ، ص ١٣٥ .
(٧٧) الراغب الاصبهانى : محاضرات ، ج ٢ ، ص ٧٢٢ .
(٧٨) عن صناعة الارغن ، انظر — مثلا — مجهول : صناعة الارغن ، ص ٣٩٤ ، الخوارزمى : مفاتيح ، ص ٢٣٦ . هذا ، ويذكر ابن الطحان : « سلوة ، ق ١٠٧ ب — ١٠٨ أ » أن من ضمن الآلات الرومية التى كانت تصنع من جلود العجول (الصليخ) .
(٧٩) يضيف الأدفوى : « الامتاع ، ق ١١٨ » أن السرناى عبارة عن قصبة ضيقة الرأس ، متسع آخرها ، أما الفارابى : «الموسيقى الكبير ، ص ٧٨٧» ، فيقول انه — على عهده — (صنف من المزامير ، غير أنها أحد تحديدا من سائر أصنافها . وقد جرت عادة مستعمليها أن يجعلوا على محدبها ثمانية معاطف) .
(٨٠) راجع : الخوارزمى : مفاتيح ، ص ٢٣٧ .
(٨١) يذكر الخوارزمى : « مفاتيح ، ص ٢٣٧ » أن المستق (آلة للصينيين ، تعمل من أنابيب مركبة ، واسمها بالفارسية : « بيشة مشتة ») .
(٨٢) راجع : الشهدى، كشف الهموم ، ق ١١٤، المفضل بن سلمة، العود والملاهى، ص ٨٢ ، ابن سيده : المخصص ، ج٤ ، ص ١٣ : ١٥ ، الفارابى : الموسيقى الكبير ،

سادساً - الرباب والكمنجة[٨٣] :

الرباب من آلات الطرب التي ظل العرب جميعاً — منذ فترة الجاهلية وحتى عصر سلاطين المماليك - يغنون عليها قصائدهم وأشعارهم المفرحة والحزينة ويرثون عليها (كل أحد بحسب أعطاه الله تعالى ورزقه ، قوم أضحكهم وقوم أبكاهم)[٨٤] .

وليس أدل على ذلك ، من أنه حدث بعد القبض على بيبرس الجاشنكير[٨٥] ، والشروع في إحضاره إلى الأبواب الشريفة ، أن تقدم نجاب عربي يدعى خنافر ، وضرب رباباً قدام بيبرس (وقال عليه غناء مليحاً قبيسي في صورة الحال يبكي الحجارة ، فبكى كل من في العسكر)[٨٦] .

قال خنافر من الطويل :

فراق الأخلا كالزجاج إذا انشظى | عسى فيكو لي من يداوي كسورها

(٨٣) اختلفت اراء العلماء حول أول من صنع الة الرباب . فالمشهدي : « كشف الهموم، ق١٣٢ ، يذكر ان أول من صنعته امرأة من ال طيىء تدعى سعداء بنت عامى العبسى . وسبب صناعتها له ، أنها لما فقدت ولدها المحبوب ربيب او رباب ، وصارت تنعيه ليلا ونهارا ، قطع اهل الحى لسانها . فلما اشتد وجدها ، بدلت شيئا كثيرا من مالها لصناعة آلة تنعيه عليها . (فلما اشتهر امرها بين الناس وفطنوا لتلك الرباب ، صاروا - العرب جميعهم - يغنون عليها قصائدهم الجاهلية والأشعار الحزاينية ، ويرثون عليه ويبكون ، ويغنون عليه ويفرحون) . أما العيني : « السيف ، ص ١١٥ » فيذكر أن اليونانيين هم أول من ضربوا بتلك الالة . وأما ابن الطحان : « سلوة ، ق ١٠٧ ب » فيذكر أن (الرباب من الالات الرومية ... ويقال لها اللورا ، ولها ثلاثة أوتار ، وأربعة ، وخمسة ، وستة) . وانظر صورتها (شكل رقم ١٩) .

(٨٤) المشهدي : كشف الهموم ، ق ١٣٥ ب .

(٨٥) المعروف أن بيبرس هذا قد تغلب على الملك في سنة (٧٠٨ هـ / ١٣٠٨م) .

عسى فيكو أو منكو لي مساعد | فقد بلغت الأرواح مدا نحورها
وسود الليالي ماوفت بعهودها | ألا بشروا الأعدا بباقي سرورها
وكم ملك الدنيا ملوك كواسر | غدوا وتولى غيرها في قصورها
ولابد مايفتالها غامق الثرى | وتطبق ذا الدنيا علينا قبورها[٨٧]

ولما كان نقيب العرب شرف بن طراد يغني القبيسي جيداً ، فلازال يتغنى التجريدة بهذه الأبيات ، وهم يبكون ، حتى دخلوا ببيبرس بلبيس .

هذا ، والمعروف أن الرباب آلة وترية ، ذات صندوق كروي الشكل ، أو نصف بيضاوي ، مجوف ومغطى بغشاء جلدي رقيق ، ومشدود فوقه — على عصر سلاطين المماليك — أربعة أوتار[٨٨] فإذا أراد الضارب استعمالها ، مرر عليها قوساً (وتره من شعر ، فيسمع لها حس طيب)[٨٩] .

(٨٧) ابن ايبك : الدر الفاخر ، ص ٢٠٥ .

(٨٨) يذكر القلقشندي : « صبح الأعشى ، جـ٢ ، ص ١٥١ » أن الرباب (آلة مجوفة، عليها خصلة لطيفة من شعر » . كذلك يذكر الفارابي : « الموسيقى الكبير ، ص ٨٠٠ - ٨٠١ » أن تعداد أوتار الرباب - على عهده - ربما : وتر واحد او اثنان متساويان او متفاضلان في الغلظ (وكثيرا ما يستعملون فيها اربعة أوتار) . هذا ، ومن أقدم انواع الرباب ما عرف بالرباب المصرى ، وهو آلة ذات صندوق نصف بيضاوى الشكل ، مغطى بغشاء جلدى رقيق ، ويشد عليها وتران . ومن ناحية اخرى ، فالمعروف أن تلك الآلة قد تطورت الى عدة أصناف منها : رباب الشاعر ، والرباب المغربى ، والرباب التركى (الارنبة) - والأخيران يختلفان عن الرباب القديم - وأن آلة الرباب قد دخلت أوربا عن طريق الاندلس ، وهذه الآلة هى التى تطورت فى صناعتها الى ما عرف بالكمان او الفيولا فى القرن السابع عشر . انظر : غطاس عبد الملك : الموسيقى الكبير ، ص ٨٠٠ (حاشية ١) .

(٨٩) القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ ٢ ، ص ١٥١ . كذا أنظر : ابن خلدون :

هذا ، ويقال إن نغمة الرباب تستخرج بقسمة الأوتار الأربعة التي فيها ، (وإذا اشتدت أوتارها وزعقت ، يخيل لمستمعها أنه شخص من بني آدم ينوح ويعدد . وإذا انحط الطرب وضرب بها في الطبقة الوطيئة ، أطربت مستمعها ، وخيل له أنه أحد من بني آدم يفرح ويضحك ، فهذا دأبها. ولها صوت إذا اشتد تسمع له زعجة وفيه نزقة ، لأن فيها شيء من أسرار الحيل)[٩٠] .

وحكم ضربها على حكم العناصر الأربعة . فإذا وافق الضرب ضرب العروق الساكنة والمتحركة التي في جسد ابن آدم ،وعناصر الكون الأربعة ، وصحت القسمة ، حصل له (من الطرب مالا يملك نفسه ، ويهيم بذلك الضرب ويزداد وجـــده)[٩١] .

هـــذا ، ومن أنواع الرباب : الكمنجة[٩٢] ، وهي آلة (مشتقة منه ، جنسها كجنسه وشكلها كشكله ، لكنها أرق طرباً منه وأحلى وأطيب صوتاً وأحظى)[٩٣]. وحكمها في ضرب الوترين على خلاف حكم الرباب . أما في ضرب الأربعة ، فهي موافقة لها ، لأن ضربها يكون على حكم العناصر الأربعة .

(٩٠ ــ ٩١) المشهدى : كشف الهموم ، ق ١٣٦ ب : ١٣٧ أ ٠ هذا ويقول العمرى : « التعريف ، ص ٢١٥ » في الرباب : (وضرب بالرباب فتذكر زمانه الحبائب ، وأيامه بتلك الربائب ٠٠ وطاب صوته على الترديد ، ورق قلبه من حديد) ٠ أما السيوطى: « حسن المحاضرة ، جـ ٢ ، ص ٣٩١ » فيذكر أن القاضى ابن فضل الله كتب الى الامير الجائى الدوادار يقول :

وحـــديقة غنى الــربا ... ب لها بتوقيع الســحاب
فتمايلت حتى لقـــــد ... رقصت على صوت الرباب

(٩٢) يقال ان اسم الكمنجة (مشتق من الغيبة والحضور ، كما يقال ، ليس من غاب ولم يحضر كمنجاه) المشهدى : كشف الهموم ، ق ١٢٩ ٠

(٩٣) المشهدى : كشف الهموم ، ق ١٣٩ أ ، كذا انظر : القلقشندى : صبح الأعشى،

ومن ثم فالأوتار الأربعة فيها خير من الوترين ، حتى يقع حكمها على حكم العناصر الأربعة (ولأن الأربعة أحكم في المغنى من الأثنين)[٩٤] ، ومن ثم يكمل جميع الطرب .

وشرط صدره في الكمنجة أو حقها — وهو لطيف القدر في التدوير[٩٥] — أن يكون (خفيفاً ، قليل الثخانة في الخشب ، ويكون التجش فيه بالمقدار،لا يوسع فيه فيمدد الطرب منه، فيجيء طرباً مشتتاً بغير لذة،ولا يضيق فيه فينحبس الطرب ، ولا يصعد منه إلا بالتكلف ، ويصير صعباً في عمله)[٩٦] .

أما عن الشروط الواجب توافرها في الضارب بهذه الآلة ، فمنها : أن يلم بعلمين : الأول : (معرفة الأنغام ومدارها على الآلة ، وتلحين الأشعار وترتيبها على المغنى . الثاني : العمل بالآلة وتوفيقها على الأنغام الدائرة على دائرة الطرب ، وقسمة تفريقهم وتخرجهم من نفسها ، حتى تصح معه القسمة ويقعـــد له الضرب)[٩٧] .

سابعاً ـــ الشعيبية[٩٨]

الشعيبية، عبارة عن قصبة قديمة العهد، مكونة من أضلاع مضمومة وملتصقة،

---

(٩٤) نفسه ، ق ١٤٠ أ ٠

(٩٥)القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ ٢ ، ص ١٥١ ٠

(٩٦ ، ٩٧) المشهدى : كشف الهموم ، ق ١٤١ أ ٠

(٩٨) يقال انها سميت بذلك ، لكونها قد تكونت من شعب متفرقة من القاب ، فصارت مجموعة ملتصقة ، بخلاف سائر الات الطرب ٠ المشهدى : كشف الهموم ، ق ١٤٨ ب ــ ١٤٩ أ ٠ كذا انظره ، ق ١٥٧ أ (حيث اورد قصة صناعتها) ٠ وانظـــر صورتها (شكل رقم ٢٠) ٠

وهى (آلة رقيقة الطرب ، سريعة الأخذ ، حلوة الصوت ، مقلوبة النفس ، يعنى نفسها مردود)[٩٩] .

وهى آلة توافق قصب الطرب إلا فى أمرين :

الأول ، أن النفس يدخل جميع الزمر من موضع واحد ثم يخرج من مواضع شتى — غير الموضع الذى دخل منه — إلا الشعيبية ، فإن النفس يدخل فيها من موضع واحد متفرق فيصل إلى منتهى صدر القصب فلا يجد موضعاً يخرج منه غير الذى دخل منه .

الثانى ، أن جميع آلة القصب حركتها بالنفس والأصابع إلا الشعيبية ، فإن حركتها قامت على قوة فعل الرأس والعنق (لأنهما يحركان الطرب ويفرقان الأنغام)[١٠٠] .

أما عدة أضلاع هذه الآلة ، فقوم أزادوها ، وآخرون أنقصوها . والأصح سبعة أو ثمانية أضلاع ، لكل ضلع منهم نغم يخصه . وبعض الضلوع أقوى من البعض الآخر ، على قدر رقة القصب الذى فى الضلع وقصره وجفو الضلع الآخر وطوله[١٠١] .

وحكم العمل بهذه الآلة يقوم على ستة أضلاع ، أما السابع ، فحط أو بيت الأنغام[١٠٢] .

---

(٩٩) المشهدى : كشف الهموم ، ق ١٤٩ أ .

(١٠٠ ، ١٠١) نفسه ، ق ١٥٠ أ ، ق ١٥٣ أ : ١٥٣ ب .

(١٠٢) نفسه ، ق ١٥٤ أ .

الطنبور :[١٠٣]

الطنبور من الآلات الوترية العربية ، التى تجانس العود فى استخراج أنغامها من الأوتار[١٠٤] . أما فى شكله ، فيشبه إلية الحمل[١٠٥] .

هذا ، والذى عرف من تلك الآلة صنفان : الخراسانى ، والميزانى[١٠٦] (العربى)

---

(١٠٣) يقال أن أول من عملوا الطنابير هم قوم لوط (كان اذا اعجبهم الغلام الأمرد استمالوه بذلك) ابن الطحان : سلوة ، ق ١٠٥ ب ، كذا أنظر : المفضل بن سلمة : العود والملاهى ، ص ٨٢ ، المسعودى : مروج الذهب ، ج ٨ ، ص ٨٩ . أما العينى : « السيف ، ص ١١٥ » فيقول : (أول من ضرب بالعود والطنبور والصنج بنو اسرائيل أيام داود عليه السلام) .

(١٠٤) يقول الأدفوى : « الامتاع ، ق ١١٨ » : (المعروف فى اللغة أن الطنبور العود . والمشهور بين الناس وأهل الشرب أن الطنبور غير العود) . كذا أنظر : الأصبهانى : محاضرات ، ج ٢ ، ص ٧٢١ .

(١٠٥) الجواليقى : المعرب ، ص ٢٧٣ . هذا ويصف أحد الشعراء الطنبور بقوله:

مخطف الخصر أجوف جيده نصف سائره
انطقته يد فتى فاتر اللحظ ساحره
فجلا عن ضميره ما حوى فى خواطره

النويرى : نهاية الأرب ، ج ٥ ، ص ١٢٥ . وقال غيره :

وطنبور مليح الشكل يحكى بنغمته الفصيحة عندليبا
روى لما ذوى نغما فصاحا حواها فى تلقيه قضيبا
كذا من عاشر العلماء طفلا يكون اذا نشا شيخا أديبا

ابن خلكان : وفيات ، ج ٥ ، ص ٣٤٧ . أما العمرى : « التعريف ، ص ٢١٥ » فيقول : (آلة لولاها لما حصل النفاق لدنانير ، ولا احتاج الطرب دخوله الى دستور الدساتير ، حسن موضوعا ، وتفرق كل طرب فيه وجاء مجموعا) .

(١٠٦) الخوارزمى : مفاتيح ، ص ٢٣٧ .

أو البغدادى — كما عرفه العراقيون — . والأخير يمتاز بطول عنقه ، وبأن حجمه أصغر من الخراسانى .

وإذا كان كل من الطنبورين مباين فى شكله وحجمه للآخر ، فإن فى كليهما قاعدة (زيبة) متشابهة ، يشد منها وتران متوازيان — فى الأشهر[١٠٧] — فيجوزان — فى تحزيزتين إلى أنف الآلة — حاملة تقع على وجه الآلة . ومنها يعدان إلى ملويين منصوبين على مكانين متوازيين من جانبى الآلة[١٠٨] .

هذا ، ومن أسماء وأصوات الطنبور مايلى :

التغبير : صوت كل آلة وترية — بما فيها القصب — .

الدريج : الطنبور أو اللون . وقيل ، هو آلة تشبهه .

الطنطنة[١٠٩] : صوت الطنبور والعود .

القطقطة : صوت كل آلة وترية — بما فيها القصب — .

الكنين : من أسماء الطنبور بلغة الحبشة .

الطنبارة : لغة فى الطنبور[١١٠] .

---

(١٠٧) يذكر الحسن بن أحمد : « كمال أدب ، ص ٥٤ » أن أهل عصره (ق ٧ هـ / ١٣ م) كانوا لا يشدون فى طنابيرهم من الأوتار غير اثنين أو ثلاثة (وغايتها عند القدماء عشرة . وقد يمكن فيها زيادة ، لكن يجب أن يستعمل فيها الاصطلاحات التى تستعمل فى العيدان ، لتحصل فيها نغم أكثر مما يحصل فى غيرها) .

(١٠٨) الفارابى : الموسيقى الكبير ، ص ٦٢٩ : ٦٣١ ، ص ٦٩٨ : ٦٩٩ .

(١٠٩) يذكر الراغب الاصبهانى : « محاضرات ، جـ ٢ ، ص ٧٢١ » أن صوت الطنبور (كطنين ذباب بروضة) .

(١١٠) راجع : الأدفوى : الامتاع . ق ١٢٣ ، النويرى : نهاية الارب ، جـ ٤ ، ص ١٤٣ ، ابن سيده : المخصص ، جـ ٤ ، ص ١٣ ، الجواليقى : المعرب ، ص ٢٧٣ ، الأصبهانى : محاضرات ، جـ ٢ ، ص ٧٢١ ، (قواميس اللغة العربية) .

أما مصدر شراء كل ماعرضناه من آلات الطرب ، فأسواقها . فقد كان بمصر — مثلا — سوق للمعازف ، تباع فيه (آلات الطرب من الطنابير والعيدان ونحوها)[١١١] .

وبعد ، فالذى يمكن أن نخرج به بعد كل ماعرضناه ، هو أنه إذا كان فريق من الناس قد حاولوا فى سابق العصور تحريم الغناء والطرب — وهو مالم يدل عليه نص ولاقياس ، —[١١٢] فإن ذلك كان (لعدم معرفتهم به ، وظنهم أن هذا الفن ليس هو غير مايقوله العامة من الغناء والطرب ، وليس هو كذلك ، وإنما هو علم مستقل بذاته — مشتق من العروض ، وفيه أراجيز ومصنفات نظم ونثر ، وهو فن صعب إلى الغاية ، لايصل إليه إلا من له عصبة مع معقول جيد وذكاء وحسن صوت —)[١١٣] ، وأنه ذا وظيفة بناءة .

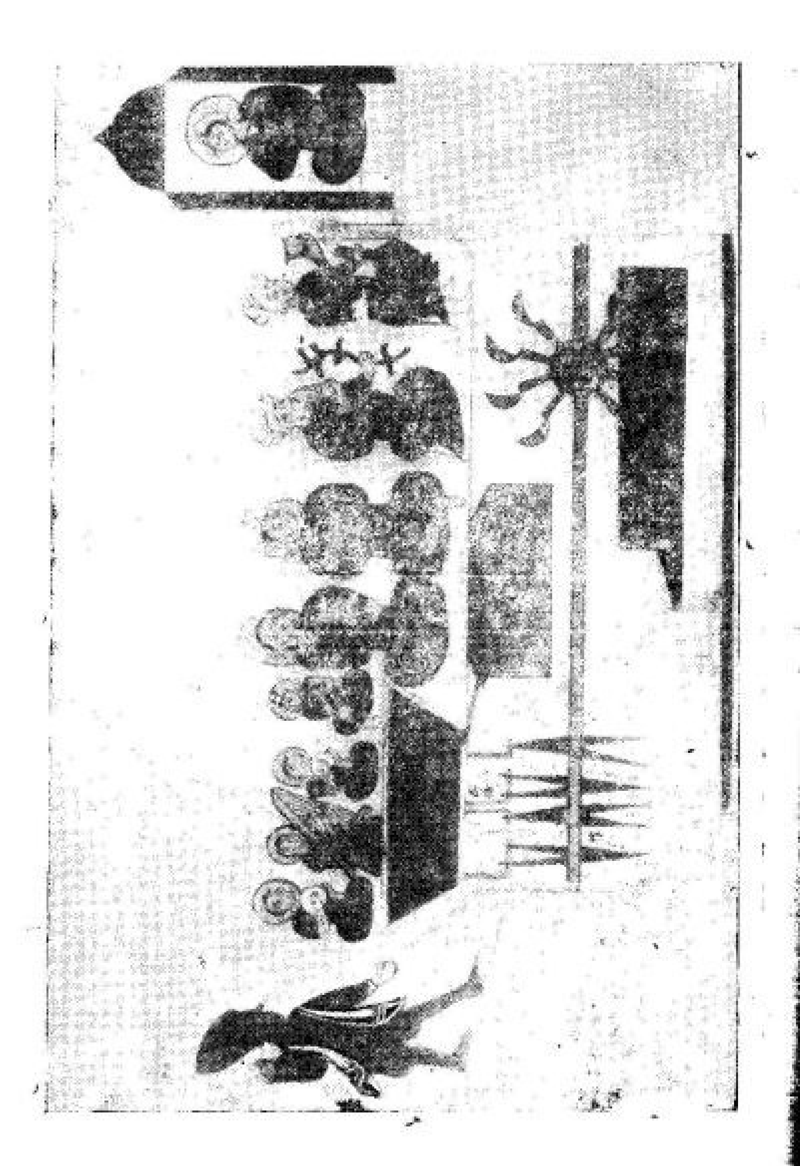
---

(١١١) المقريزى : خطط ، جـ١ ، ص ٢٧٩ . هذا ، ويذكر نفس المؤلف ، « فى ذات الجزء والصفحة » أن أهل القاهرة كانوا يزعمون أن من يسلك طريق سوق المعازف لا تقضى له حاجة ، وأن بعض الناس كان يقول أن ذلك (من أجل أن هناك الات النكر وأهل البطالة من المغنين والمغنيات ، وليس الأمر كما زعم ، فان هذا القول جار على ألسنة أهل القاهرة من حين دخل المعز اليها ، قبل أن يكون هذا الموضع سوقا للمعازف وموضعا لجلوس أهل المعاصى) . هذا ، مع ملاحظة أن سوق الانماطيين هو الذى كان سكنا لأرباب الملاهى . راجع : المقريزى : خطط ، جـ ١ ص ٣٧٢ .

(١١٢) راجع ـ مثلا ـ الغزالى : احياء ، جـ٦ ، ص ١٤٠ ، فما بعدها ، النويرى : نهاية الارب ، جـ ٤ ، ص ١٣٢ ، وعن آراء معارضة للغزالى . أنظر : ـ مثلا ـ ابن الجوزى : تلبيس ابليس ، ص ٢٢٢ .

(١١٣) ابن تغرى بردى : النهل : ترجمة محمد بن عيسى بن كر .

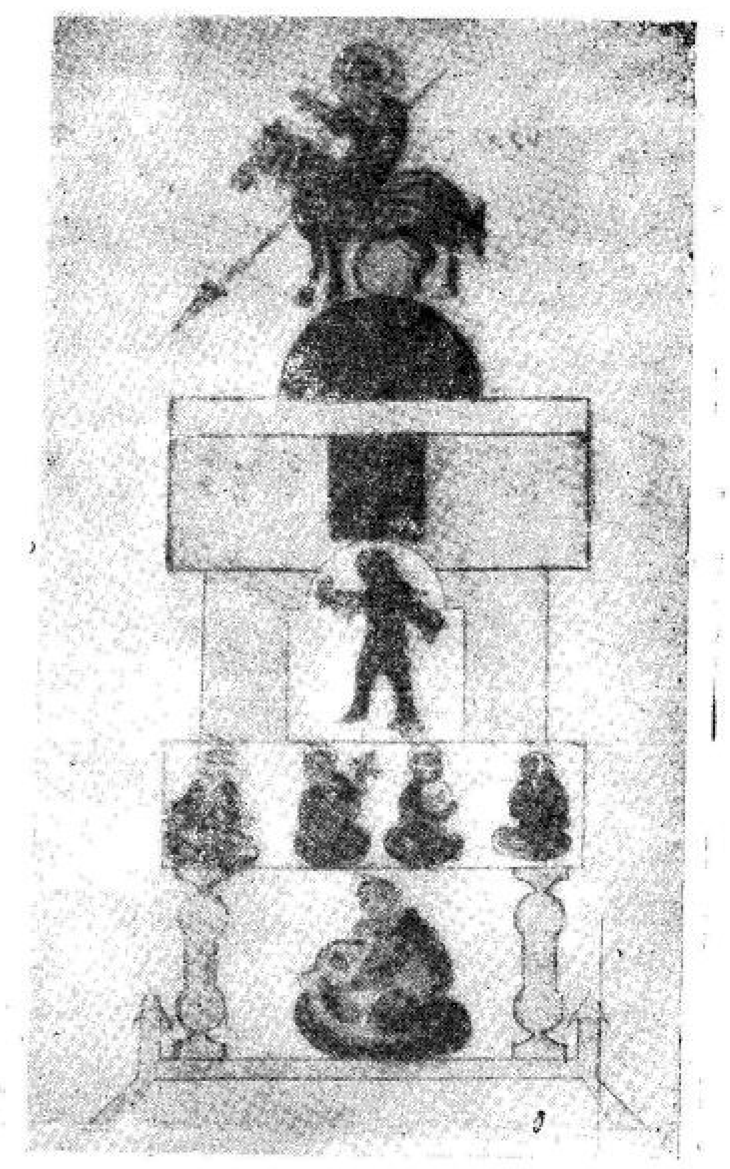
المصورات



شكل (١)

صورة لأحد أمراء المماليك ، وقد جلس على دكة مفروشة مع ضيوفه أو سامريه يستمعون للغناء والطرب المنبعث من مدففين وطبل وجنكى ، بينما تقدم الخدمة لهم كؤوس الشراب — التى تملأ من الباطية الموضحة — والرياحين معدا ، والملاحظ أن عمامة الأمير — الأسطوانية الشكل — تختلف شيئاً ما عن عمائم سامرية ، وتفترق تماماً عن عمائم الخدمة . أما محول ذراع الباطية ، فقد ارتدى سروالا قصيراً ، ووضع على رأسه زمطا أحمر اللون — فى الغالب —

ه لوحة مأخوذة عن ميكرو فيلم : الرزاز : الجامع بين العلم والعمل — رقم (٥) صناعة أطعمة — والمخطوط بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية ه . (ق ٧ هـ / ١٣ م)



شكل (٢) صورة لراقصة بالشقيفات ه وقد ارتدت سروالا ، ترقص على غناء وضرب زامر ومدفف وطبال وعواده بينما جلس آخر — فى أسفل الدكة — يضرب على الطنبور الخرساني .

ه لوحة مأخوذة عن ميكروفيلم : الرزاز : الجامع ، ق ٢٤٧ (رقم ٥ صناعة أطعمة) ه

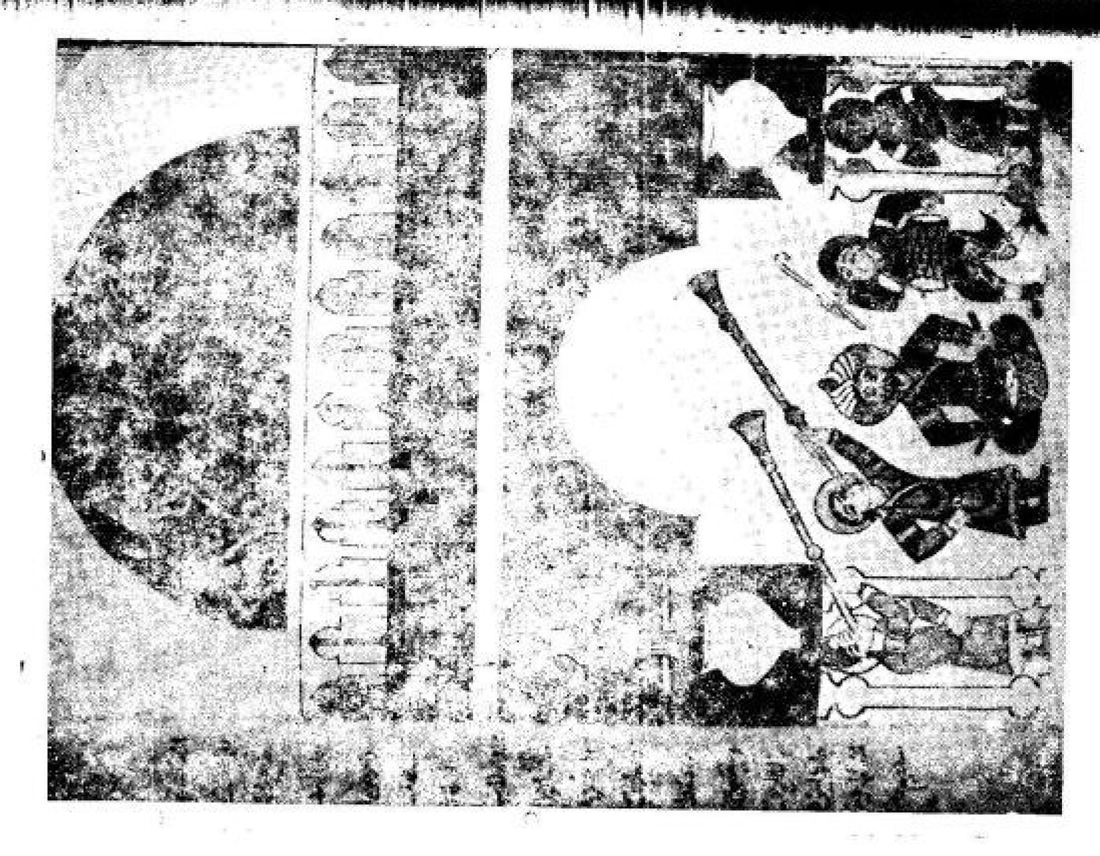


شكل رقم (٣)

صورة لضاربة ناى ، وأخرى لرجل يضرب على الطنبور الخرســانى — لاحظ طول عنقه — ثم ثالثة لراقصة ترقص بالشقيفات .

هذا ، والملاحظ أن هناك رعاية ومنزلة خاصة كان يتمتع بها الطنبورى ، وذلك لحلاوة صوت الطنبور ، وقلة العازفين عليه ، وبدليل شكل عمامة الضارب به ، ودكته المروشة وانفراده بالجلوس عليها ، وأنظر الشكل السابق .

(لوحة مأخوذة عن مكتبة بودليان — وأنظر أيضا : فارمر : مصادر الموسيقى ، ص ٣٧) .



انظر التعليق الوارد فى الصفحة التالية :

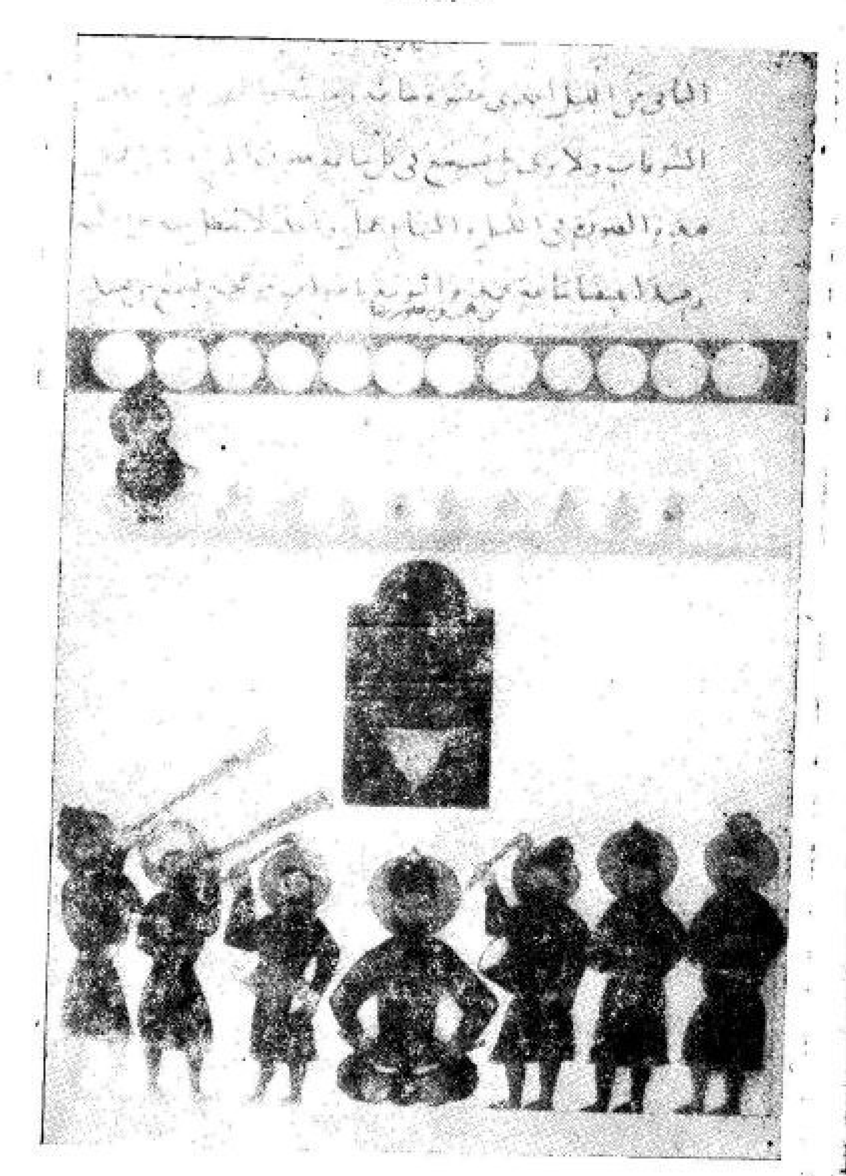
شكل (٤) صورة النوبة (خمسة أفراد)

وقد جلس رئيسها، وسطها يضرب بمقرعتين على نقارة، بينما وقف من على يمينه شخصان يضربان ببوقين، ومن على يساره آخران، أحدهما يضرب على طبلة ذات وجهين والآخر كوسى. هذا، والملاحظ أن رئيس النوبة ملتح وأن شكل عمامته وملبسه تختلف عن بقية أفراد النوبة، وأن ملبس وعمامة ضارب البوق الأول تختلف عن الثانى.

ومع ذلك، فقد زودت جميع أكمام أفراد النوبة بالطرز إلى جانب وشاح رئيس النوبة والبوقى الأول من على يمينه. أما حركة الطبال، فقد كشفت عن سرواله الذى ارتداه من تحت قبائه.

ومن جهة أخرى، فالملاحظ أن البوابة التى جلس تحتها أفراد حزب النوبة تحمل رنك صاحبها.

• لوحة مأخوذة عن ميكروفيلم : الرزاز : الجامع، ق ١٦٩ . (النسخة رقم (٢) — أطعمة) والمحفوظة بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية •.



انظر التعليق الوارد فى الصفحة التالية :

شكل (٥) صورة ثانية للنوبة (سبعة أفراد)

وقد جلس رئيسها فى وسطها يضرب على النقارتين ، بينما وقف من على يمينه طبال وضاربى بوقين ، ومن على يساره طبال ، فكوسين . هذا ، ونلاحظ أن جميع الأفراد ملتحون ، وأن ملابسهم مزخرفة ومزودة بالطرز والأوشحة . ومع ذلك فعمائمهم مختلفة ، الأمر الذى يؤكد أن وقوفهم يتفق ورتبهم . كذلك يلاحظ أن البوابة تحمل رنك صاحب القصر (نسر وكأس)

« لوحة مأخوذة عن ميكرو فيلم : الرزاز : الجامع ، ق ٧٤ ، النسخة (٥) صناعة أطعمة ، والمحفوظة بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية » .



شكل (٦) صورة أخرى للنوبة

« لوحة مأخوذة عن ميكرو فيلم : الرزاز : الجامع ، ق : ١٤ — عن النسخة رقم (٥)

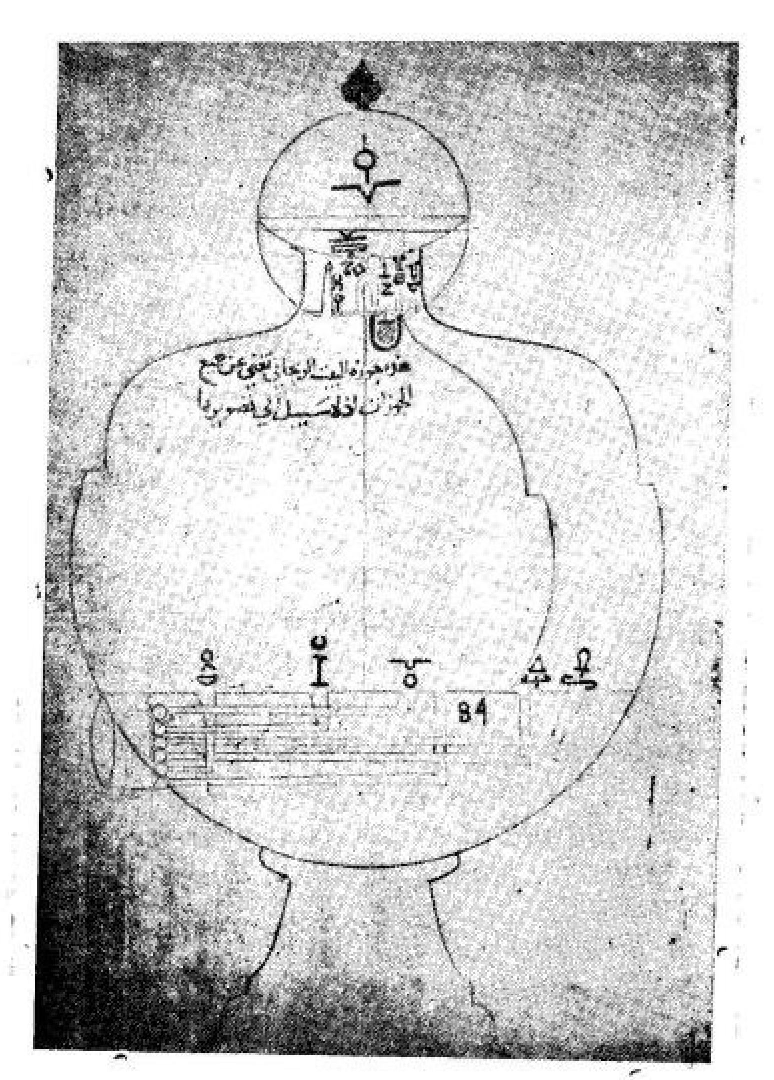
شكل (٧) صورة ملاح يضرب بالسرناي على زورقه

هذا ، والملاحظ أنه قد ارتدى قميصا قصيرا زودت أكمامه بالطراز



شكل (٨) صورة الباطية

ولوحة مأخوذة عن ميكروفيلم ، الرزاز ، الجامع ، ق ٨٣ —



شكل (٩) صورة الباطية من الداخل

« لوحة مأخوذة عن ميكروفلم « الرزاز : الجامع » ق ٧٩ —



شكل (١٠) صورة النديم

« لوحة مأخوذة عن ميكروفيلم : الرزاز : الجامع ، ق ٧٨ —
عن النسخة (٢) صائبة »



شكل (١١) صورة الساقي

• لوحة مأخوذة عن ميكروفيلم : الرزاز : الجامع ، ق ٧٢ —

على صبكم يا أهل الحمى ترفقوا ، ومن وصلكم يوماً عليه تصدقوا

ولا تشغلوا بالصدود فإنه يحاذر أن يسلو الكرى فتشفقوا

شكل رقم (١٢)

— أبجدية صوتية لأغنية —

(من كتاب « الأدوار » لصفي الدين بن عبد المؤمن ، ق ٩٣ —

مخطوط بدار الكتب المصرية)

١٦٥

وهذه صفته

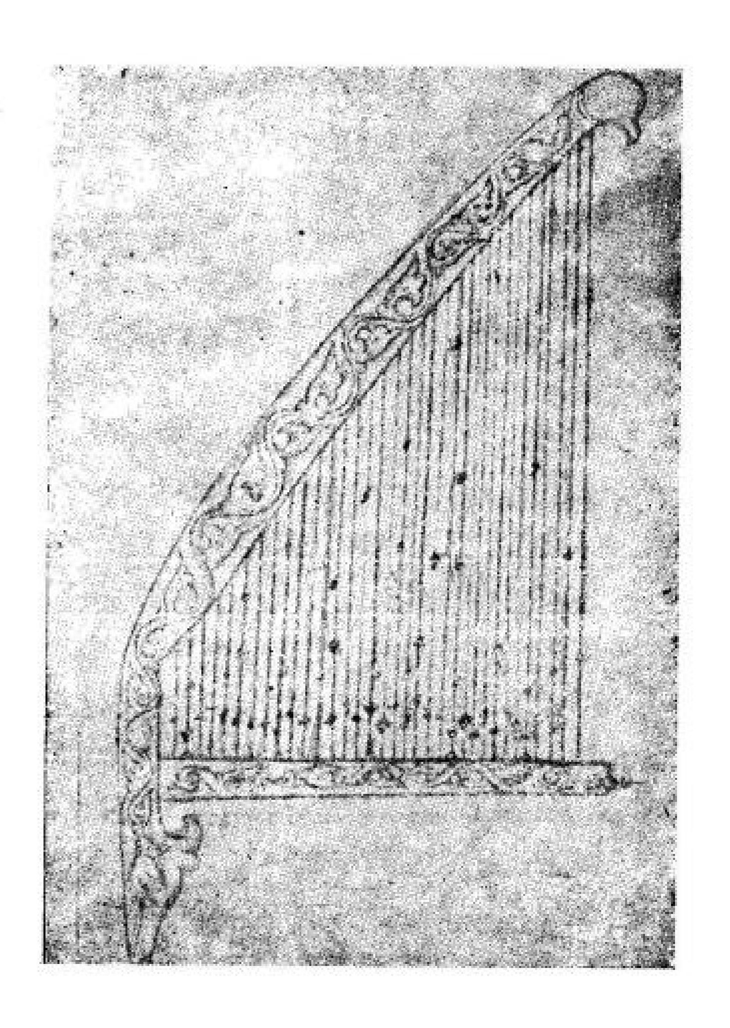


شكل (١٤) الجنك

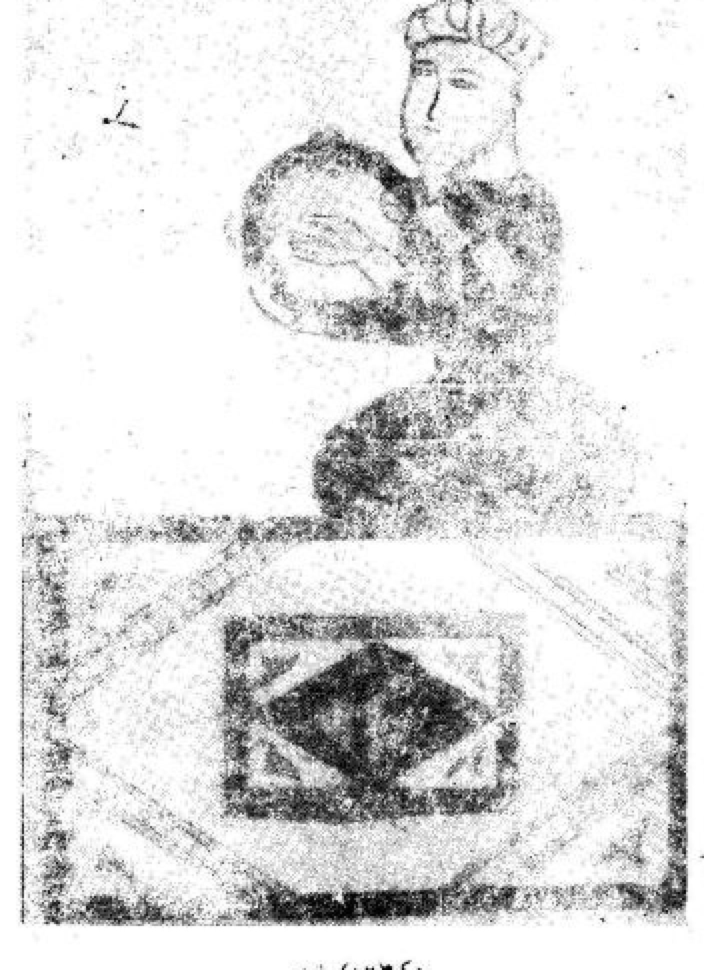
شكل (١٣) العواد

صورة عواد ملتح بلحية خفيفة ، وقد وضع على رأسه عمامة ، وارتدى قباء مزخرفاً روضي أكمامه بالطراز ، ثم جالس على بساط مزخرف بأشكال هندسية (١٠ و ٥٩ / ١٥ م).

وهذه صفته



شكل (١٥) جنك آخر
(من كتاب الأدوار لصفي الدين عبد المؤمن)
(ق ٧ هـ / ١٣ م)



شكل (١٧) الد



شكل (١٨) الشبابة



شكل (٢٠) الشبيبة

([illegible] : كشف الهموم ، ق ٣٣٤)

فالأولى بتعليم جاريتي أنت تراعطاه واكرمه
وأمره أن يضرب بحضرته فجلس يضرب بين يديه
وهذه صفته

شكل (١٩) الرباب



شكل (٢١) حزب الطرب

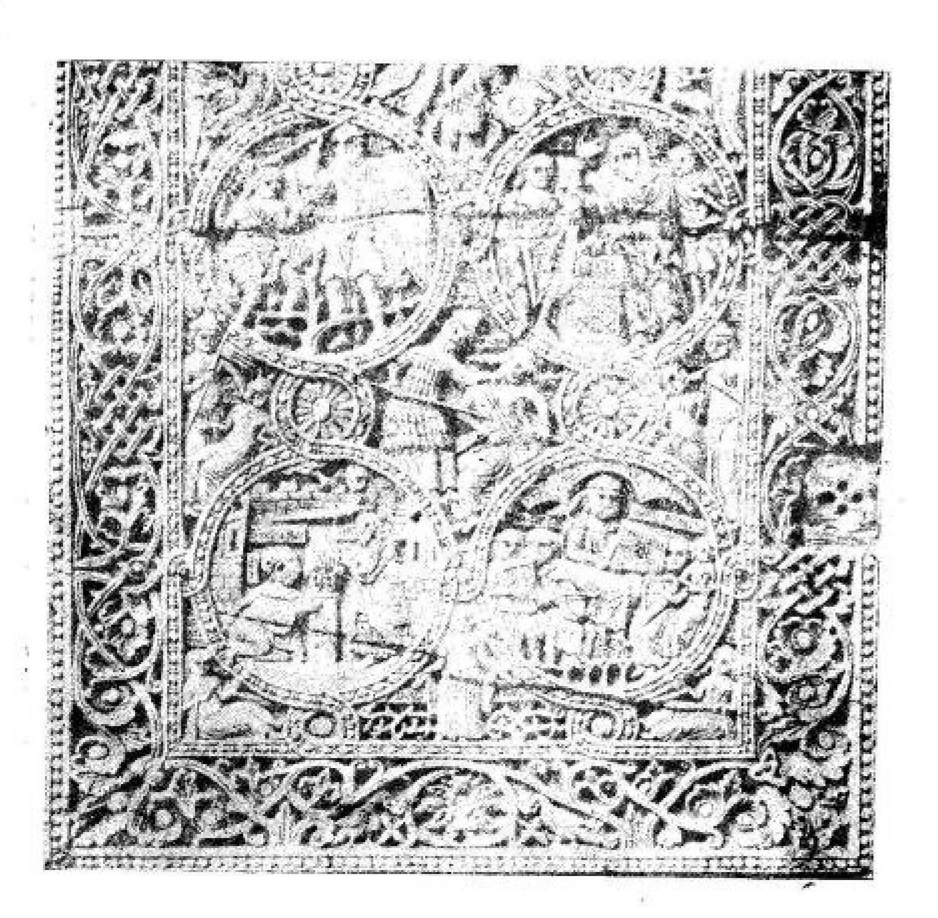
ثلاثة أفراد يضربون بشبابات ، وثلاثة بدفوف ، ثم رئيسهم الجالس بدف في أعلى الدائرة .

شكل (٢٢) حامل صينية

وعليه صورة امير جالس وسط خدمه وسقاته ، ومن حوله مغنون وآلاتية يضربون بالعود والدف والجنك وبالصكاف وغيره ، بينا ترقص على الإيقاع بعض الراقصات اللاتي ارتدين السراويل

(Kalbd Jian)

ملحق



شـكل رقم (٢٣)

غلاف كتاب ترتيل للملكة مليزند (ق ١٢ م ، فلسطين ، عمل رجل صليبي من أحدى الولايات الفرنسية) و ظهر في أسفل تصاويره - إلى جانب بعض الأسلحة الغربية والبيزنطية ، والسمة الاسلامية - آلات الطرب العربية ، وصور العازفين بها والراقصات على أنغامها (المتحف البريطاني) .

ملحق منقول من مخطوطة

«كشف الهموم والكرب فى شرح آلة الطرب[1]»

[١٤١ ب] حكاية : كما حكى عن الملك الكامل[2] بالديار المصرية أنه أهدى إليه جارية تلعب بالكنكجا اسمها نزهة القلوب ، لم يكن فى زمنها أحسن منها وجهاً، ولا أطيب نغمة،[3] ولا أقوى صنعة .

فأراد الملك أن يستحق صناعتها ، ليرى [١٤٢ ا] خبرها ، ويدرى صنعتها ، ويعرف أمرها . فعُرض عليه جميع من يضرب بالكنكجا من سائر

---

(١) ميكروفيلم بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية رقم (٣٨ موسيقى) ٠ هذا ، وقد قام المؤلف بتحقيق هذا الملحق ، ولم يكتف بنشره ٠

(٢) هو الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب (ت ٦٣٥ هـ / ١٢٣٨ م) راجع ـ مثلا ـ ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ٦ ، ص ٣٠١ ـ ٣٠٢ ، سنة ٦٣٥ هـ ٠

(٣) المعروف أن النغمة صوت لابث زمانا محسوسا على حد من الحدود ، من الحدة والثقل ، وأن لكل نغمة ضد من الحدة والثقل (فأسباب الثقل طول الوتر ، وارخاؤه ، وغلظه ، وسعة الثقب فى الآلات ذوات النفخ ، وبعدها من فم النافخ ٠ وأسباب الحدة قصر الوتر ودقته وتزبيره وضيق الثقب وقربه من فم النافخ) ، وأن الصوت يتقدم على النغمة ، وأن لا نغمة الا بصوت ولا صوت الا بقرع ، ولا أصوات مؤتلفة الا بنغم ، وأن النغم الذى يحدث من الأوتار عندما تهتز ، انما يحدث نتيجة تموج الهواء حول الأوتار ثم نفاذه الى تجويفات ومنافذ الآلة ، فاذا انحصر فيها أحدث دويا ٠ عبد المؤمن : أدوار الايقاع ، ق ٤ : ٦ ، الرسالة الشرفية، ق٢ ، مخطوطة: زين الألحان ، ق ٤ ، الروضة الغناء ، ق ١٣، العاملى : الكشكول ، جـ ٢ ، ص ٤٤ ٠ ابن سينا : رسالة فى الموسيقى ، ص ٤٠٦ ، الحسن بن أحمد : كمال أدب ، ص ٤١ ، ابن

الصناع ، وجميع الأستاذين السمين فى [الـ][4] صناعة ، وهو يحضرهم لتلك الجارية ويعرضها عليهم .

فأى من جلست الجارية بين يديه يقول لها : « اضربى بهذه الآلة حتى أسمع » ، فتضرب على وتر من الأربعة[5] ، ثم تستقبل الضرب وتبتدىء فى ضرب الوتر الثانى .

فتحير ذهن المعلم منها ومن رقة أياديها[6] ، وقوة صنعتها ، وحسن معرفتها ، وطيب نغمتها ، ويعجب منها ، فيقول له الملك : « أما ترسمها إلى الصنعة ، وتفهمها طريق المعرفة فى فن [١٤٢ب] الفنى ، وحسن مسك الآلة ، وأنا أنعم عليك وأرضيك » ؟ فيقول ذلك الرجل : « أيها الملك ، إنها كاملة فى صنعتها ، لا تحتاج إلى من يعلمها ، ولا تطلب من يرسمها ، فما رأيت فيها عيباً يذكر ، وقد كمل الله حسنها ، وأعطاها فهماً وعلماً يزينها » .

فما زالوا على ذلك ، لا يزيدون على ذلك القول شيئاً ، حتى أتى من أرض الشرق رجل يضرب بجميع الآلة كلها يسمى محمود الكندى ، قد لحق بن

---

(٤) ما بين الحاصرتين اضافة يتطلبها السياق .

(٥) اى انها تضرب على الوتر الاول من اوتار الكمنجة الاربعة .

(٦) قيل ان اصل الطرب (نعومة النغم وحسنه ورقة حاسية الانامل ورطوبتها فى الضرب) المشهدى : كشف الهموم ، ق ١٠٩ ب هذا ، ويقول سيف الدين المشد :

ومطـــرب قـــد رأينا فى أنامله .:. سـبابة لسرور النفس أهلهـــا
كأنه عاشـــق وافت حبيبتـــه .:. فضـمها بيـــديه ثم قبلهـــا

اشتغل على الفارابى[7] ، ونقل عنه العلم ، وحفظه منه .

فلما دخل أرض مصر اجتمع بكبارها ورؤسائها ، ولا بقى حاجب ولا [١٤٣ا] أمير ، ولا نائب ، ولا وزير حتى اجتمع به وسأله عن مسائل وامتحنه فيها . فرآه كامل الصنعة ، ينقل بالأصول لا بالجهل و كثرة الفضول . قد كمل الله فيه أربع : عقل رجيح ، ولسان فصيح ، ووجه صبيح ، وعلم صحيح . فلا زال يتصل من ناس إلى ناس ، حتى بلغ خبره إلى الملك الكامل الذى عنده نزهة القلوب . فلما سمع به ، طلبه ، فحضر بين يديه . فعرض[8] الجارية عليه . فقال : « اجلسى » . فجلست بين يديه . فقال : « اضربى بهذه الآلة حتى أبصر حالك فيها كيف يكون » ؟ . فضربت بالكمنجا وهو [١٤٣ ب] ينظرها . فتأملها طويلا ثم قال لها : « من علمك هذه الصناعة ؟ » ، ليس هذا النقل[9] الذى تنقلينه نقل أهل مصر ولا ضربهم ! ، لكن قوة صناعتك ، ورقة أياديك ، ومعرفتك وفهمك ، يديرك إلى طريق هؤلاء القوم الذين هم سالكوها ، ولولا ذلك ما سلكت[10] طريقهم . فأخبرينى من أين تعلمت[11] ، ومن علمك » ؟ .

قالت : « تعلمت بأرض الشرق ، وانتقلت إلى العراق فسكنت البصرة ، وأقمت بها مدة سنين ، فتعلمت فيها أيضاً ، وقويت مما كنت [١٤٤ا] فيه من

---

(٧) هو ابو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن ازلغ الفارابى (ت ٣٣٩ هـ) . ومن اعظم كتبه فى الموسيقا كتاب : « الموسيقى الكبير » حققه : غطاس عبد الملك (ط . بمصر سنة ١٩٦٧) .

(٨) فى الاصل (فاعرض) .

(٩) النقـــل : هو الانتقال . قد يكون من نغمة الى نغمة او من بعد الى بعد او من جنس الى جنس . عبد المؤمن : الادوار ، ق ٤٠ ، الحسن بن احمد : كمال ادب الغناء ، ص ٧٣ .

(١٠) فى الاصل (سلكتى) .

(١١) فى الاصل (تعلمتى) .

الصنعة ، ثم انتقلت إلى مصر ، فهأنا مقيمة بها ؛ ولسيدى — هذا الملك — مدة طويلة يعرضنى على جميع أهل الطرب ، واحد بعد واحد ، فأى من سمعنى منهم يقول : « هذه الجارية كاملة الصنعة ، ما تحتاج إلى من يعلمها . فأهمل سيدى أمرى ، وتركنى بغير تعليم » . قال : « فمن علمك فى الشرق بداية ، ومن علمك فى العراق بعده » ؟ . قالت : « علمنى فى الشرق بداية إبراهيم العسكرى ، كان تاجراً بتوريز[١٢] . له مال جزيل ورزق كثير [١٤٤ ب] . وكان يحب الطرب ، ويهوى سماعه ، فأنفق فيه مالا كثيراً حتى تعلمه . فلما اشترانى حسنلنى الله بباله ، فكان يجهد فى تعليمى آناء الليل وأطراف النهار حتى علمنى ، وغرم على شيئاً كثيراً ، حتى كملت صنعتى .

فلما انتقلت إلى أرض البصرة ، سمع بى خليفة بغداد ، فطلبنى من سيدى ، فوهبت إليه ، ومعى شىء كثير برسم التقدمة للخليفة[١٣] فلما حضرت بين يديه رآنى أقول أقوالا مطربة[١٤] ، وأنشد أشعاراً غريبة » . فقال : « أتدرين شيئاً من [١٤٥ أ] الطرب » ؟ فقلت : « نعم » . فقال : « أى آلة تضربين بها » ؟ فقلت : « أضرب بالكنجا ، فشترى لى كنجا ، وجلب[١٥] لى المعلمين ، فحاروا فى النقل الذى أنقله ، وقصدوا أن يغيروه ، فأفسدت صنعتى ، وتغيرت طباعى ، ونقص الضرب منى ، فقالوا كلهم : « لا تغيروا هذه الجارية عما هى فيه . فصاروا يعلمونى الطريق الذى لهم ، وأنا ماسكة لهم الضرب ، أغنى بما يقولون من قصائدهم وأقوالهم على تلك الآلة ، حتى قويت طباعى واشتدت [١٤٥ ب] وازددت عما كنت فيه .

(١٢) توريز : هو الاسم الذى كان جاريا على ألسنة العامة للدلالة على مدينة تبريز ، أشهر بلدة بأذربيجان . هذا ، ويقال انه كان لأهلها (الأموال المديدة ، والنعم الوافرة) . القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٤ ، ص ٣٥٧ .

(١٣) الراجح انه الخليفة المستنصر بالله أمير المؤمنين (ت ٦٤٠ هـ / ١٢٤٣ م) .

(١٤) فى الأصل : (مطربة) .

فأهدانى الخليفة إلى مالكى هذا ، الذى أنا مقيمة عنده[١٦] ، فطلب الصناع ليعرفونى طرائقهم ، فوجدنى أنقل نقلا أعجبهم ، فأثبتوه عندهم .

والجميع يقولون[١٧] : « هذه كاملة الصنعة » . فما ترى أنت فيه المصلحة فدلنى عليه » .

قال : « فلما سمع محمود كلامها ، أطرق إلى الأرض ، ثم رفع رأسه إليها وقال : « تموزين فى الصنعة كثير » . قالت : « كيف ذلك » ؟

قال : « الذى يرأوك تنقلين هذا النقل عجبوا من صناعتك ، وغاب [١٤٦ أ] عنهم خبرك ، لأن أصل هذه الصناعة علم وعمل[١٨] ، فأنت[١٩] تعملين باليد ، قليلة الصنعة بالحساب ، يبعد عليك مخرج الأنغام من الآلة ، ومدارها[٢٠] على الطرب حتى يكمل معك أصل الصنعة . وإلا فأنت[٢١] عاجزة عما تلقيه . فاريني الطريقة[٢٢] التى أنت[٢٣] تمشين[٢٤] عليها ، حتى أنقل عندك ، وبيان قوة صناعتى بين يديك » .

(١٦) الراجح ان هذه القينة ، كانت قد قدمت على الملك الكامل محمد فى سنة (٦٢٩ هـ / ١٢٣٢ م) صحبة رسل الخليفة اليه بالخلع والتقليد بالملك . وعن ذلك ، راجع — مثلا — المقريزى : السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص ٢٤٢ ، سنة ٦٢٩ هـ ، ابن أيبك : الدر المطلوب ، ص ٣٠٥ .

(١٧) فى الأصل (يقولوا) .

(١٨) راجع : الفارابى : الموسيقى الكبير ، ص ٤٨ ، الحسن بن أحمد : كمال أدب ، ص ٣٣ — ٣٤ ، وما سبق ، ص ١٤١ .

(١٩) فى الأصل (فانتى) .

(٢٠) يقصد مدار الانغام .

(٢١) فى الأصل (فانتى) .

(٢٢) فى الأصل (الطريق) .

(٢٣) فى الأصل (انتى) .

(٢٤) فى الأصل (تمشى) .

قالت : « الآن يظهر بين يديك ، فأمهل ولا تعجل ، حتى يأتى وقت يكون فيه خلوة للملك ، وأنا أنقل بين يديك ، بحضرة سيدى [١٤٦ ب] ، حتى يكون مشاهد لفعلنا » .

قال : « فجاء عند الملك من يعز عليه من أصحابه » ، فقال لذلك الرجل : « الليلة هذه عندى دعوة ، وأريدك تكون عندى تضرب فى حضرتى » .

فقال : « سمعاً وطاعة » . فلما كان فى تلك الليلة ، حضر عند الملك جماعة من أصحابه — وهم خواص مملكته — ، وحضر محمود الكندى بينهم .

فقال له الملك : « سمعت أنك تضرب بجميع الآلة كلها ، وأنا أريد منك أن تضرب فى حضرتى بالكمنجا [١٤٧ ا] ، حتى أتفرج فيك ، وأبصر حسن أياديك ، وأعرف قدرك وأعلم بعلمك وفهمك » . فقال : « حباً وكرامة » . ثم أخرج الكمنجا ووضعها على ركبته ، وهز أصابعه عليها ، وحرك أياديه ، وشرع يغنى بصوته ، حتى عجبوا ــ القوم ــ منه ، وخيل للناظرين والحاضرين أن المجلس الذى هم فيه يرقص من قوة الطرب ، فضرب ثانياً .

قال ناقل الحديث : « وكان فى ذلك الوقت على شراريف القصر عصفور يسمع ذلك [١٤٧ ب] الطرب ؟ فلما ضرب بها ،[٢٥] واشتد الضرب ، نزل العصفور من على الشرافة ، وصار فى وسط المجلس ينقل خطاه صوب الطرب ، وهم ينظرون .

وكان بين أيديهم باطية[٢٦] مملوءة من الخمر ، فصعد العصفور على الطاسة ،

(٢٥) يقصد الكمنجة .

(٢٦) الباطية : خزانة شراب على شكل القدر ، كان يصب فى داخلها من أعلا ألوان مختلفة من الأشربة والماء . وكانت توضع فى طرف مجلس الشراب . والجدير بالذكر أن هذه الخزانة كانت تحمل على كعب ارتفاعه شبر ونصف من الأرض ، وعليها غطاء

وجعل ينقرف بمنقاره حتى اكتفى[٢٧] . وصار كلما ضرب الرجل بالكمنجا يرفرف العصفور بجناحيه[٢٨] ويرقص . والملك والحاضرون[٢٩] يقولون : « هذا هو الطرب » .

ثم قال له الملك : « أقم عندى [١٤٨ ا] فالأولى بتعليم جاريتى أنت » ، ثم أعطاه وأكرمه ، وأمره أن يضرب بحضرته ، فجلس يضرب بين يديه .

= يؤخذ عن طريقه الوان الشراب أو الماء القراح . وشكل هذا البزال على صورة بقرة لطيفة . وعلى ظهر البقرة رجل جالس يشير باصبعه الى اسم شراب من الأشربة المكتوبة على القرص الذى يشير اليه ، ذلك أن هذه الخزانة كانت مقسمة من الداخل ــ فى الغالب ــ الى خمسة بيوتات ، البيت الأول : يحتوى على الشراب الريحانى الصرف . الثانى : يحتوى على ماء صرف قراح . الثالث : يحتوى على شراب مورد اللون صرف. الرابع : يحتوى على شراب أصفر اللون صرف . الخامس : يحتوى على شراب أحمر اللون صرف . فاذا أراد الساقى ــ مثلا ــ أن يملأ كأسا صرفا من الشراب الريحانى أدار القرص بحيث تأتى كلمة الريحانى أمام اصبع الرجل الجالس على ظهر البقرة ، فعندئذ تتحرك الجوزة المتصلة بالقرص والمتحكمة فى جريان ذلك النوع من الشراب ، فيندفع فى انبوبه الى البزال (فم البقرة) . أما فى العصر المملوكى ، فقد أفرد للشراب بيت خاص ، عرف فى المصطلح باسم (الشراب خاناه) . راجع : الرزاز : الجامع ، ق ٩٢ ب ، فما بعدها ، ق ١٩٦ : ٩٦ ب ، وانظر صورتها (شكل رقم ٩) .

(٢٧) فى الأصل (اكتفا) .

(٢٨) فى الأصل (باجنحيه) .

(٢٩) فى الأصل (والحاضرين) .

المراجع

المراجع

أولا ـ المخطوطات :

ابن سيار الوراق (أبى محمد المظفر ابن نصر) (٧ هـ / ١٣) :

الطبائخ أو الوصلة إلى الحبيب ليستغنى به عن جهل الطبيب وإصلاح الأغذية المأكولات وطيب الأطعمة .

(ميكروفيلم بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية [١٠] صناعة أطعمة) .

ابن سينا (أبو على الحسين بن عبد الله) (ت ٤٢٩ هـ) :

مدخل إلى صناعة الموسيقا

(مخطوط بالمتحف البريطانى رقم 2361 . or)

ابن الطحان (أبى الحسن محمد بن الحسن) (ق ١٤ م)

حاوى الفنون وسلوة المحزون

(مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم [١٣٦٢ م] موسيقا)

ابن منكلى (محمد) (٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م) :

ـ الحيل فى الحروب وحفظ المدائن والدروب

(ميكرو فيلم بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية رقم [١٦٩] فروسية) .

- التدبيرات السلطانية فى سياسة الصناعة الحربية

(مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٦٣٣٧) .

- الأدلة الرسمية فى التعابى الحربية .

(ميكرو فيلم بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية رقم [١] فروسية) .

الأدفوى (كمال الدين أبى الفضل جعفر بن ثعلب) (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) :

الأمتاع بأحكام الأسماع

(مخطوط بدار الكتب المصرية رقم [٣٦٨] تصوف) .

الأقصرائى (محمد بن عيسى الحنفى) (ق ١٥ م) :

نهاية السؤل والأمنية فى تعلم أعمال الفروسية

(رسالة دكتوراه مقدمة من : نبيل محمد عبد العزيز إلى : كلية الآداب ، جامعة القاهرة سنة ١٩٧٢) .

جمال الدين حسين بن أحمد :

روضة المستهام فى علم الأنغام

(ميكرو فيلم « ضمن كتاب فى معرفة النغماء والمدوك ... » بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية رقم [٤٢] موسيقا)

الحداد المصرى (أبى الحسن على بن محمد) :

حديقة النادمة وطريقة المنادمة

(مخطوط بدار الكتب المصرية رقم [٧٤] أدب) .

الرزاز (بديع الزمان أبى العز بن إسماعيل الجزرى) (٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م) :

الجامع بين العلم والعمل النافع فى صناعة الحيل

(ميكرو فيلم بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية رقمى (٢ ، ٥) صناعة أطعمة) .

سعودى إبراهيم المصرى الشافعى (ق ٧ هـ / ١٣ م) :

زهرة الحديقة فى علم الموسيقا

(مخطوط بدار الكتب المصرية رقم [٤٤] موسيقا تيمورية) .

السقا (الغالى إبراهيم) :

بلوغ المقصود ، مختصر السعى المحمود فى تأليف العساكر والجنود .

(مخطوط بدار الكتب المصرية رقم [٣١] فروسية تيمورية) .

عبد المؤمن (صفى الدين بن فاخر الأموى) (٦٩٣ هـ / ١٢٩٤ م) :

- الأدوار فى علم الألحان

(مخطوط بدار الكتب المصرية رقم [٩] موسيقا تيموريه) .

- الرسالة الشرفية فى النسب التأليفية .

(ميكرو فيلم بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية رقم [١٤] موسيقا) .

عبد المؤمن البغدادى :

أدوار الإيقاع فى معرفة النغم

(مخطوط بدار الكتب المصرية رقم [٥] موسيقا تيمورية) .

الغزالى (أبو حامد) :

بوارق الألماع فى الرد على من يحرم السماع (مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٢٦ مجاميع تيمورية) .

الفاسى (عبد الرحمن بن الذئب) :

الجموع فى علم الموسيقى والطبوع

(مخطوط « ملحق بكتاب كشف الهموم والكرب » بالمكتبة الأزهرية رقم [٧٢٠٨] أباظة) .

الكردى (عبد القادر الكلالى الحسين) :

كشف الغمة فى بيان حرب النظام حق على هذه الأمة

(مخطوط بدار الكتب المصرية رقم [٩٥] فروسية تيمورية) .

المشهدى (محمد بن على بن أحمد بن عبد الرحمن الأنصارى) (ق ١٥ م) :

كشف الهموم والكرب فى شرح آلة الطرب [١]

(ميكرو فيلم بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية رقم [٣٨] موسيقى) .

المقدسى (عز الدين عبد السلام بن أحمد بن غانم) (ت ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م) :

حل الرموز ومفاتيح الكنوز

« مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم [٢٦٣٣٠] » .

ناصر الكلبي العودى (ق ١٢ م) .

بلوغ الأوطار فى بيان ترنم الأوتار فى علم الموسيقا

(مخطوط بدار الكتب المصرية رقم [١٢] موسيقا تيمورية) .

مجهول : الروضة الغناء وأصول الغناء

(ميكرو فيلم بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية رقم [٣٧ / ١] (إسكوريال) .

مجهول : زين الألحان فى علم تأليف الأوزان

(مخطوط بدار الكتب المصرية رقم [٦٨] موسيقا تيمورية) .

---

(١) اعتمدنا فى نسبة هذه المخطوطة للمشهدى على النسخة الثانية منها ، والمخطوطة بالمكتبة الأزهرية [رقم ٧٢٠٨ أباظة] ، وهى نسخة خالية من اللوحات .

مجهول : كتاب فى معرفة الغناء والملوك والطرب

(ميكرو فيلم بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية رقم [٤٢] موسيقا) .

ثانياً : المصادر المطبوعة :

الأبشيهى (شهاب الدين أحمد) ٨٥٠ هـ / ١٤٤٦ م

المستطرف فى كل فن مستظرف

(مصر ١٧٢٩ هـ / ١٨٦٢ م) .

ابن سعيد الأندلسى :

النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة .

القسم الخاص بالقاهرة من كتاب : « المغرب فى حلى المغرب »

تحقيق : حسين نصار .

(مصر ١٩٧٠)

الأدفوى (كمال الدين جعفر بن ثعلب) (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م)

الطالع السعيد

تحقيق : سعد محمد حسن

(مصر ١٩٦٦) .

الأربلى (البدر) :

أرجوزة الأنغام

نشرها عباس العزاوى

(بكتاب الموسيقا العراقية)

(بغداد ١٢٧٠ هـ / ١٩٥١م) .

الأصفهانى (أبو الفرج على بن الحسين بن محمد القرشى) ٢٨٤ : ٣٥٦ هـ .

الأغانى

(مصر ١٣٩٠ / ١٩٧٠) .

الأصفهانى (العماد الكاتب) (٥١٩ : ٥٩٧ هـ / ١١٢٥ / ١٢٠٠ م) :

الفتح القسى فى الفتح القدسى

تحقيق : محمد محمود صبح

(مصر ١٩٦٥)

ابن أبى أصيبعة (موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم) :

عيون الأنباء فى طبقات الأطباء

(مصر ١٢٩٩ هـ / ١٨٨١ م) .

ابن الأثير (عز الدين أبى الحسن على بن أبى المكارم محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيبانى) :

الكامل فى التاريخ

(ط . بيروت)

ابن إياس (محمد بن إياس الحنفى) :

بدائع الزهور فى وقائع الدهور

تحقيق : محمد مصطفى

(مصر ١٩٦٠ - ١٩٧٥) .

ابن أيبك الدوادار (أبى بكر بن عبد الله) :

جـ ٧ كنز الدرر وجامع الغرر

ـ الدر المطلوب فى أخبار بنى أيوب

تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور

(مصر ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م)

ـ الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر

تحقيق : هانس روبرت رويمر

(مصر ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م)

ـ جـ ٨ ، الدرة الزكية فى أخبار الدولة التركية

تحقيق : أولرخ هارمان

(مصر ١٣٩١ هـ / ١٩٧١)

ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتى) :

الرحلة ، المسماة : تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار

(بيروت ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م) .

ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن بن يوسف) :

ـ النجوم الزاهرة فى أخبار ملوك مصر والقاهرة

(مصر ١٩٥٦ ـــ ١٩٧١)

ـ المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى

جـ ١ ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتى

(مصر ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م) .

ابن تيمية (تقى الدين أبى العباس أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام الحرانى الدمشقى) (ت ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م) :

كتاب السماع والرقص

« جمعه الشيخ محمد بن المبيجى »

(مصر ١٣٢٣ هـ/١٩٠٥ م)

ابن جبير (أبى الحسين محمد بن أحمد جبير الكنانى الأندلسى البلنسى) :

الرحلة

(مصر ١٩٠٧)

ابن الجوزى (جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن) (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) :

تلبيس إبليس

(بيروت ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٨ م)

ابن الحاج بى عبد الله محمد بن محمد العبدرى) .

المدخل

(مصر ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٢ م) .

ابن حجر (شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى) (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م) :

ــ الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة

تحقيق : محمد سيد جاد الحق

(مصر ١٩٦٦)

إنباء الغمر بأنباء العمر

تحقيق : حسن حبشى

(مصر ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م)

لسان الميزان

(الهند ١٣٢٩ هـ)

ابن خرداذبة (ت ٣٠٠ هـ) :

كتاب اللهو والملاهى

نشره عباس العزاوى ، بكتاب الموسيقا العراقية

(بغداد ١٣٧٠ هـ/ ١٩٥١)

ابن خلدون (عبد الرحمن محمد الحضرمى المغربى) (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥) :

المقدمة

(مصر ١٢٧٤ هـ / ١٨٦٧ م) .

ابن خلكان (أبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر) (٦٠٨ هـ :
٦٨١ هـ / ١٢١١ : ١٢٨٢ م) :

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان

(ط بيروت)

ابن رشيق (أبى على الحسن بن رشيق القيروانى الأزدى) :

العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده

تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد

(بيروت ١٩٧٢) .

ابن زيلة (أبو منصور الحسين بن محمد) (٤٤٠ هـ) .

الكافى فى الموسيقا

تحقيق : زكريا يوسف

(مصر ١٩٦٤) .

ابن سلمة النحوى (أبي الفضائل) (ت ٩٠ هـ)

كتاب العود والملاهى

نشره : عباس العزاوى « بكتاب الموسيقا العراقية »

(بغداد ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١) .

ابن سيده (أبي الحسن على بن إسماعيل النحوى اللغوى) (ت ٤٥٨ هـ) :

المخصص

(مصر ١٢١٨ هـ / ١٨٠٢ م)

ابن سينا :

رسالة فى الموسيقا

نشرها : جرجيس فتح الله « بكتاب فارمر : الموسيقى العربية - الملحق ٣)

(بيروت ١٩٧٢) .

ابن شاكر (محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي) (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م) :

فوات الوفيات

تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد (مصر ١٩٥١)

ابن شداد (بهاء الدين) :

النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية

أو سيرة صلاح الدين .

تحقيق : جمال الدين الشيال

(مصر ١٩٦٤) .

ابن طولون (شمس الدين محمد) (٨٨٤ هـ - ٩٥٣ هـ/ ١٤٧٩ : ١٥٤٦ م) :

مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان

تحقيق : محمد مصطفى

(مصر ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م) .

ابن عبد ربه (أحمد بن محمد) (ت ٣٢٨ هـ) :

العقد الفريد

تحقيق : محمد سعيد العريان

(مصر ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م)

ابن عبد الظاهر (محى الدين) :

تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور

تحقيق : مراد كامل

(مصر ١٩٦١) .

ابن العماد (أبي الفلاح عبد الحي الحنبلى) (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م) :

شذرات الذهب فى أخبار من ذهب

(ط . بيروت) .

ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم) :

تاريخ الدول والملوك

تحقيق : قسطنطين زريق (فى عدة أقسام : ٧ ، ٨ ، ٩) .

(بيروت ١٩٣٦) .

ابن كثير (أبو الفدا الحافظ الدمشقى) (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) :

البداية والنهاية

(بيروت ١٩٦٦) .

ابن كشاجم (أبي الفتح محمود) :

أدب النديم ، أو أدب الندماء ولطائف الظرفاء

(مصر ١٢٩٨ هـ / ١٨٨٠ م)

ابن الملقن (سراج الدين أبو حفص عمر بن على بن أحمد المصرى) (٧٢٣ — ٨٠٤ هـ / ١٣٢٣ — ١٤٠١ م) :

طبقات الأولياء

تحقيق : نور الدين شريبة

(مصر ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م) .

ابن المنجم (أبو أحمد بن على بن يحيى) (٣٠٠ هـ) :

رسالة ابن المنجم فى الموسيقى

تحقيق : يوسف شوقى

(مصر ١٩٧٦)

ابن نباتة المصرى (جمال الدين) (٦٨٦ — ٧٦٨ هـ / ١٢٨٧ — ١٣٦٦ م) :

سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون

تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم

(مصر ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م)

ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم) (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م) :

مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب

ج ٤ ، ٥ تحقيق : حسنين محمد ربيع

(مصر ١٩٧٢ — ١٩٧٧)

أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل) :

المختصر فى أخبار البشر

(ط . بيروت) .

البغدادى (عبد القادر بن عمر) (١٠٩٣ هـ / ١٦٨٢ م)

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب

(مصر ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٨ م) .

الجواليقى (أبي منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر) (٤٦٥ — ٥٤٠ هـ)

المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم

تحقيق : أحمد محمد شاكر

(مصر ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩م

الحجازى (شهاب الدين أبو الطيب محمد بن على) (ت ٨٧٥ هـ / ١٤٧٠ م) :

ثلاث رسائل

(مصر ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م) .

الحسن بن أحمد بن على الكاتب (٦٢٥ هـ / ١٢٢٨ م) :

كمال أدب الغناء

تحقيق : غطاس عبد الملك

(مصر ١٩٧٥) .

الحسن بن عبد الله بن محمد (٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م) :

آثار الأول فى ترتيب الدول

(مصر ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨ م)

ابن كثير (أبو الفدا الحافظ الدمشقى) (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) :

البداية والنهاية

(بيروت ١٩٦٦) .

ابن كشاجم (أبو الفتح محمود) :

أدب النديم ، أو أدب الندماء ولطائف الظرفاء

(مصر ١٢٩٨ هـ / ١٨٨٠ م)

ابن الملقن (سراج الدين أبو حفص عمر بن على بن أحمد المصرى) (٧٢٣ — ٨٠٤ هـ / ١٣٢٣ — ١٤٠١ م) :

طبقات الأولياء

تحقيق : نور الدين شريبة

(مصر ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م) .

ابن المنجم (أبو أحمد بن على بن يحيى) (٣٠٠ هـ) :

رسالة ابن المنجم فى الموسيقى

تحقيق : يوسف شوقى

(مصر ١٩٧٦)

ابن نباتة المصرى (جمال الدين) (٦٨٦ — ٧٦٨ هـ / ١٢٨٧ — ١٣٦٦ م) :

سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون

تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم

(مصر ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م)

ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم) (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م) :

مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب

ج ٤ ، ٥ تحقيق : حسنين محمد ربيع

(مصر ١٩٧٢ — ١٩٧٧)

أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل) :

المختصر فى أخبار البشر

(ط . بيروت) .

البغدادى (عبد القادر بن عمر) (١٠٩٣ هـ / ١٦٨٢ م)

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب

(مصر ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٨ م) .

الجواليقى (أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر) (٤٦٥ — ٥٤٠ هـ)

المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم

تحقيق : أحمد محمد شاكر

(مصر ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩م

الحجازى (شهاب الدين أبو الطيب محمد بن على) (ت ٨٧٥ هـ / ١٤٧٠ م) :

ثلاث رسائل

(مصر ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م).

الحسن بن أحمد بن على الكاتب (٦٢٥ هـ / ١٢٢٨ م) :

كمال أدب الغناء

تحقيق : غطاس عبد الملك

(مصر ١٩٧٥) .

الحسن بن عبد الله بن محمد (٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م) :

آثار الأول فى ترتيب الدول

(مصر ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨ م)

الحسيني (حسين محمد) :

كتاب : نفائس المجالس السلطانية

نشره : عبد الوهاب عزام « بكتاب مجالس السلطان الغوري » .

(مصر ١٣٦٠ هـ / ١٩٤١ م).

الخوارزمي (أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف) (٣٧٠ هـ)

مفاتيح العلوم

تحقيق : ج — فان فلوتن

(بريل ١٩٦٨) .

الذهبي (شمس الدين) :

تاريخ الأسلام ووفيات المشاهير والأعلام

تحقيق : بشار عواد معروف

م. ١٨ ، ق ١ (٦٠١ هـ — ٦١٠ هـ / ١٢٠٤ — ١٢١٣ م) :

(مصر ١٩٧٧) .

الراغب الأصفهاني (أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل) :

— الذريعة إلى مكارم الشريعة

(مصر ١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠ م)

— محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء

(بيروت ١٩٦١) .

رسالة إخوان الصفا (ق ١٠ م)

(مصر ١٨٦٦) .

رشيد غالب :

شرح ديوان ابن الفارض

جمعه من شرحي الشيخ حسن البوريني وعبد الغني النابلسي .

(مصر ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٨ م).

السبكي (تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب ابن تقي الدين) :

طبقات الشافعية الكبرى

(مصر ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م)

السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن) (ت ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧ م) :

— الضوء اللامع لأهل القرن التاسع

(مصر ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م):

— التبرك في ذيل السلوك

(نشر مكتبة الكليات الأزهرية

(بدون تاريخ)— مصر).

السلمي (أبي عبد الرحمن) (ت ٤١٢ هـ) :

— طبقات الصوفية

تحقيق : نور الدين شريبة

(مصر ١٩٥٣)

— جوامع آداب الصوفية

تحقيق : ايتان كولبرج

(القدس ١٩٧٦) .

السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن) :

حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة

(مصر ١٩٦٧ — ١٩٦٨) .

الحسيني (حسين محمد) :

كتاب : نفائس المجالس السلطانية

نشره : عبد الوهاب عزام « بكتاب مجالس السلطان الغورى » .

(مصر ١٣٦٠ هـ / ١٩٤١ م).

الخوارزمي (أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف) (٣٧٠ هـ)

مفاتيح العلوم

تحقيق : ج — فان فلوتن

(بريل ١٩٠٨) .

الذهبي (شمس الدين) :

تاريخ الأسلام ووفيات المشاهير والأعلام

تحقيق : بشار عواد معروف

م ١٨ ، ق ١ (٦٠١ هـ — ٦١٠ هـ / ١٢٠٤ - ١٢١٣ م) :

(مصر ١٩٧٧) .

الراغب الأصفهاني (أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل) :

— الذريعة إلى مكارم الشريعة

(مصر ١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠ م)

— محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء

(بيروت ١٩٦١) .

رسالة إخوان الصفا (ق ١٠ م)

(مصر ١٨٦٦) .

رشيد غالب :

شرح ديوان ابن الفارض

جمعه من شرحي الشيخ حسن البوريني وعبد الغني النابلسي .

(مصر ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٨ م).

السبكي (تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب ابن تقي الدين) :

طبقات الشافعية الكبرى

(مصر ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م)

السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن) (ت ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧ م) :

— الضوء اللامع لأهل القرن التاسع

(مصر ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م):

— التبرك في ذيل السلوك

(نشر مكتبة الكليات الأزهرية

(بدون تاريخ)— مصر) .

السلمي (أبي عبد الرحمن) (ت ٤١٢ هـ) :

— طبقات الصوفية

تحقيق : نور الدين شريبة

(مصر ١٩٥٣)

— جوامع آداب الصوفية

تحقيق : ايتان كولبرج

(القدس ١٩٧٦) .

السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن) :

حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة

(مصر ١٩٦٧ - ١٩٦٨) .

الشجاعي (شمس الدين) :

تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاون الصالحي وأولاده

تحقيق : بربارة شيفر

(نيسبان ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨ م)

الصفدي (صلاح الدين خليل ابن أيبك) :

نكت الهميان في نكت العميان

(مصر ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م).

الصيرفي (الخطيب الجوهري علي بن داود) :

— انباء الهصر بأبناء العصر

تحقيق : حسن حبشي

(مصر ١٩٧٠)

— نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان

تحقيق حسن حبشي

(مصر ١٩٧٠ — ١٩٧٤) .

الطوسي (أبي نصر السراج) (ت ٣٧٨ هـ) :

اللمع

تحقيق : عبد الحليم محمود وآخرون

(مصر ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م).

الطوسي (نظام الملك) :

سياست نامة

تعريب : السيد محمد العزاوي

(مصر ١٩٧٦) .

العاملي (بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي)(ت ١٠٣٠هـ / ١٦٢٠م):

الكشكول

تحقيق : طاهر أحمد الزاوي

(مصر ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م).

العمري (القاضي شهاب الدين بن فضل الله) :

التعريف بالمصطلح الشريف

(مصر ١٣١٢ هـ / ١٨٩٤ م)

العيني (بدر الدين) :

السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي

تحقيق : فهيم محمود شلتوت

(مصر ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م).

الغزالي (أبو حامد) :

إحياء علوم الدين

(مصر ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م) .

الغزولي (علاء الدين علي بن عبد الله البهائي) (ت ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م) :

مطالع البدور في منازل السرور

(مصر ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م).

الفارابي (أبي نصر محمد بن محمد بن طرخان) (٣٣٩ هـ) :

الموسيقى الكبير

تحقيق : غطاس عبد الملك خشبة

(مصر ١٩٦٧ م) .

القشيري (أبي القاسم عبد الكريم هوازن) (ت ٤٦٥ هـ) :

الرسالة القشيرية في علم التصوف

(مصر ١٨٦٧) .

الشجاعي (شمس الدين) :
تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاون الصالحي وأولاده
تحقيق : بربارة شيفر
(فيسبادن ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨ م)

الصفدي (صلاح الدين خليل ابن أيبك) :
نكت الهميان في نكت العميان
(مصر ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م).

الصيرفي (الخطيب الجوهري علي بن داود) :
— انباء الهصر بأبناء العصر
تحقيق : حسن حبشي
(مصر ١٩٧٠)
— نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان
تحقيق حسن حبشي
(مصر ١٩٧٠ — ١٩٧٤) .

الطوسي (أبي نصر السراج) (ت ٣٧٨ هـ) :
اللمع
تحقيق : عبد الحليم محمود وآخرون
(مصر ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦٠ م).

الطوسي (نظام الملك) :
سياست نامة
تعريب : السيد محمد العزاوي
(مصر ١٩٧٦) .

العاملي (بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي)(ت ١٠٣٠هـ/١٦٢٠م):

الكشكول
تحقيق : طاهر أحمد الزاوي
(مصر ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م).

العمري (القاضي شهاب الدين بن فضل الله) :
التعريف بالمصطلح الشريف
(مصر ١٣١٢ هـ / ١٨٩٤ م)

العيني (بدر الدين) :
السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي
تحقيق : فهيم محمود شلتوت
(مصر ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م).

الغزالي (أبو حامد) :
إحياء علوم الدين
(مصر ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م) .

الغزولي (علاء الدين علي بن عبد الله البهائي) (ت ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م) :
مطالع البدور في منازل السرور
(مصر ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م).

الفارابي (أبي نصر محمد بن محمد بن طرخان) (٣٣٩ هـ) :
الموسيقى الكبير
تحقيق : غطاس عبد الملك خشبة
(مصر ١٩٦٧ م) .

القشيري (أبي القاسم عبد الكريم هوازن) (ت ٤٦٥ هـ) :
الرسالة القشيرية في علم التصوف
(مصر ١٨٦٧) .

القلقشندى (أبو العباس أحمد) (٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)

صبح الأعشى فى صناعة الأنشا

(مصر ١٩١٣ — ١٩٢٨) .

المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) (٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) :

— السلوك لمعرفة دول الملوك

ج ١ ، ٢ (٦ أقسام) تحقيق : محمد مصطفى

(مصر ١٩٤٢ — ١٩٥٨)

ج ٣ ، ٤ (٦ أقسام) تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور

(١٩٧٠ — ١٩٧٣ م) .

— المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والآثار

(مصر ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٣ م).

النواجى (شمس الدين محمد بن الحسن) (ت ٨٥٩ هـ / ١٤٥٤ م) :

حلبة الكميت فى الأدب والنوادر المتعلقة بالخمريات

(مصر ١٢٧٦ هـ / ١٨٥٩ م).

النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد) (٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م):

نهاية الأرب فى فنون الأدب

(مصر ١٣٤٥ م / ١٩٢٦ م).

الهروى (أبو الحسن على بن أبى بكر) (ت ٦١١ هـ / ١٢١٤ م) :

التذكرة الهروية فى الحيل الحربية

تحقيق : جانين سورديل تومين

Bulletin d' etude Tome XVII

(1961—62)

ياقوت الحموى : معجم الأدباء (ط . بيروت) .

مجهول : الآلة التى تزمر بنفسها ، صنعة بنى موسى بن شاكر

نشر : جرجيس فتح الله « بكتاب فارمر : تاريخ الموسيقى العربية ، ملحق ١١٢

(بيروت ١٩٧٢) .

مجهول : حوليات دمشقية (٨٣٤ هـ / ١٤٣٣ / ١٣٣٨ م)

تحقيق : حسن حبشى

(مصر ١٩٦٨) .

مجهول : صفة الجلجل الذى إذا حرك خرجت منه أصوات مختلفة شجية غنجة .

نشره : جرجيس فتح الله « بكتاب الموسيقى لفارمر ، الملحق ٣)

(بيروت ١٩٧٨ م)

مجهول : صنعة الأرغن الجامع لجميع الأصوات .

نشر : جرجيس فى نفس الكتاب السابق . (الملحق ٢)

مجهول : عمل الآلة التى اتخذها مورسطس يذهب صوتها ستين ميلا .

نشر : جرجيس ، فى نفس الكتاب السابق (الملحق ٢) .

ثالثاً — المراجع الحديثة :

أحمد صادق الجمال :

الأدب العامى فى مصر فى العصر المماليكى

(مصر ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م)

اسرائيل ولفنسون (أبو ذؤيب) :

موسى بن ميمون

(مصر ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦)

القلقشندى (أبو العباس أحمد) (٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)

صبح الأعشى فى صناعة الأنشا

(مصر ١٩١٣ — ١٩٢٨) .

المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) (٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) :

— السلوك لمعرفة دول الملوك

جـ ١ ، ٢ (٦ أقسام) تحقيق : محمد مصطفى

(مصر ١٩٤٢ — ١٩٥٨)

جـ ٣ ، ٤ (٦ أقسام) تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور

(١٩٧٠ — ١٩٧٣ م) .

— المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار

(مصر ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٣ م).

النواجى (شمس الدين محمد بن الحسن) (ت ٨٥٩ هـ / ١٤٥٤ م) :

حلبة الكميت فى الأدب والنوادر المتعلقة بالخمريات

(مصر ١٢٧٦ هـ / ١٨٥٩ م).

النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد) (٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م):

نهاية الأرب فى فنون الأدب

(مصر ١٣٤٥ م / ١٩٢٦ م).

الهروى (أبو الحسن على بن أبى بكر) (ت ٦١١ هـ / ١٢١٤ م) :

التذكرة الهروية فى الحيل الحربية

تحقيق : جانين سورديل تومنين

Bulletin d' etude Tome XVII

(1961—62)

ياقوت الحموى : معجم الأدباء (ط . بيروت) .

مجهول : الآلة التى تزمر بنفسها ، صنعة بنى موسى بن شاكر

نشر : جرجيس فتح الله « بكتاب فارمر : تاريخ الموسيقى العربيه ، ملحق ١١٣

(بيروت ١٩٧٢) .

مجهول : حوليات دمشقية (٨٣٤ هـ / ١٤٣٣ / ١٣٣٨ م)

تحقيق : حسن حبشى

(مصر ١٩٦٨) .

مجهول : صفة الجلجل الذى إذا حرك خرجت منه أصوات مختلفة شجية غنجة .

نشره : جرجيس فتح الله « بكتاب الموسيقى لفارمر ، الملحق ٣)

(بيروت ١٩٧٨ م)

مجهول : صنعة الأرغن الجامع لجميع الأصوات .

نشر : جرجيس فى نفس الكتاب السابق . (الملحق ٢)

مجهول : عمل الآلة التى اتخذها مورسطس يذهب صوتها ستين ميلا .

نشر : جرجيس ، فى نفس الكتاب السابق (الملحق ٢) .

ثالثاً — المراجع الحديثة :

أحمد صادق الجمال :

الأدب العامى فى مصر فى العصر المماليكى

(مصر ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م)

اسرائيل ولفنسون (أبو ذؤيب) :

موسى بن ميمون

(مصر ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦)

جرجيس فتح الله :

أسماء الأصوات فى كتاب الأغانى الكبير
(ملحق ٤) بكتاب تاريخ الموسيقى لفارمر .
(بيروت ١٩٧٢)

حسين مؤنس :

عالم الأسلام
(مصر ١٩٧٣)

سعيد عبد الفتاح عاشور :

المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك
(مصر ١٩٦٢) .

الشيبى (كامل مصطفى) :

ديوان الدوبيت فى الشعر العربى
(ليبيا ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م)

عباس العزاوى :

الموسيقى العراقية فى عهد المغول والتركمان (٦٥٦ : ٩٤١ هـ / ١٢٥٨ : ١٥٣٤ م)
(بغداد ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م)

عبد المنعم ماجد :

الحضارة الأسلامية فى العصور الوسطى
(مصر ١٩٧٢) .

عبد الوهاب عزام :

مجالس السلطان الغورى

فارمر (هنرى چورج) :

— تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر الميلادى
تعريب : جرجيس فتح الله
(بيروت ١٩٧٢ م) .

— مصادر الموسيقى العربية
تعريب : حسين نصار (مصر ١٩٥٧)

ماير أ. ل :

الملابس المملوكية
تعريب : صالح الشيتى
(مصر ١٩٧٢)

نبيل محمد عبد العزيز :

الخيل ورياضتها فى عصر سلاطين المماليك
(مصر ١٩٧٦)

بلبل الروضة

(أنظر السيوطى)

رابعا — المراجع الأفرنجية :

Bernard Lewis : The World of Islam .
(Lodon 1976)

جرجيس فتح الله :

أسماء الأصوات فى كتاب الأغانى الكبير

(ملحق ٤) بكتاب تاريخ الموسيقى لفارمر .

(بيروت ١٩٧٢)

حسين مؤنس :

عالم الأسلام

(مصر ١٩٧٣)

سعيد عبد الفتاح عاشور :

المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك

(مصر ١٩٦٢) .

الشيبى (كامل مصطفى) :

ديوان الدوبيت فى الشعر العربى

(ليبيا ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م)

عباس العزاوى :

الموسيقى العراقية فى عهد المغول والتركمان (٦٥٦ : ٩٤١ هـ/١٢٥٨ : ١٥٣٤ م)

(بغداد ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م)

عبد المنعم ماجد :

الحضارة الأسلامية فى العصور الوسطى

(مصر ١٩٧٢) .

عبد الوهاب عزام :

مجالس السلطان الغورى

فارمر (هنرى چورج) :

— تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر الميلادى

تعريب : جرجيس فتح الله

(بيروت ١٩٧٢ م) .

— مصادر الموسيقى العربية

تعريب : حسين نصار (مصر ١٩٥٧)

ماير أ. ل :

الملابس المملوكية

تعريب : صالح الشيتى

(مصر ١٩٧٢)

نبيل محمد عبد العزيز :

الخيل ورياضتها فى عصر سلاطين المماليك

(مصر ١٩٧٦)

بلبل الروضة

(أنظر السيوطى)

رابعا — المراجع الأفرنجية :

Bernard Lewis : The World of Islam .

(Lodon 1976)

الفهارس

الفهارس

أولا كشاف بالأعلام والأمم والطوائف الواردة فى متن الكتاب وحواشيه

أولا كشاف بالأعلام والأمم والطوائف الواردة فى متن الكتاب وحواشيه

ثانيا – كشاف بالأمكنة والبقاع

ثالثا — كشاف بالوظائف والألقاب وآلات الطرب وأصواتها والألحان والمسميات والمصطلحات الخاصة

— —

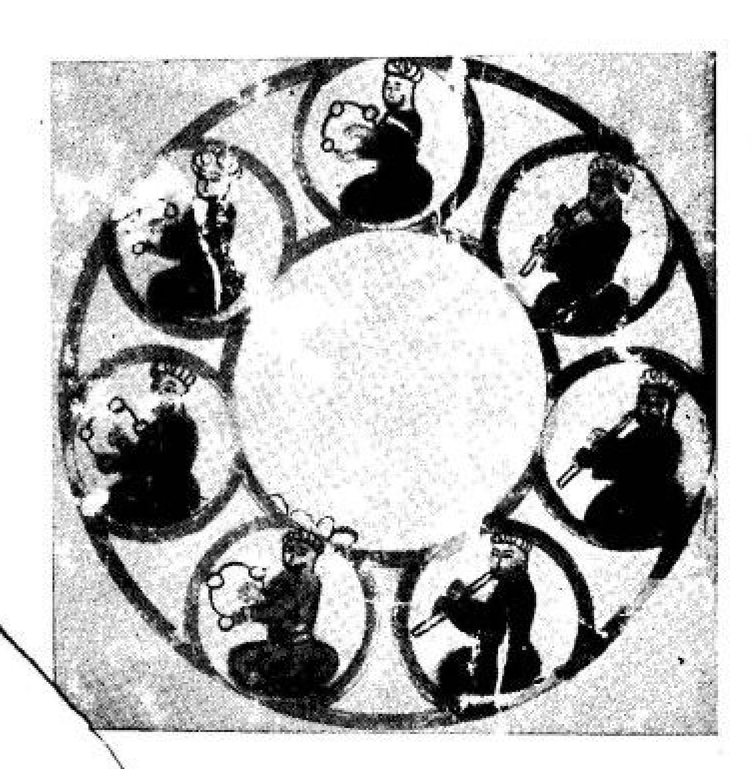
محتويات الكتاب

تصويبات

رقم الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢	٢١	عد ما	عندما
١٤	١٨	المتشابكة	المتشاكلة
٢١	١	محمدا	محمدا) .
٢٣	١	نحن	نحن
٢٧	٢	اللامح	الملاح
٣٤	٩	مشب	مشبب
٤١	١٠	ما	لما
٤٢	٥	غه	نغه
٤٣	١٣	واين	وابن
٤٨	٣	الشأ	نشأ
٤٨	٤	نطرب	الطرب
٥٦	١	ابن حسن	بن حسن
٥٧	١٧	٢٨٣ هـ	٨٢٣ هـ
٦٢	٧	كان اشترى	كان قد اشترى
٦٤	١١	المتزهات	المتنزهات
٦٥	٦	صحبتة	صحبته
٦٩	٢	جوارية	جواريه
٧٠	١١	لعبة	لعبه
٩٠	١	حصر	حضر
١٠٣	١٣	التلشر	المنتشر
١٠٩	٩	بلسانه	بلسانه
١١١	١٧	الرابع	الربع
١١١	١٩	قصر	أقصر
١٣٦	١٧	سبابتة	سبابته
٢٠١	٧	التبر فى ...	التبر المسبوك فى ...
٢٠٢	١	الشجاع	الشجاعى
٢٠٢	٨	ابناء	إنباء
٢١٤	١٣	أحمد بن حمدان [illegible]	يحذف [illegible]

الطرب وآلاته

في عصر الأيوبيين والمماليك



تأليف

الدكتور

